

Bókmenntasjóður
The Icelandic Literature Fund
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
أرنالدور أندريداسون
Arnaldur Indridason
مخزن
الأعضاء
البشرية
Mýrin (Jar City)
علي مولا
رواية
www.alexandra.ahlamontada.com
منتدى مكتبة الاسكندرية



مخزن الأعضاء البشرية

Mýrin (Jar City)

مخزن الأعضاء البشرية

Mýrin (Jar City)

روايــة

أرنالدور أندريداسون

Arnaldur Indridason

ترجمة

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة رواية
Mýrin
تأليف Arnaldur Indridason
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر Forlagid Publishing
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Title of the original Icelandic edition: **Mýrin**
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is

This books has been published with a financial support of
Bokmenntasjóður/Icelandic Literature Fund



الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-614-01-0025-1



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

الإهداء

إلى كل من يستسيغ
الأدب العالمي

1

كلمتان مكتوبتان بقلم رصاص، على ورقة، وُضعت فوق جثةٍ. كلمتان مبهمتان لم يفهم إرلندور معناهما.

جثة رجل في العقد السابع من العمر مستلقٍ على الأرض على جانبه الأيمن، مقابل الأريكة في غرفة جلوس صغيرة، يرتدي قميصاً أزرق وبنطالاً مخملياً، وينتعل خفّاً في قدميه. أمّا شعره الأشيب فقد بدا خفيفاً، ملطخاً بالدم جرّاء جرح كبير في الرأس. على الأرض وعلى مقربةٍ من الجثة منفضة زجاجية كبيرة بحواف حادة، وهي الأخرى ملطّخة بالدم. بالإضافة إلى ذلك هناك طاولة صغيرة مقلوبة.

كان ذلك في قبو منزل مؤلف من طابقين في بلدة نوردورمايري. تحيط بالمنزل حديقة صغيرة يحيطها من ثلاث جهات جدار حجري. الأشجار تعرَّت من أوراقها التي تساقطت وغطّت الأرض، أما الأغصان المليئة بالعِقد فتمتد عالياً نحو ظلمة السماء. على طول ممر مرصوف بالحصى يقود إلى المرأب، كان أفراد من إدارة البحث الجنائي في ريكيافيك يتقاطرون إلى المكان منتظرين وصول المسؤول الطبي في المقاطعة الذي سيوقع شهادة الوفاة. فقد تم الإبلاغ عن اكتشاف الجثة قبل 15 دقيقة، ومفتش المباحث إرلندور من شرطة ريكيافيك كان من أوائل الواصلين إلى مسرح الجريمة، ويتوقع وصول زميله سيغوردور أولي في أي دقيقة.

كان غسق تشرين الأول ينتشر فوق المدينة، والمطر ينهمر بقوة مصحوباً بريح الخريف. أنار أحدهم مصباحاً معلقاً فوق طاولة

في غرفة الجلوس فنشر ضوءه الخجول في أرجائها. عدا ذلك، لم يمسَّ أحدٌ شيئاً في مسرح الجريمة. قام فريق الطب الشرعي بنصب مصابيح ساطعة على حوامل ثلاثية القوائم لإنارة الشقة. رأى إرلندور مكتبة وأثاثاً بالياً، كذلك رأى طاولة صغيرة مقلوبة، ومنضدة قديمة في إحدى الزوايا، وسجادة على الأرض، ودماء على السجادة. غرفة الجلوس هذه مفتوحة على مطبخ، وباب آخر يفضي منها إلى حجرة صغيرة للقراءة ومنها إلى رواق صغير حيث يوجد حمام وغرفتان.

أبلغ الجار الذي يقطن في الطابق الأعلى الشرطة. فقد استغرب – عندما عاد إلى منزله بعد ظهر ذلك اليوم مصطحباً ولديه من المدرسة – رؤية باب القبو مفتوحاً على مصراعيه. كان باستطاعته رؤية ما بداخل شقة جاره، فنادى عليه ليتأكد من وجوده هناك، لم يسمع منه جواباً. نظر إلى داخل الشقة، ونادى مجدداً، لكن لم يسمع رداً. كان يسكن في الطابق الأعلى منذ سبع سنوات، لكنه لم يكن يعرف الرجل العجوز في القبو جيداً. أمّا الابن البكر، البالغ من العمر تسع سنوات، فلم يكن حذراً مثل والده، وبلمح البصر أصبح داخل غرفة جلوس الجار. بعد لحظة خرج قائلاً إن هناك رجلاً ميتاً في الشقة، ولم يبدُ عليه الانزعاج مما رأى.

قال والد الفتى: "تشاهد الكثير من الأفلام". ودخل بحذر الشقة حيث رأى جاره جثة ممددة على أرض غرفة الجلوس.

يعرف المفتش إرلندور اسم الرجل، فقد كان مكتوباً على جرس الباب. لكن حتى لا يبدو مغفلاً وضع قفازاً مطاطياً رقيقاً، وأخرج محفظة الرجل من سترة معلّقة على مشجب إلى جانب الباب الرئيس، فعثر على بطاقة دفع تحمل صورة. تبيّن له أن الرجل الميت أو القتيل

يدعى هولبرغ ويبلغ من العمر تسعة وستين عاماً.

تنقّل إرلندور في أرجاء الشقة، وفكّر في أبسط الأسئلة. فهذا هو عمله: التحقيق في ما هو واضح للعيان. بينما سيتولى الطب الشرعي الأمور الغامضة. لم يرَ علامات الكسر والخلع على النوافذ ولا على الأبواب. من الانطباع الأول بدا له أن الرجل قد سمح لمهاجمه بدخول الغرفة بنفسه. ترك الجار وولده في الأعلى آثار أقدامهما في كل أرجاء الرواق الأمامي وعلى سجادة غرفة الجلوس عندما دخلا، اتقاء للمطر، ولا بد أن القاتل قد فعل الشيء نفسه، إن لم يكن قد خلع حذاءه عند الباب الرئيس. رغم أن المفتش إرلندور اعتقد أن المهاجم كان على عجلة من أمره بحيث لم تسنح له فرصة خلع حذائه.

أحضر فريق الطب الشرعي معه مكنسة كهربائية لجمع أدق الجسيمات والحبيبات التي يمكن استخلاص أدلّة منها. بحثوا عن بصمات وآثار طين لا تخص سكان المنزل. بحثوا عن شيء دخيل ترك تلفاً خلفه.

وفقاً لما رآه إرلندور، لم يحظِ الرجل زائره بحفاوة خاصة؛ لم يحضّر قهوة، كان واضحاً أن إبريق تحضير القهوة في المطبخ لم يُستعمل في الساعات القليلة الماضية. لم تكن هناك دلائل على تناول شاي، أو إخراج أكواب من الخزانة. فالكؤوس الزجاجية موجودة في مكانها. كان الرجل القتيل من النوع المنظّم، فكل أغراضه أنيقة ومنظّمة. ربما لم يكن يعرف مهاجمه جيداً، وربما هاجمه الزائر من دون سابق إنذار في اللحظة التي فُتح فيها الباب، من دون أن يخلع حذاءه.

هل يمكن قتل شخص ما بضربه حتى الموت؟

نظر إرلندور في أرجاء المكان، وفكّر أن عليه تنظيم أفكاره بشكل أفضل.

على كل حال، كان الزائر في عجلة من أمره، فلم يزعج نفسه بإغلاق الباب خلفه، فالهجوم نفسه يحمل آثار السرعة، كما لو أنه حصل فجأة من دون سابق إنذار. لم تظهر علامات على حدوث عراك في الشقة. كان واضحاً أن الرجل قد سقط مباشرة إلى الأرض، واصطدم بالطاولة الصغيرة فأوقعها. من الانطباع الأول، بدا كل شيء آخر سليماً كأن أحداً لم يمسّه. لم يستطع إرلندور رؤية أي علامة على سرقة الشقة؛ فالخزائن مغلقة بإحكام، والأدراج أيضاً، وحاسوب جديد نوعاً ما ومسجلة قديمة في مكانيهما، سترة الرجل على مشجب إلى جانب الباب الرئيس لا تزال تحمل محفظته التي تحتوي ورقة نقدية من فئة 2000 كرونا وبطاقتي دفع، إحداهما دائن والأخرى مدين.

بدا الأمر وكأن المهاجم قد أمسك بأول شيء وقع في متناول يده، وضرب به الرجل على رأسه. فالمنفضة المصنوعة من زجاج أخضر سميك، والتي تزن كيلو ونصف على الأقل، كما ظن إرلندور، بدت وكأنها سلاح الجريمة.

هناك أدلّة واضحة أيضاً: فالرجل قد فتح الباب، ودعا الزائر إلى الدخول أو على الأقل مشى معه إلى غرفة الجلوس. ربما كان يعرف الزائر، لكن ليس بالضرورة. هوجم بمنفضة، بضربة واحدة قوية، وسرعان ما لاذ المهاجم بالفرار فيما ترك الباب الرئيس مفتوحاً. بدا الأمر بتلك البساطة، بغض النظر عن الرسالة.

كانت مكتوبة على ورقة قياس A4 تبدو كما لو أنها أُخذت من دفتر تمارين بسلك حلزوني، وهي الدليل الوحيد على أن ارتكاب الجريمة كان مع سبق الإصرار والترصد هنا، وتشير إلى أن الزائر

دخل المنزل بهدف القتل بسرعة. ولم يشعر فجأة بحاجة ملحة إلى القتل بينما كان يقف هناك على أرضية غرفة الجلوس. لقد دخل الشقة بهدف ارتكاب الجريمة، لأنه كتب رسالة. كلمتان لم يستطع إرلندور تفسيرهما. هل كتب الرسالة قبل المجيء إلى المنزل؟ كان ذلك سؤال واضح آخر بحاجة إلى إجابة. اتجه إرلندور إلى المنضدة في زاوية غرفة الجلوس، كانت هناك وثائق، وفواتير، ومغلّفات، وأوراق مكدسة عليها، فوقها دفتر بسلك حلزوني، زاوية إحدى صفحاته ممزقة. بحث عن قلم رصاص يمكن أن يكون قد استُعمل لكتابة الرسالة لكنه لم يجد واحداً. عندما جال بنظره حول المنضدة وجد قلماً تحتها، لم يمسّ شيئاً، نظر وأمعن التفكير.

سأل المحقق سيغوردور أولي الذي كان قد دخل القبو من دون أن يلاحظه إرلندور ووقف آنذاك إلى جانب الجثة: "هل هذه جريمتك الأيسلندية النموذجية؟".

قال إرلندور منغمساً في أفكاره: "ماذا؟".

"بائسة، تافهة، وتم اقترافها من دون بذل أي جهد لإخفائها، تغيير الأدلّة أو إخفاء البيّنة".

قال إرلندور: "نعم، جريمة أيسلندية مثيرة للشفقة".

قال سيغوردور أولي: "إلا إذا كان قد وقع على الطاولة وضرب رأسه بالمنفضة". كانت زميلتهما إيلينبورغ معه. حاول إرلندور تقييد حركات أفراد الشرطة، فريق الطب الشرعي والمساعدين الطبيين بينما كان يتنقّل في أرجاء المنزل، ورأسه منحنٍ تحت قبعته.

قال إرلندور: "وكتب رسالة مبهمة بينما كان يقع!".

"ربما كان يحملها بيديه".

"هل يمكنك فهم أي شيء من الرسالة؟".

قــال ســيغوردور أولــي: "ربمــا هــي مشــيئة الله. ربمــا القاتل، لا أدري، التأكيد على الكلمة الأخيرة يثير الفضول، أحرف كبيرة للضمير المنفصل هو".

"لا يبدو أنها كُتبت بسرعة بالنسبة إليّ. الكلمة الأخيرة بأحرف كبيرة لكن أول كلمتين كُتبتا بأحرف متصلة. لم يكن الزائر على عجلة مــن أمــره عندمــا كتبهــا، لكنــه لــم يغلق الباب خلفــه. ماذا يعني ذلك؟ يهاجــم الرجــل ويرحــل، لكنــه يكتب ملاحظة مبهمة على ورقة ويهتم بالتأكيد بالكلمة الأخيرة".

قــال ســيغوردور أولــي: "لا بــد أنهــا تشــير إليه، أعنــي الجثة. لا يمكن أن تشير إلى أي شخص آخر".

قــال إرلنــدور: "لا أدري. مــا الفائــدة التــي يجنيها القاتل من ترك ذلك النوع من الرســائل خلفه ووضعها فوق الجثة؟ ما الذي يحاول قوله من خلال ذلك؟ هل يخبرنا شــيئاً؟ هل يتكلم القاتل مع نفســه؟ هل يتكلم مع الضحية؟".

قالــت إيلينبــورغ: "أحمــق لعيــن". ومــدّت يدها لتلتقط الرســالة، لكن إرلندور منعها.

قــال ســيغوردور أولــي: "قــد يكــون هنــاك أكثر مــن واحد. أعني مهاجمين".

قــال إرلنــدور كمــا لــو أنــه يتحــدث إلــى طفــل: "تذكــري قفازك إيلينبورغ. لا تفسدي البيّنة".

أضــاف وهــو يشــير إلــى الزاوية: "كُتبت الرســالة علــى المنضدة هناك. انتزعت قصاصة الورقة من دفتر تمارين بسلك حلزوني يمتلكه الضحية".

كرّر سيغوردور أولي: "ربما شارك في الجريمة أكثر من شخص".

ظنّ أنه أشار إلى نقطة مثيرة للاهتمام.

قال إرلندور: "نعم، نعم. ربما".

قال سيغوردور أولي: "عملٌ قاسٍ قليلاً؛ أولاً تقتل رجلاً عجوزاً ثم تجلس لتكتب ملاحظة، ألا يتطلب ذلك أعصاباً من فولاذ؟ أليس وغداً حقيراً من يقوم بشيء من هذا القبيل؟".

قالت إيلينبورغ: "أو شخصاً لا يعرف الخوف".

قال إرلندور: "أو شخصاً مصاباً بعقدة نفسية يظن معها أنه المخلّص".

توقف ليلتقط الرسالة ويدرسها بصمت.

إنها عقدة كبيرة، كما فكّر في قرارة نفسه.

2

عاد إرلندور إلى المبنى الذي يقطنه قرابة العاشرة مساءً، وضع وجبة جاهزة في المايكروويف لتسخينها، ووقف يراقب الوجبة تدور خلف الزجاج. كان ذلك أفضل من التلفاز، كما فكّر. في الخارج رياح الخريف تعصف، ولا شيء سوى المطر والظلام.

فكّـر فـي النـاس الذيـن يتركون رسـائل ويختفون، ماذا يمكن أن يكتبـوه فـي هـذه الحـال؟ وإذا كان القتيـل هـو كاتـب هـذه الكلمـات فلمن سيترك رسالة؟ خطرت ببال إرلندور ابنته، إيفا ليند. هي مدمنة ممنوعات وربما سترغب في معرفة إن كان لدى أبيها مال. كانت قد أصبحت ملحاحة كثيراً في ما يتعلق بذلك الأمر. كان ابنه، سـيندري سنير، قد أكمل جولة ثالثة من إعادة التأهيل. ستكون رسالته بسيطة: لا مزيد من هيروشيما.

ابتسم إرلندور لنفسه عندما صدر عن المايكروويف ثلاثة أصوات بيب. لم يكن قد فكّر في الاختفاء على الإطلاق.

كان إرلندور وسيغوردور أولي قد تكلما إلى الجار الذي وجد الجثة. قالت زوجته لهما إنها اصطحبت ولديها بعيداً إلى منزل والدتها. اسم هذا الجار أولافور، قد قال إنه وعائلته؛ زوجته وولديه، يذهبون إلى المدرسـة والعمل كل يوم عند السـاعة الثامنة صباحاً، ولا يعود أحدٌ إلى المنزل قبل السـاعة الرابعة بعد الظهر. كانت مهمته إحضار الولدين من المدرسة. لم يلاحظوا أي شيء غير معتاد عندما غادروا المنـزل فـي الصبـاح، فبـاب شـقة الرجل العجوز مغلقٌ، لقد غطّوا في

نوم عميق الليلة الماضية، لم يسمعوا شيئاً، لم يقيموا علاقة وثيقة مع جارهم. بكل المعايير كان غريباً، بالرغم من أنهم أقاموا في الطابق فوقه عدّة سنوات.

وجب على أخصائي علم الأمراض أن يحدد وقتاً دقيقاً للوفاة، لكن إرلندور تصوّر أنه قد تم ارتكاب الجريمة قرابة الظهر، في وقت ذروة اليوم كما يدعى، كيف يمكن لشخص أن يكون لديه وقت لذلك هذه الأيام؟ فكّر في قرارة نفسه. تم إصدار بيان إلى وسائل الإعلام أنه تم العثور على جثة رجل يدعى هولبرغ في العقد السابع من العمر في شقته في نوردورمايري، ربما جراء جريمة قتل، وعلى أي شخص لاحظ تحركات مشبوهة خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية، في المنطقة التي يعيش فيها هولبرغ، أن يتصل بشرطة ريكيافيك.

كان إرلندور في الخمسين من العمر تقريباً، مطلق منذ سنوات عديدة، وأب لولدين. لم يجعل أحداً يشعر أبداً أنه لا يحب اسمي ولديه، لم يتكلم مع طليقته إلا لماماً طيلة أكثر من عقدين من الزمن، تظن أنهما يبدوان لطيفين في ذلك الوقت. كان الطلاق شائكاً جعل إرلندور يفقد تقريباً علاقته مع ولديه عندما كانا يافعين. جاءا إليه عندما أصبحا أكبر سناً ورحّب بهما، لكنه أسف لما آلت إليه حالهما. كان حزيناً بشكل خاص لمصير ابنته إيفا ليند. كان ابنه سيندري سنير أفضل حالاً، لكن قليلاً فقط.

أخرج وجبته من المايكروويف، وجلس إلى طاولة المطبخ. لأن شقته بغرفة نوم واحدة مليئة بكتب مبعثرة في أرجائها. علّق صوراً قديمة للعائلة على الجدران، تُظهر أقرباءه في المضائق البحرية الشرقية، حيث ولد. لم تكن لديه صورة له أو لولديه. كان هناك تلفاز من نوع نوردمند قديم متهالك إلى جانب أحد الجدران وكرسٍ

بذراعيـن أمامـه. حافـظ إرلنـدور على ترتيب الشـقة بأقل جهد تنظيف ممكن.

لـم يكـن يعـرف تمامـاً مـا يأكله، فالغلاف المزخرف يعد بشـيء يتعلق بنكهات شرقية لكن مذاق الوجبة نفسها المغلّفة ضمن نوعٍ من ورق الفطائر، كان مثل زيت الشعر. دفعها إرلندور بعيداً. تساءلَ هل لديه بقية من خبز الجاودار الذي أحضره قبل عدّة أيام، وفطيرة لحم الغنم. فجأة رنّ جرس الباب. كانت ابنته إيفا ليند قد قررت زيارته.

سـألت بينمـا كانـت تندفـع إلى الداخل عبـر الباب وترتمي على الأريكة في غرفة الجلوس: «كيف هي الحال يا صاح؟».

قـال إرلنـدور: «أوف». وأغلـق البـاب. «لا تتكلمي بذلك الهراء معي».

قالت إيفا ليند، التي كانت تتلقى باسـتمرار توبيخاً بشـأن طريقة تكلمها مع والدها: «أظن أنك تريدني أن أختار كلماتي بحرص».

«قولي شيئاً معقولاً إذاً».

كان صعبـاً تحديـد الشـخصية التـي تقلّدها تلك الأمسـية. كانت إيفا ليند أفضل ممثلة عرفها على الإطلاق، بالرغم من أنه لم يمتلك خبرة كبيرة بذلك لأنه لم يذهب أبداً إلى مسـرح أو إلى دار عرض، فقط كان يشـاهد برامج تعليمية على التلفاز. كانت مسـرحية إيفا ليند عـادة درامـا عائليـة مؤلفـة مـن فصـل واحد إلى ثلاثـة فصول وتتناول أفضل طريقة للحصول على المال من والدها. لم يحدث ذلك كثيراً لأن إيفا ليند لديها طرائقها الخاصة للحصول على المال، والتي كان إرلنـدور يفضـل ألا يعـرف الكثيـر عنهـا، لكنهـا كانت تلجأ إليه عندما تعضّها الحاجة.

أحيانـاً تكـون فتاتـه الصغيـرة التـي تتودد إليـه وتتصرف مثل قطة

وأحياناً تكون على حافة اليأس، تهيمُ في أرجاء الشقة، وكأنها فقدت عقلها تماماً، تكيل له اتهامات بأنه والد سيئ لأنه تركها وسيندري سنير عندما كانا يافعين. يمكنها أن تصبح أيضاً فظّة، وخبيثة، وشريرة. لكن أحياناً كان إرلندور يظن أنها على سجيتها الحقيقية، الطبيعية تقريباً، ويشعر أن بإمكانه التحدّث إليها كإنسان.

كانت إيفا ليند ذات شعر أسودَ فاحم، ترتدي جينزاً بالياً وسترةً جلديةً سوداء قصيرة، علّقت قرطين فضيين في حاجبها الأيمن وشعار النصارى الديني يتدلى من إحدى أذنيها. كانت أسنانها بيضاء جميلة، في ما مضى، لكن علامات كانت قد بدأت تظهر عليها وذلك عندما كانت تبتسم ابتسامة عريضة فتكشف عن فقدانها لسنين في الفك العلوي. كانت نحيلة جداً، كان وجهها متعباً، ودوائر سوداء تحت عينيها. كان إرلندور يشعر أحياناً أنها تشبه والدته. لعن الحال التي وصلت إليها إيفا ليند، وألقى اللوم على إهماله لما آلت إليه حالها.

«تكلمت إلى أمي اليوم، أو بالأحرى هي تكلمت معي، وسألتني إن كنت سأتحدث إليك. من الرائع أن يكون لدى المرء والدان مطلقان».

سأل إرلندور مندهشاً: «هل تريد والدتك شيئاً مني؟». بعد عشرين سنةً هي لا تزال تكرهه. لم يرها سوى مرة واحدة فقط في خلال تلك المدة، ولم يخامره شك أبداً في نظرة الاشمئزاز التي بدت على وجهها. كانت قد تكلمت معه مرة واحدة بشأن سيندري سنير، لكن ذلك كان حديثاً يفضّل أن ينساه.

«يا لها من شريرة متبجحة».

«لا تتكلمي عن والدتك بتلك الطريقة».

«الأمر يتعلق ببعض أصدقائها فاحشـي الثراء من غاردابير، كان مقرراً أن تتزوج ابنتهما في عطلة نهاية الأسبوع، لكنها هربت في أثناء حفل الزفاف. أمر محرج حقاً. كان ذلك يوم السبت ولم تتصل بهما منذ ذلك الوقت. كانت أمي في حفل الزفاف وقد صدمتها الفضيحة. يُفترض بي أن أسأل إذا كان بإمكانك التكلم إلى الوالدين. لا يريدان نشـر إعـلان فـي الصحف، هذان المتبجحـان اللعينان، لكنهما يعرفان أنـك فـي إدارة المباحـث الجنائيـة، ويظنـان أن بإمكانهما البحث عنها بسرّية مطلقة. أنا من يُفترض بها أن تطلب إليك التحدث إلى هؤلاء القوم، وليس أمي. هل تفهم ذلك؟ أبداً!».

«هل تعرفين هؤلاء القوم؟».

«حسـناً، لـم أُدعَ إلـى حفـل الزفـاف الـذي أفسـدته الفتـاة الصغيرة».

«هل كنتِ تعرفين الفتاة إذاً؟».

«بالكاد».

«وإلى أين قد تكون هربت؟».

«كيف لي أن أعرف ذلك؟».

هزّ إرلندور كتفيه غير مبالٍ.

قال: «كنت أفكّر فيك منذ دقيقة».

قالت إيفا ليند: «لطيف. كنت أتساءل فقط إذا...».

قـال إرلنـدور وهـو يجلـس على كرسـي مواجـهٍ لها: «ليس لدي مال. هل أنتِ جائعة؟».

قوّست إيفا ليند ظهرها.

قالـت: «لمـاذا لا يمكننـي التكلـم معـك أبـداً مـن دون أن تذكر المال؟». شعر إرلندور كما لو أنها قد سرقت جملته.

«ولماذا لا يمكنني التكلم إليك أبداً عن دورتك؟».

«آه، تباً لك».

«لماذا تتكلمين بتلك الطريقة؟ ما الخطب؟ تقولين تباً لك! كيف هي الحال يا صاح؟ أي نوع من اللغة تلك؟».

همهمت إيفا ليند ساخرة.

«من أنتِ هذه المرة؟ إلى من أتكلم الآن؟ أين شخصيتك الحقيقية في كل هذه المجموعة من الكلمات الممجوجة؟».

قلّدته: «لا تبدأ ذلك الهراء مجدداً. من أنتِ؟ أين شخصيتك الحقيقية؟. أنا هنا. أجلس أمامك. إنها أنا!».

«إيفا».

قالت: «عشرة آلاف كرونا! ماذا تشكل بالنسبة إليك؟ ألا يوجد معك عشرة آلاف؟ أنت ميسور».

نظر إرلندور إلى ابنته. لقد لاحظ عليها شيئاً فور وصولها. كانت تلهث، وظهرت قطرات عرق على جبينها وكانت تتململ باستمرار في جلستها. كما لو أنها كانت مريضة.

سأل: «هل أنتِ مريضة؟».

«أنا بخير، أحتاج فقط إلى بعض المال، أرجوك، لا تكن صعباً».

«هل أنتِ مريضة؟».

«أرجوك».

تابع إرلندور النظر إلى ابنته.

قال: «هل تحاولين الإقلاع؟».

«أرجوك، عشرة آلاف، ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة إليك. لن أطلب منك مالاً مجدداً».

«نعـم، بالتأكيـد. كـم مضـى من الوقت علـى...». تردد إرلندور، غير واثق كيف يصيغ الجملة، «... تناولك تلك المادة؟».

«لا يهـم. لقـد أقلعـت. أقلعـت، أقلعـت!». وقفت إيفا ليند على قدميها. «أعطني عشـرة آلاف. أرجوك. خمسـة، أعطني خمسـة آلاف. ألا تحمل ذلك المبلغ في جيبك؟ خمسة! ذلك مبلغ زهيد».

«ما الذي تحاولين الإقلاع عنه الآن؟».

نظرت إيفا ليند إلى والدها. «لا تسأل أسئلة غبية. أُقلع عن ماذا؟ ما الذي يجب أن أُقلع عنه؟ توقف عن قول مثل ذلك الهراء!».

«مـا الـذي يجـري؟ مـا الذي يشـغلك إلى ذلـك الحدّ؟ هل أنتِ مريضة؟».

«نعـم، أنـا مريضـة جـداً. هـل يمكنك إقراضي عشـرة آلاف؟ إنه قرض، سأردّه لك، اتفقنا؟ وغد شحيح».

«شحيح كلمة جيدة. هل أنتِ مريضة يا إيفا؟».

قالت وهي تزداد حنقاً: «لماذا تسألني ذلك باستمرار؟».

«هل تعانين من حرارة؟».

«أعطني المال. ألفان! ذلك مبلغ زهيد! أنت لا تفهم أيها العجوز الأحمق الغبي!».

كان إرلنـدور واقفـاً علـى قدميـه آنذاك أيضاً عندما اندفعت نحوه كما لو أنها ستنقضّ عليه.

لم يجد سبباً لتلك العدائية المفاجئة. نظر إليها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها.

صرخـت بوجهـه: «مـا الـذي تنظر إليه؟ هـل أنت معجبٌ؟ هه؟ هل الوالد العجوز الدنيء معجب قليلا؟».

صفع إرلندور وجهها، لكن ليس بقوة.

قالت: «هل استمتعت بذلك؟».

صفعها مجدداً، أقوى هذه المرة.

قالت: «هل أثارك ذلك؟». وقفز إرلندور مبتعداً عنها. لم تكن قد تكلمت إليه بتلك الطريقة من قبل. في لحظة أصبحت وحشاً. لم يرها على تلك الحال من قبل. شعر بالعطف تجاهها وسرعان ما هدأ غضبه لتحل مكانه الشفقة.

كرّر: «ما الذي تحاولين التخلص منه الآن؟».

صرخت: «لا أحاول التخلص من شيء الآن! ما خطبك؟ ألا تفهم ما أقوله؟ من الذي يتكلم عن التخلص من أي شيء؟».

«ما الخطب يا إيفا؟».

«توقف عن قول ما الخطب يا إيفا! ألا يمكنك منحي خمسة آلاف؟ هل يمكن أن تجيبني؟». بدا أنها قد هدأت آنذاك. ربما أدركت أنها قد مضت بعيداً في الخطأ مع والدها، وأنها لا تستطيع التكلم إليه بتلك الطريقة.

سأل إرلندور: «لماذا الآن؟».

«هل ستمنحني عشرة آلاف إذا أخبرتك؟».

«ماذا حدث؟».

«خمسة آلاف».

حدّق إرلندور إلى ابنته. سأل: «هل أنتِ حامل».

نظرت إيفا ليند إلى والدها بابتسامة إذعان.

قالت: «أصبت».

همهم إرلندور: «لكن كيف؟».

«ماذا تعني بكيف؟ هل تريد مني الدخول في التفاصيل؟».

«لا أريـد التفاصيـل. أنـتِ تسـتخدمين حمايـة بالتأكيـد واقيـاً؟ حبوباً؟».

«لا أدري ما جرى. لقد حدث وحسب».

«وتريدين أن تقلعي عن الممنوعات؟».

«ليس بعد الآن. لا يمكنني. لقد أخبرتك كل شيء. كل شيء! تدين لي بعشرة آلاف».

«لجعل طفلك خبلاً».

«إنه ليس طفلاً، أيها الغبي، إنه لا شيء، إنها حفنة من مسحوق، لا يمكنني الإقلاع فوراً. سأقلع غداً، أعدك، ليس الآن. ألفان. ما الذي يشكّله مثل هذا المبلغ بالنسبة إليك؟».

عـاد إرلنـدور إليهـا. «لكنـكِ حاولـت. تريديـن أن تُقلعـي، سأساعدك».

صرخـت إيفـا لينـد: «لا أسـتطيع!». تصبـب العرق على وجهها، وحاولت إخفاء الرعشة التي سرت في كل جسدها.

قال إرلندور: «لهذا السبب جئتِ لرؤيتي. كان بإمكانك الذهاب إلى مكان آخر للحصول على المال. لقد سـبق لك أن فعلت ذلك. لكنكِ جئت إليّ لأنك تريدين...».

«توقـف عـن ذلـك الهـراء. جئت لأن أمي طلبت إليّ ذلك ولأن لديك المال، وليس لأي سبب آخر. إذا لم تمنحني إياه سأحصل عليه على كل حال. تلك ليسـت مشـكلة. هناك الكثير من الرجال العجائز مثلك المستعدين ليدفعوا لي».

رفض إرلندور أن يدعها تخرج عن الموضوع الرئيس.

«هل كنتِ حاملاً من قبل؟».

ردّت إيفا ليند وهي تنظر بالاتجاه الآخر: «لا».

«مَن الأب؟».

كانت إيفا ليند مصعوقة، نظرت إلى والدها بعينين مشدوهتين.

صرخت: «مرحباً! هل أبدو أنني قد جئت للتو من جناح العرسان في فندق ساغا؟».

وقبل أن تتسنّى لإرلندور فرصة فعل شيء، دفعته بعيداً، وهربت من الشقة، نزولاً على السلالم إلى الشارع حيث اختفت تحت مطر الخريف البارد.

أغلق الباب بهدوء خلفها، متسائلاً ما إذا كانت مقاربته للأمر صحيحة. بدا الأمر كما لو أنهما لا يستطيعان التحدث إلى بعضهما بعضاً من دون جدال وصراخ، لقد تعب كثيراً من ذلك.

بعد أن فقد شهيته لتناول الطعام، جلس على كرسيه، يهيم كئيباً في الفراغ، ويتساءل عن الشخص الذي قد تلجأ إيفا ليند إليه. أخيراً أمسك كتاباً مفتوحاً كان قد بدأ بقراءته. هذا الكتاب من إحدى سلاسله المفضّلة، يصف محناً وشدائد في البراري.

تابع القراءة من حيث كان قد أنهى في قصة بعنوان **حياة تضيع في موسفيلشيدي** وسرعان ما وصل إلى عاصفة ثلجية عاتية تجمّد خلالها بعض الشباب حتى الموت.

3

كان المطر ينهمر مدراراً على إرلندور وسـيغوردور أولي عندما أسرعا بالخروج من سيارتهما، ركضا على الدرج إلى المبنى السكني في ستيغاهليد وقرعا الجرس. كانا قد فكّرا في الانتظار حتى يتوقف هطول المطر، لكن إرلندور ملّ، فخرج بسرعة من السيارة. لم يرغب سـيغوردور أولي الانتظار في الخلف، ولهذا تبعه. تبللا بالماء خلال لحظـة. كان المـاء يقطـر من شـعر سـيغوردور أولـي نزولاً إلى ظهره، حدّق إلى إرلندور بينما كانا ينتظران أن يُفتح الباب.

في اجتماع ذلك الصباح كان أفراد الشـرطة الذين اشـتركوا في الحديـث قـد حـددوا الاحتمـالات. إحـدى النظريـات أفـادت أن قتل هولبـرغ لـم يكـن لـه دافـع علـى الإطلاق، وأن المهاجـم كان يتجول في أنحاء الحي منذ بعض الوقت، وربما حتى منذ أيام: لص يبحث عن مكان يقتحمه، فطرق باب هولبرغ ليكتشف أن شخصاً ما بالداخل، ثـم ارتعـب عندمـا أجابـه المالك، والرسـالة التـي تركها خلفه لتضليل الشرطة فقط. لم يكن لها معنى آخر واضح ومباشر.

في اليوم الذي قُتل فيه هولبرغ، كان سكان المبنى في ستيغاهليد قد أبلغوا أن امرأتين عجوزين، شقيقتين توأم، تعرضتا لاعتداء من قبل شاب يرتدي سترة عسكرية خضراء. سمحت إحداهما له بالدخول من الباب الرئيس بعدما فتحته له آلياً من شـقتهما، وقام المهاجم بالقرع على باب شقتهما. عندما فتحتا اندفع إلى الداخل، أغلق الباب خلفه بعنف وطلب مالاً. عندما رفضتا، لكم إحداهما على وجهها بقبضته،

ودفع الأخرى أرضاً، وركلها قبل أن يفرّ.

ردّ صوت عبر جهاز الاتصال البيني وقال سيغوردور أولي اسمه. طنّ الباب ودخلا. كانت إضاءة السلالم قوية ورائحتها نتنة. عندما وصلا إلى الطابق الأعلى كانت إحدى المرأتين تقف في الممر تنتظرهما.

سألت: «هل ألقيتم القبض عليه؟».

قال سيغوردور أولي وهو يهز رأسه: «لا لسوء الحظ، لكننا نود أن نتكلم إليكما بشأن...».

قال صوت من داخل الشقة: «هل ألقوا القبض عليه؟». وظهرت نسخة طبق الأصل عن المرأة الأولى أمامهما في الممر. كان عمرها يناهز السبعين سنةً وكل منهما ترتدي تنورة سوداء وكنزة حمراء. كانتا ممتلئتين وكان شعرهما أشيب ومصففاً فوق رأسين مدوّرين مع نظرة توقّع واضحة.

قال إرلندور: «ليس بعد».

قالت المرأة الأولى، واسمها فيولا: «كان بائساً فقيراً». ثم دعتهما إلى الدخول.

قالت المرأة الثانية، واسمها بيرنا: «لا تشعري بالشفقة عليه». وأغلقت الباب بعد دخول المفتشين. «كان وحشاً قبيحاً ضربك على رأسك. ذلك شخص بائس بالنسبة إليك، هه».

جلس المحققان في غرفة الجلوس، نظرا أولاً إلى المرأتين بالتناوب ثم إلى بعضهما بعضاً. شقتهما صغيرة. لاحظ سيغوردور أولي غرفتي نوم متصلتين. من غرفة الجلوس كان بمقدوره رؤية ما يوجد داخل المطبخ الصغير.

قال سيغوردور أولي، الذي اطّلع على إفادتي الشقيقتين على

عجـل فـي الطريـق إليهمـا: «قرأنا إفادتيكما. هل يمكنكما تزويدنا بأي تفاصيل أخرى عن الرجل الذي هاجمكما؟».

قالت فيولا: «رجل؟ كان أقرب إلى الشباب».

قالت بيرنا: «كبير بما يكفي ليهاجمنا. كان كبيراً بما يكفي ليفعل ذلك. دفعني إلى الأرض وركلني».

قالت فيولا: «ليس لدينا أي مال».

قالت بيرنا: «لا نحتفظ بالمال هنا، وقد أخبرناه بذلك».

«لكنه لم يصدّقنا».

«وهاجمنا».

«كان متوحشاً».

«وأسوأ. هي الصفات التي نعتنا بها».

«بتلك السترة الخضراء المريعة. مثل جندي».

«كان ينتعل ذلك النوع من الأحذية الثقيلة، السوداء، التي يشدّها بإحكام إلى قدميه».

«لكنه لم يحطم أي شيء».

«لا، لقد فرّ وحسب».

قال إرلندور: «هل أخذ شيئاً؟».

قالـت فيـولا وهـي تحـاول جاهـدة قـدر الإمـكان أن تجد عذراً لمهاجمها: «لم يبدُ أنه بكامل قواه العقلية. لم يحطم أو يأخذ شـيئاً. هاجمنـا فحسـب عندمـا أدرك أنـه لـن يحصـل علـى مـال منـا. بائس فقير».

قالت بيرنا بغضب: «كان يبدو ثملاً. بائسـاً فقيراً؟». اسـتدارت إلى شقيقتها. «أحياناً تكونين غبيةً حقاً، كان ثملاً تماماً، عرفت ذلك من عينيه. عيناه قاسيتان لامعتان، وكان يتصبّب عرقاً».

قال إرلندور: «يتصبّب عرقاً؟».
«كان وجهه ينضحُ عرقاً».
قالت فيولا: «كان ذلك المطر».
«لا. وكان جسده كله يرتعش».
كرّرت فيولا: «المطر». ورمقتها بيرنا بنظرة غضب.
«ضربك على رأسك يا فيولا. لم يكن ذلك ضرورياً أبداً».
سألت فيولا: «هل لا يزال مكان الضرب يؤلمك؟». ونظرت إلى إرلندور، كان باستطاعته أن يقسم أن عينيها ترقصان فرحاً.

في الصباح الباكر وصل إرلندور وسيغوردور أولي إلى نوردورمايري. كان جيران هولبرغ في الطابقين الأرضي والأول بانتظارهما. وقد سبق للشرطة أن أخذت آنذاك إفادة العائلة التي عثرت على جثّة هولبرغ، لكن إرلندور كان يرغب في الحديث إلى هذه العائلة مجدداً. يقطن طيّار في الطابق الأول، في اليوم الذي قتل فيه هولبرغ عاد الطيار إلى منزله من بوسطن بعد الظهر، آوى إلى الفراش بعد الظهر، ولم يتحرك منه حتى قرعت الشرطة بابه.

بدأا التحقيق مع الطيّار الذي فتح الباب، كان غير حليق ويرتدي قميصاً داخلياً وسروالاً قصيراً. في الثلاثينيات من العمر، يعيش وحيداً، وشقته مثل كومة نفايات؛ ملابس مبعثرة في كل مكان، حقيبتا سفر مفتوحتان على أريكة جلدية جديدة، أكياس نايلون من متجر سوق حرة منتشرة على الأرض، زجاجات شراب فرنسي على الطاولات، وعلب شراب شعير مفتوحة حيث يوجد مكان لها. نظر إليهما، ثم مشى عائداً داخل الشقة من دون أن ينبس ببنت شفة، وارتمى على كرسي. وقفا أمامه، لم يجدا شيئاً يجلسان عليه. جال إرلندور بنظره

في أرجاء الغرفة وقال لنفسه لا أجرؤ على ركوب طائرة مع هذا الرجل.

لسبب ما بدأ الطيّار يتكلم عن الطلاق الذي يستكمل إجراءاته، وتساءل ما إذا كان ممكناً أن تصبح القضية من اختصاص الشرطة. كانت الساقطة قد بدأت تخونه. كان بعيداً، مسافراً. عاد إلى المنزل من أوسلو يوماً، ليجد زوجته مع صديق دراسته القديم. أمر شنيع، أضاف، ولم يعرف المحققان ما كان يعتبره أكثر شناعة، أن تكون زوجته ساقطة أو اضطراره إلى البقاء في أوسلو.

قال إرلندور مقاطعاً كلام الطيّار المسترسل: «في ما يتعلق بالجريمة التي وقعت في شقة القبو».

سأل الطيّار: «هل ذهبت إلى أوسلو من قبل؟».

قال إرلندور: «لا. لن نتكلم عن أوسلو».

نظر الطيّار أولاً إلى إرلندور ثم إلى سيغوردور أولي، وأخيراً بدا أنه قد استوعب الأمر.

قال: «لم أكن أعرف الرجل على الإطلاق. اشتريت هذه الشقة قبل أربعة شهور، وحسبما فهمت فقد شَغَرت لوقت طويل قبل ذلك. التقيت به عدّة مرات، في الممر فقط، كان يبدو لا بأس به».

قال إرلندور: «لا بأس به؟».

«أعني يمكن التكلم معه».

«ما الذي تكلمتما عنه؟».

«غالباً، الطيران. كان مهتماً بالطيران».

«ماذا تعني أنه كان مهتماً بالطيران؟».

قال الطيّار وهو يفتح علبة شراب شعير أخرجها من أحد أكياس النايلون: «الطائرة». قال وهو يبتلع رشفة من الشراب: «المدن». قال

وهو يتجشأ: «المضيفات»، ثم أضاف: «سألني كثيراً عن المضيفات. تعرف ما أعنيه».

قال إرلندور: «لا».

«تعرف ذلك. في محطات التوقف. في الخارج».

«نعم».

«ماذا يجري، هل هن بارعات؟ أشياء من ذلك القبيل. لقد سمع أن الحماسة تصبح شديدة... في الرحلات الدولية».

سأل سيغوردور أولي: «متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟».

أمعن الطيّار التفكير في الأمر، لكنه لم يتذكر. قال أخيراً: «كان ذلك قبل بضعة أيام».

سأل إرلندور: «هل لاحظت أحداً زاره مؤخراً؟».

«لا، أنا لا أمكث في المنزل كثيراً».

«هل لاحظت أحداً يتطفل في الجوار، يتصرف بشكل يدعو إلى الشك، أو يتسكع حول المنازل؟».

«لا».

«أي شخص يرتدي سترة عسكرية خضراء؟».

«لا».

«شاب ينتعل حذاءً عسكرياً؟».

«لا. هل كان الفاعل؟ هل تعرفان من فعل ذلك؟».

قال إرلندور: «لا». وداس على علبة شراب شعير نصف ممتلئة عندما استدار ليغادر الشقة.

كانت المرأة قد قرّرت أخذ ولديها إلى منزل والدتها لبضعة

أيام، وهي على أهبة الاستعداد للمغادرة. لم تُرِد أن يبقى الولدان في المنزل بعد ما حدث، أومأ زوجها موافقاً، ذلك أفضل شيء لهما. كان واضحاً أن الوالدين مصدومان. كانا قد اشتريا الشقة قبل أربع سنوات، وأحبا العيش في نوردورمايري. مكان مناسب للعيش، ولعائلات لها أولاد أيضاً. كان الولدان يقفان إلى جانب والدتهما.

قال الزوج بصوتٍ أقرب إلى الهمس: «كان مريعاً العثور عليه على تلك الحال». نظر إلى الولدين، وأضاف: «قلنا لهما إنه كان نائماً، لكن...».

قال الفتى الأكبر سناً: «نعرف أنه كان ميتاً».

قال الأصغر: «قُتل».

ابتسم الاثنان بارتباك.

قالت الأم: «إنهما يتقبلان الأمر جيداً». وربتت على وجنة الفتى الأكبر سناً.

قال الزوج: «لم أكن أكره هولبرغ. كنا أحياناً نتجاذب أطراف الحديث في الخارج. عاش في المنزل لوقت طويل، وكنا نتكلم عن الحديقة والصيانة، كما تتكلّم مع جيرانك».

قالت الأم: «لكن علاقتنا لم تكن وثيقةً معه، أظن أنها كانت كما يجب أن تكون، أظن أنه يجب المحافظة على الخصوصية، كما تعلم».

لم يلاحظوا وجود أشخاص غرباء بجوار المنزل كما لم يروا أحداً يرتدي سترة عسكرية خضراء يتجول في الحي. لم تعُد الزوجة تطيق صبراً فهي تريد إبعاد الولدين عن المكان.

سأل سيغوردور أولي: «هل كان لهولبرغ زوّار كُثر؟».

قالت الزوجة: «لم أرَ أحداً أبداً».

قال زوجها: «كان يعطي انطباعاً بأنه منعزل».
قال الابن الأكبر سناً: «كانت رائحة شقته كريهة».
كرّر شقيقه: «رائحتها كريهة».
قال الزوج مبرراً: «الرطوبة شديدة في القبو».
قالت الزوجة: «تصل رائحة الرطوبة إلى هنا أحياناً».
«تكلمنا معه بشأن ذلك».
«وعد بأنه سيتدبّر الأمر».
«كان ذلك منذ سنتين».

4

نظـر الزوجـان مـن غاردابير إلـى إرلندور والألم يعتصر قلبيهما. كانـت ابنتهمـا الصغيـرة مفقـودة. لم يسـمعا أي أخبـار عنها منذ ثلاثة أيـام. عندمـا فـرّت مـن حفل الزفاف. كان إرلندور يتخيل طفلة بشـعر ذهبـي معقـوف إلـى أن قيـل لـه إن عمرها ثلاث وعشـرون سـنة وهي طالبة علم نفس في جامعة أيسلندا.

سأل إرلندور وهو ينظر في أرجاء حجرة الجلوس المترفة التي كانت تبدو مثل طابق كامل من المبنى السكني الذي يعيش فيه: «الزفاف؟».

قـال الأب كأنـه لـم يتمكّـن من اسـتيعاب الأمر: «زفافها! هربت الفتاة من حفل زفافها!».

وضعت الأم منديلاً مطوياً على أنفها.

كانـت الظهيـرة. ونظـراً للأشـغال علـى الطرقـات فـي ريكيافيك اسـتغرقت رحلة إرلندور نصف سـاعة ليصل إلى غاردابير، ولم يعثر علـى المنـزل المسـتقل الكبيـر إلا بعـد بحـث مضـنٍ. لـم يكن ممكناً التعرّف إليه من الشارع، لأنه مُحاطٌ بحديقة كبيرة تنمو فيها كل أنواع الأشـجار، والتي يصل ارتفاعها إلى سـتة أمتار. التقى الزوجين وهما بحالة صدمة واضحة.

كان إرلنـدور يظـن أن تلـك مضيعـة للوقت. كانت قضايا أخرى أكثر أهمية بانتظاره، لكن رغم إنه لم يتكلم سوى في مناسبات نادرة مع طليقته طيلة عقدين من الزمن، إلا أنه كان يشعر أن من واجبه أن يُسدي إليها معروفاً.

كانت الأم ترتدي فستاناً أنيقاً أخضر فاتحاً، والأب بذلة سوداء. قال إن قلقه يزداد باضطراد على ابنته. كان يعرف أنها ستعود إلى المنزل في نهاية المطاف، وأنها على أفضل ما يرام - كما أنه يرفض تصديق أي شيء بخلاف ذلك - لكنه يريد استشارة الشرطة، رغم أنه لا يرَ أي سبب لاستدعاء فرق بحث وإنقاذ بشكل مباشر، أو إرسال إعلانات إلى الإذاعة الصحف والتلفاز.

قالت الأم: «لقد اختفت من دون سابق إنذار». كان الزوجان يبدوان أكبر قليلاً من إرلندور، ربما في الستين من عمريهما. كانا يديران عملاً لاستيراد ألبسة الأطفال منحهما ذلك وفرة جعلتهما يتمتعان بنمط عيش مترف وبثراء مُحْدَث. وكأن الحظ قد حالفهما. لاحظ إرلندور سيارتين جديدتين أمام مرأبهما الثنائي، تتألقان لمعاناً.

استجمعت قواها وبدأت تخبر إرلندور القصة. «حدث ذلك يوم السبت - قبل ثلاثة أيام، يا إلهي كيف يمرّ الوقت - وكان يوماً رائعاً. كان ذلك القسُّ الشهير جداً قد زوّجهما للتو».

قال زوجها: «ذلك القسُّ ميؤوس منه. جاء مسرعاً، ألقى بضع كلمات نحفظها جميعاً وغادر مع حقيبته. لا أفهم سبب شهرته الواسعة».

لم تكن زوجته لتدع شيئاً يفسد جمال الزفاف.

«يوم رائع! شمس مشرقة، وطقس خريفي جميل. اجتمع في الكنيسة وحدها مئة شخصٍ. كان لديها أصدقاء كُثر، يا لها من فتاة محبوبة، أقمنا حفل الاستقبال في قاعة هنا في غاردابير. ماذا كان اسم المكان؟ أنا أنسى دائماً».

قال الأب: «غارداهولت».

تابعت قائلة: «يا له من مكان رائع ومريح. ملأنا القاعة بالكثير من الهدايا. ثم عندما... ثم عندما...».

تابع الوالد عندما انفجرت زوجته بالبكاء: «كان يُفترض أن يرقصا الرقصة الأولى وكان الفتى الأحمق يقف على أرضية الرقص. نادينا على ديزا روز، لكنها لم تأتِ. بدأنا نبحث عنها، لكن كأن الأرض انشقّت وابتلعتها».

قال إرلندور: «ديزا روز؟».

«تبيّن أنها قد أخذت سيارة الزفاف».

«سيارة الزفاف؟».

«الليموزين. مع الورود والأشرطة، التي أحضرتهما من الكنيسة. هربت ببساطة من حفل الزفاف، من دون سابق إنذار! من دون تفسير!».

صرخت الأم: «من حفل زفافها!».

«ولا تعرفان ما الذي جعلها تفعل ذلك؟».

قالت الأم: «واضحٌ أنها غيّرت رأيها، لا بد أنها ندمت على الأمر برمّته».

قال إرلندور: «لكن لماذا؟».

سأل الأب: «أرجوك، ألا يمكنك العثور عليها من أجلنا؟ لم تتصل بنا منذ ذلك الوقت. إننا مرتبكان وقلقان عليها. كانت حفلة الزفاف سيئة للغاية. نحن مرتبكان تماماً. وابنتنا الصغيرة مفقودة».

«سيارة الزفاف، هل عُثر عليها؟».

«نعم، في غارداستريتي [منطقة]».

«لماذا هناك؟».

«لا أدري. لا تعرف أحداً هناك. وُجدَ ثوب زفافها في السيارة».

تـردّد إرلنـدور، أخـذ يفكـر قليـلاً بالسـياق الـذي اتخذتـه هـذه المحادثة وما إذا كان بطريقة ما مسؤولاً عن ذلك قال أخيراً: «وُجِدَ ثوب زفافها في سيارة الزفاف؟».

قالت الزوجة: «خلعت عباءة الزفاف وارتدت الملابس التي كان واضحاً أنها قد وضعتها في السيارة».

سـأل الأب: «هـل تظـن أن بإمكانـك العثـور عليهـا؟ لقد اتصلنا بـكل مـن تعرفـه، ولا أحـد يعـرف شـيئاً، لا نعـرف أيـن نبحث عنها، لدي صورة لها هنا».

سـلّم الأب إرلندور صورة مدرسـية لشـقراء يافعة، جميلة، ذات ابتسامة ساحرة.

«هل لديك فكرة عمّا حدث؟».

أجابت أم الفتاة: «لا شيء أبداً».

قال الأب: «لا شيء».

«وهذه هي الهدايا؟». نظر إرلندور إلى طاولة الطعام الضخمة، المكدّس عليها علب ملونة، أقواس جميلة، ورق لامع وورود. مشى نحوها بينما كان الزوجان يراقبانه. لم يسبق له رؤية مثل ذلك العدد من الهدايا في حياته، وتساءل عمّا يوجد داخل العلب. ظن أنها تحوي المزيد من الأواني الخزفية.

يا لها من حياة.

قال وهو يشير إلى بعض الأغصان من شجرة موضوعة في آنية فخارية ضخمة عند أحد طرفي الطاولة: «وما هذه هنا؟». كانت بطاقات حمراء على شكل قلوب تتدلى من الأغصان معلّقة بشرائط.

«إنها شجرة رسائل».

قـال إرلنـدور: «مـاذا؟». فهـو لـم يحضـر سـوى حفلـة زفـاف

واحدة في حياته منذ وقت طويل. لم تكن هناك شجرة رسائل في الماضي.

قالت الأم وهي لا تزال تضع منديلها على أنفها: «يكتب الضيوف تهنئة للعريس والعروس على بطاقات ثم يعلّقونها على الشجرة. لقد تم تعليق كثير من البطاقات قبل اختفاء ديزا روز».

رنّ هاتف إرلندور الخلوي في جيب معطفه. عندما أدخل يده في الجيب لإخراجه علق الهاتف في فتحة الجيب، وبدلاً من أن يحرره بهدوء، وقد كان ذلك أمراً في غاية السهولة، شدّه إرلندور بقوة حتى تمزّق الجيب وارتدت يده التي تحمل الهاتف إلى الخلف بقوة واصطدمت بشجرة الرسائل فوقعت على الأرض. نظر إرلندور إلى الزوجين معتذراً وأجاب على الهاتف.

قال سيغوردور أولي دون أي استهلال: «هل ستأتي معنا إلى نوردورمايري؟ لإلقاء نظرة أفضل على الشقة».

سأل إرلندور: «هل أنت هناك الآن؟». ومن ثم استدار إلى أحد جانبيه.

قال سيغوردور أولي: «لا. سأنتظرك، أين أنت بحق السماء؟».

أنهى إرلندور المكالمة.

قال للزوجين: «سأرى ما يمكنني فعله. لا أظن أن هناك أي خطر عليها. ربما فقدت ابنتكما أعصابها وتقيم مع بعض الأصدقاء. يجب ألا تقلقا كثيراً. أنا واثق أنها ستتصل بكما قريباً».

انحنى الزوجان فوق البطاقات الصغيرة التي تبعثرت على الأرض. لاحظ أنهما غفلا عن التقاط بعض البطاقات التي كانت قد انزلقت تحت كرسي، فانحنى والتقط واحدةً منها. قرأ إرلندور التهنئة ونظر إلى الزوجين.

سأل: «هل رأيتما هذه؟»، وسلّمهما البطاقة.

قرأ الأب الرسالة وظهرت نظرة ذهول على وجهه. سلّم البطاقة إلى زوجته. قرأتها مراراً وتكراراً لكنها لم تفهمها كما يبدو. مدّ إرلندور يده ليستعيد البطاقة وقرأها مجدداً. لم تكن الرسالة موقعة.

سأل: «هل هذا خط ابنتكما؟».

ردّت الأم: «أظن ذلك».

قلّب إرلندور البطاقة بين يديه وقرأ الرسالة من جديد:

إنه وحش ما الذي فعلته؟

5

سـأل سـيغوردور أولـي إرلنـدور عندمـا عـاد إلـى العمـل: «أين كنت؟»، لكنه لـم يتلقَ جواباً.

سأل: «هل حاولت إيفا ليند الاتصال بك؟».

قال سـيغوردور أولي إنه لا يظن ذلك. كان يعرف ابنة إرلندور ومشكلاتها، لكن أياً منهما لم يذكر ذلك أبداً. فالأمور الشخصية نادراً ما تظهر خلال محادثاتهما.

سـأل إرلندور: «هل من جديد بشـأن هولبرغ؟»، ومشـى مباشـرة إلـى مكتبـه. تبعـه سـيغوردور أولـي وأغلق البـاب. كانت جرائم القتل نـادرة فـي ريكيافيـك لذلـك كانـت تحظى بتغطية إعلامية واسـعة عند حصولهـا. كانـت إدارة البحـث الجنائـي قد اعتمدت قاعدة عدم إبلاغ وسـائل الإعـلام تفاصيـل تحقيقاتهـا إلا إذا كان ذلـك ضرورياً للغاية، لم تكن تلك القاعدة تنطبق على هذه القضية.

قـال سـيغوردور أولـي وهـو يفتـح ملفـاً كان يحملـه: «نعـرف بعـض المعلومـات الإضافيـة عنـه. ولـد فـي سـوداركروكور [بلـدة شـمالي أيسـلندا]، عمره تسـع وسـتون سـنةً. أمضى سنواته الأخيرة سـائق شـاحنة لشـركة أيسـلندا للنقل. لا يزال يعمل هناك بين الفينة والأخرى».

توقـف سـيغوردور أولـي قليـلاً ثـم قـال وهو يشـد ربطـة عنقه: «ألا يجب أن نتكلم إلى زملائه في العمل؟». كان سـيغوردور أولي يرتدي بذلة جديدة، هو رجل طويل ووسيم، خريج قسم علم الإجرام

مـن إحـدى الجامعـات الأميركيـة. هـو نقيض إرلنـدور تماماً: عصري ومنظّم.

سأل إرلندور وهو يعبث بزر غير مثبت بإحكام في سترته الصوفية والذي سقط أخيراً في راحة كفه: «ماذا يظن الناس في المكتب؟». كان قوياً مفتول العضلات، وشعره بنياً كثيفاً، هو أحد أكثر المحققين خبرة فـي الفريـق. ينجـح عـادة فـي ترجيح كفة رأيه كما أن مدراءه وزملاءه قد تخلوا منذ وقت طويل عن الجدال معه. كانت الأمور قد استقرت على تلك الحال بمرور السنين. لم يكره إرلندور ذلك.

قـال سـيغوردور أولـي: «ربمـا فعلهـا أحـد المعتوهيـن. في هذا الوقت نحن نبحث عن صاحب السترة العسكرية الخضراء. فتى أراد بعض المال لكنه هُلِع عندما رفض هولبرغ».

«ماذا عن عائلة هولبرغ؟ هل كان لديه أي أقرباء؟».

«لا عائلة له. لكننا لم نحصل على كل المعلومات بعد، ما زلنا نجمعها من العائلة، الأصدقاء، وزملاء العمل».

«كما تبدو عليه شـقته، يمكنني القول إنه يقيم وحيداً منذ وقت طويل».

أفلتـت مـن سـيغوردور أولي جملـة: «أنت تعرف ذلك بالطبع»، لكن إرلندور تظاهر بأنه لم يسمع.

«هـل هنـاك شـيء مـن أخصائـي علـم الأمـراض؟ الطـب الشرعي؟».

«وصـل التقريـر الأولـي. ليـس فيه شـيء لا نعرفه. مات هولبرغ نتيجة ضربة على الرأس. كانت ضربة قوية، ظهرت على شكل حافة مـن الحـواف الحـادة للمنفضـة. تهشّـمت جمجمته ومـات فوراً... أو

بعـد وقـت قصيـر. بـدا أنـه قـد حطـم زاوية الطاولة الصغيـرة في أثناء سـقوطه. تعرض لجرح بليغ في جبينه عندما اصطدم بزاوية الطاولة. كانـت البصمـات علـى المنفضـة لهولبرغ كمـا وجدت البصمات على بعض الأشياء وعلى قلم الرصاص أيضاً.

«هل هي للقاتل إذاً؟».

«هناك احتمال كبير بأن تكون للقاتل، نعم».

«حسنٌ، جريمة أيسلندية نموذجية بشعة».

«نموذجية. ذلك هو الافتراض الذي نعمل عليه».

المطر لا يزال منهمراً. تتجه جبهات الضغط الجوي المنخفض التي تأتي من المحيط الأطلسي في ذلك الوقت من السنة شرقاً عبر أيسلندا بالتتابع، تحمل معها رياحاً، رطوبة، وظلمة شتاء حالكة. كان أفراد البحث الجنائي لا يزالون يعملون في مبنى نوردورمايري. ذكّر شـريط الشـرطة الأصفـر الـذي يحيط بالبناء إرلنـدور بلوحة كهربائية، حفرة في الطريق، خيمة متسخة ووميض ضوء داخلها، والهدايا الأنيقة المغلّفة بشريط أصفر. بالطريقة نفسها، كانت الشرطة قد طوّقت مسرح الجريمة بشريط نايلون أصفر أنيق مطبوع عليه اسمها. التقى إرلندور وسـيغوردور أولـي الينبـورغ والمحققين الآخريـن الذين أنهوا عملهم للتو، بعدما أمضوا تلك الليلة الخريفية الباردة بتمشيط المبنى.

تم استجواب أشخاص من مبانٍ مجاورة لكن أياً منهم لم يكن قد لاحظ أي تحركات مشبوهة في مسرح الجريمة بين صباح الاثنين ووقت العثور على الجثة.

بسرعة لم يبقَ أحد في المبنى سوى إرلندور وسيغوردور أولي.

بقع الدماء على السجادة أصبحت سوداء. كان قد تم التحفّظ على المنفضة كبيّنة، وعلى قلم الرصاص وأوراق الكتابة. بكلمات أخرى بدا الأمر وكأن شيئاً لم يحدث. ذهب سيغوردور أولي لإلقاء نظرة على المختلى والممر إلى غرفة النوم، بينما تجول إرلندور في أرجاء غرفة الجلوس. كانا يضعان قفازين مطاطيين بيضاوين. والبصمات ظاهرة ومؤطرة على الجدران. في خزانة المكتبة كانت هناك روايات مترجمة، كتب بأغلفة ورقية، بعضها مقروء، وبعضها الآخر لم يمس. لم تكن هناك كتب بأغلفة كرتونية. انحنى إرلندور حتى كاد يصل إلى الأرض، قرأ عناوين الرف السفلي ولم يعرف إلا واحداً منها: **لوليتا** [رواية نُشرت 1955] لنابوكوف [فلاديمير، مؤلف روسي]، بغلاف ورقي، سحبه من رف الكتب، كانت نسخة إنكليزية ومقروءة آنذاك.

أعاد الكتاب إلى مكانه واتجه نحو المنضدة. كانت على شكل حرف أل وتشغل إحدى زوايا غرفة الجلوس. إلى جانبها كرسي جديد مريح، وحصيرة بلاستيكية تحتها لحماية السجادة. تبدو المنضدة أقدم بكثير من الكرسي. كانت هناك أدراج على كلا الجانبين تحت سطح المنضدة العريض ودرج طويل في الوسط، عددها الإجمالي تسعة. على سطح المنضدة كانت هناك شاشة حاسوب 17 بوصة مع لوحة مفاتيح تحتها، الحاسوب على الأرض وكل الأدراج موصدة.

فتّش سيغوردور أولي خزانة الملابس في غرفة النوم. كانت مرتّبة تماماً؛ الجوارب في أحد الأدراج، الملابس الداخلية في آخر، السراويل والكنزات في درج مختلف. بعض القمصان وثلاث بذلات تدلّت من عارضة حديدية، أقدم البذلات من حقبة ملابس الرقص [السبعينيات]، كما لفت سيغوردور أولي لونها البني المخطط. عدّة أزواج من الأحذية على أرضية خزانة الملابس. ملابس النوم في الدرج

العلوي. كان الرجل قد رتّب سريره المفرد قبل أن يصل زائره، بطانية بيضاء تغطي اللحاف والوسادة.

على طاولة صغيرة إلى جانب السرير وُجد منبّه وكتابان، أحدهما سلسلة مقابلات مع سياسي معروف والآخر يضم صوراً عن شاحنات سكانيا - فابيس. كانت الطاولة الصغيرة إلى جانب السرير تضم درجاً يحتوي على أدوية، مطهّر، حبوب منوّمة، بانادول [مسكّن ألم] ومرطبان صغير من الفازلين [مرطب بشرة].

سأل إرلندور الذي كان آنذاك إلى جانب الباب: «هل ترى مفاتيح في أي مكان؟».

«لا مفاتيح. هل تعني مفاتيح أبواب؟».

«لا، لأدراج الطاولة».

«ليست هناك مفاتيح من ذلك النوع أيضاً».

ذهب إرلندور إلى المختلى ومن هناك إلى المطبخ. فتح أدراجاً وخزائن، لكنه لم يرَ سوى أوانٍ خزفية وكؤوس زجاجية، مغارف وأطباق، لم يجد هناك مفاتيح، ذهب إلى حيث يوجد المشجب إلى جانب الباب، فتّش المعاطف لكنه لم يجد شيئاً سوى محفظة سوداء صغيرة مع حلقة مفاتيح وبعض القطع النقدية فيها. كما وجد مفتاحين صغيرين يتدليان من الحلقة مع مفاتيح أخرى للباب الرئيس، باب الشقة والغرف. جرّبها إرلندور على الأدراج، فوجد مفتاحاً بينها مناسباً لكل الأدراج التسعة.

فتح الدرج الكبير في وسط المنضدة أولاً. كان يضم فواتير - هاتف، كهرباء، تدفئة، وبطاقات ائتمان - وأيضاً اشتراكاً في صحيفة. كان الدرجان السفليان إلى اليسار فارغين وفي الدرج الذي يعلوهما

استمارات ضريبية وإيصالات أجور. وفي الدرج العلوي ألبوم صور. كلها بالأبيض والأسود، صور قديمة لأشخاص أُخذت في أوقات مختلفة، يبدون في بعضها بكامل أناقتهم وفي بعضها الآخر في أثناء نزهات لهم: بتولاً قصيرةً، شلالات غلفوس [مقصد سياحي: شلالان ارتفاع أحدهما 11 متراً والآخر 21 متراً] وجيسير [نبع ماء حار في وادي هوكادالور]. رأى صورتين ظنّ أنهما ربما تكونان للرجل القتيل في فترة شبابه، لكن لم تكن له صور حديثة.

فتح الأدراج على الجانب الأيمن. كان الدُرجان العلويان فارغين. في الثالث وجد حزمة بطاقات، رقعة شطرنج مطوية، ودواة قديمة.

بينما إرلندور يغلق الدرج السفلي مجدداً سمع ما بدا أنها خشخشة بسيطة من الداخل. عندما فتحه وأغلقه مجدداً سمع الخشخشة نفسها. كان يحتك بشيء في طريقه. تنهّد وجلس القرفصاء، نظر إلى داخل الدرج لكنه لم يرَ شيئاً. سحبه إلى الخارج لكنه لم يسمع شيئاً، ثم أغلقه فسمع الصوت مجدداً. جثا على الأرض، أخرج الدرج من مكانه، رأى شيئاً عالقاً في الداخل مدّ يده ليمسك به. وجد صورة تحت الدرج السفلي.

كانت صورة صغيرة بالأبيض والأسود تُظهر قبراً داخل مقبرة في فصل الشتاء. لم يعرف المقبرة. ظهرت شاهدة على القبر ومعظم الكلمات المنقوشة عليها واضحة تماماً. لقد حُفِر عليها اسم امرأة. أودور. لم يكن هناك لقب، ولم يستطع إرلندور رؤية التواريخ بوضوح. تحسس ما يوجد داخل جيب سترته بحثاً عن نظارته، وضعها ورفع الصورة أمام أنفه. 1964–1968. كان باستطاعته تمييز نقش مبهم، لكن الحروف كانت صغيرة ولم يتمكّن من قراءتها. نفخ الغبار عن الصورة بحرص.

كانت الفتاة في الرابعة من العمر فقط عندما توفيت.

رفع إرلندور بصره عندما انهمر مطر الخريف بقوة على النوافذ. كان الوقت منتصف النهار والسماء سوداء حالكة.

6

كان الجو عاصفاً، المطر منهمراً، وشاحنةٌ كبيرة تمخرُ عباب هذه العاصفة غير عابئةٍ بشيء؛ لذلك استغرق الأمرُ وقتاً من الشرطة لتحديد مكانها. لم تكن موجودة حيث يعيش هولبرغ في نوردورمايري، وإنما في موقف سيارات إلى الغرب من سنورابروت [بلدة]، إلى جانب مركز دوموس الصحي، على بعد بضع دقائق سيراً من منزل هولبرغ. كانت دورية شرطة قد عثرت عليها في الوقت الذي غادر فيه إرلندور وسيغوردور أولي تقريباً شقة هولبرغ مع الصورة. تم استدعاء فريق الطب الشرعي لتفتيش الشاحنة بحثاً عن أدلة. كانت من طراز مان بغطاء أحمر. كل ما كشف عنه التفتيش السريع هو مجموعة مجلات خلاعية. صدر قرار بتحريك الشاحنة إلى مقر إدارة البحث الجنائي لإجراء المزيد من التحقيقات.

في أثناء ذلك، كان على فريق الطب الشرعي أن يعمل على الصورة. تبين أنها مطبوعة على ورق إلفورد الخاص بالصور، الذي كان يُستخدم كثيراً في الستينيات، لكنه لم يعد متوفراً منذ وقت طويل. ربما قام المصوّر نفسه أو هاوٍ بتظهير الصورة؛ لأنها كانت قد بدأت تخبو، كأن العمل عليها لم يكن جيداً. لم يُكتب شيء في الخلف ولم تحمل أي علامات فارقة لتحديد المقبرة التي ظهرت فيها. ربما كانت في أي مكان من البلاد.

يبدو المصوّر وكأنه وقف على بعد نحو ثلاثة أمتار عن الشاهدة. كانت اللقطة مأخوذة من أمامها مباشرة تقريباً، ولا بد أن المصوّر

قد اضطر لثني ركبتيه إلا إذا كان قصيراً جداً. حتى من تلك المسافة فالزاويـة بـدت ضيقـة. لـم ينـمُ قـرب القبر أي نبـات، وكان ثلج ناعم يغطي الأرض. لم تكن رؤية قبر آخر ممكنة. خلف الشاهدة، كل ما كان مرئياً هو ضباب رقيق أبيض.

ركّز فريق الطب الشـرعي على النقش الذي لم يكن مميزاً لأن المصـوّر كان قـد وقـف بعيـداً عنـه. تم إنتاج نسـخ عديدة من الصورة وتكبيـر النقـش إلـى أن تـم طباعـة كل حـرف علـى ورقـة قياس A5، ترقيمها وترتيبها بالتسلسـل نفسـه على الشـاهدة. كانت صوراً رديئة للغاية، وليسـت أكثر من نقاط سـوداء وبيضاء متعاقبة تشـكل فوارق دقيقة من الضوء والظل، لكن بعد نقلها عبر جهاز الماسح الضوئي إلى حاسوب سيكون ممكناً معالجة الظلال والدقة. كانت بعض الحروف أكثر وضوحاً من الأخرى، مما ترك لفريق الطب الشرعي مهمة ملء الثغـرات. كان ممكنـاً تمييـز حـروف أم، أف وأو بوضوح، بينما كانت أخرى أكثر صعوبة.

اتصل إرلندور هاتفياً بمنزل مدير المكتب الوطني للإحصاء الذي وافق، وهو يلعن ويشـتم، على لقائه في مكتبه في سكوغاسـند. كان إرلندور يعرف أن كل شهادات الوفاة منذ العام 1916 محفوظة هناك. لم يكن هناك أحد في المبنى، وقد غادر كل الموظفين مكان العمل قبل بعض الوقت. أوقف مدير المكتب سيارته خارج مكتب الإحصاء بعد نصف ساعة وصافح إرلندور بجفاء. أدخل رقم التعريف الشخصي فـي النظـام الأمنـي ودخـلا إلى المبنى باسـتخدام بطاقة خاصة. أوجز إرلندور القضية له، ولم يخبره سوى بالعموميات.

اطّلعا على كل شـهادات الوفاة الصادرة في العام 1968 ووجدا شهادتي وفاة باسم أودور. كانت إحداهما لفتاة في الرابعة من عمرها،

توفيت في شباط. موقّعة بشهادة طبيب سرعان ما وجدا اسمه في السجل الوطني. كان يعيش في ريكيافيك. كان اسم والدة الفتاة "كولبرون" مذكوراً في الشهادة. وجداها دون أي مشكلة. كان آخر مقر إقامة معروف لها في كيفلافيك في بداية السبعينيات. ثم تفقّدا مجدداً شهادات الوفاة. فوجدا أن كولبرون توفيت في العام 1971.

فالفتاة قد توفيت نتيجة ورم خبيث في الدماغ.

والأم انتحرت بعد ثلاث سنوات على وفاة ابنتها.

7

رحّب العريس بإرلندور في مكتبه. كان مدير جودة وتسويق في شركة جملة تستورد حبوباً لوجبات الفطور الأميركية، وتساءل إرلندور، الذي لم يكن قد تذوق أبداً حبوب إفطار أميركية في حياته، عمّا يفعله حقاً مدير جودة وتسويق في شركة جملة. كان العريس يرتدي قميصاً أبيضَ مكوياً جيداً، وحمّالة بنطال سميكة، وقد رفع ردنيه، كأن إدارة قضايا الجودة تتطلب كل قوته. كان متوسط الطول، ممتلئاً، أطلق لحيته حول فمه وشفتيه السميكتين اسمه فيغو.

قال فيغو بسرعة: «لم أسمع من ديزا»، وجلس قبالة إرلندور.

«هل قلت لها قولاً ما دفعها...».

قال فيغو: «هذا ما يظنه الجميع. يفترض الجميع أنه خطأي، ذلك أسوأ شيء، أسوأ جزء من المشكلة كلها. لا يمكنني تحمّل ذلك».

«هل لاحظت شيئاً غير معتاد في تصرّفها قبل أن تهرب؟ أي شيء قد يكون أزعجها؟».

«كان الجميع يستمتعون بوقتهم. كما تعرف، الزفاف، تعرف ما أعنيه».

«لا».

«بالتأكيد ذهبت إلى حفل زفاف من قبل؟».

«مرة. منذ وقت طويل».

«حان وقت الرقصة الأولى. كانت الكلمات قد انتهت، كما نظّمت صديقات ديزا بعض نشاطات الترفيه، وقد وصل عازف

الأكورديون ويُفترض أن نرقص. كنت أجلس إلى طاولتنا وبدأ الجميع يبحثون عن ديزا، لكنها اختفت».

«أين رأيتها آخر مرة؟».

«كانت تجلس معي وقالت إنها ستذهب إلى المرحاض؟».

«وهل قلت شيئاً قد يكون أزعجها؟».

«على الإطلاق! قبّلتها وطلبت إليها أن تعود بسرعة».

«كم مضى على مغادرتها المكان عندما بدأتم البحث عنها؟».

«لا أدري. كنت أجلس مع أصدقائي ثم خرجت لأدخّن لفافة تبغ - كان على كل المدخنين الخروج - تكلمت إلى بعض الأشخاص هناك ثم عدت، جلست مجدداً وجاء عازف الأكورديون وحدَّثني بشأن الرقصة والموسيقى. تكلمت إلى بعض الأشخاص الآخرين، أظن أن نصف ساعة قد مضت آنذاك، لا أعرف».

«ألم ترها أبداً في خلال ذلك الوقت؟».

«لا. عندما أدركنا أنها اختفت كان الأمر بمثابة كارثة كبيرة. حدّق الجميع إليّ كأنني المذنب».

«ماذا تظن أنه قد حدث لها؟».

«لقد بحثت في كل مكان. تكلمت إلى أصدقائها وأقربائها لكن أحداً لا يعرفُ عنها شيئاً، أو ذلك ما يقولونه على الأقل».

«هل تظن أن أحدهم يكذب؟».

«حسنٌ، لا بد أنها في مكان ما».

«هل كنت تعرف أنها تركت رسالة؟».

«لا. أي رسالة؟ ماذا تعني؟».

«علّقت بطاقة على شجرة الرسائل تقول: 'إنه وحش، ما الذي فعلته؟'. هل تعرف ما تعنيه بذلك؟».

7

رحّب العريس بإرلنـدور فـي مكتبـه. كان مدير جودة وتسـويق في شـركة جملة تسـتورد حبوباً لوجبات الفطور الأميركية، وتسـاءل إرلندور، الذي لم يكن قد تذوق أبداً حبوب إفطار أميركية في حياته، عمّـا يفعلـه حقـاً مدير جودة وتسـويق في شـركة جملـة. كان العريس يرتـدي قميصـاً أبيـضَ مكويـاً جيـداً، وحمّالة بنطال سـميكة، وقد رفع ردنيه، كأن إدارة قضايا الجودة تتطلب كل قوته. كان متوسط الطول، ممتلئاً، أطلق لحيته حول فمه وشفتيه السميكتين اسمه فيغو.

قال فيغو بسرعة: «لم أسمع من ديزا»، وجلس قبالة إرلندور.

«هل قلت لها قولاً ما دفعها...».

قال فيغو: «هذا ما يظنه الجميع. يفترض الجميع أنه خطأي، ذلك أسوأ شيء، أسوأ جزء من المشكلة كلها. لا يمكنني تحمّل ذلك».

«هـل لاحظـت شـيئاً غيـر معتـاد في تصرّفهـا قبل أن تهرب؟ أي شيء قد يكون أزعجها؟».

«كان الجميع يستمتعون بوقتهم. كما تعرف، الزفاف، تعرف ما أعنيه».

«لا».

«بالتأكيد ذهبت إلى حفل زفاف من قبل؟».

«مرة. منذ وقت طويل».

«حـان وقـت الرقصـة الأولـى. كانـت الكلمـات قـد انتهت، كما نظّمـت صديقـات ديـزا بعـض نشـاطات الترفيـه، وقـد وصـل عـازف

الأكورديون ويُفترض أن نرقص. كنت أجلس إلى طاولتنا وبدأ الجميع يبحثون عن ديزا، لكنها اختفت».

«أين رأيتها آخر مرة؟».

«كانت تجلس معي وقالت إنها ستذهب إلى المرحاض؟».

«وهل قلت شيئاً قد يكون أزعجها؟».

«على الإطلاق! قبّلتها وطلبت إليها أن تعود بسرعة».

«كم مضى على مغادرتها المكان عندما بدأتم البحث عنها؟».

«لا أدري. كنت أجلس مع أصدقائي ثم خرجت لأدخّن لفافة تبغ - كان على كل المدخنين الخروج - تكلمت إلى بعض الأشخاص هناك ثم عدت، جلست مجدداً وجاء عازف الأكورديون وحدَّثني بشأن الرقصة والموسيقى. تكلمت إلى بعض الأشخاص الآخرين، أظن أن نصف ساعة قد مضت آنذاك، لا أعرف».

«ألم ترها أبداً في خلال ذلك الوقت؟».

«لا. عندما أدركنا أنها اختفت كان الأمر بمثابة كارثة كبيرة. حدّق الجميع إليّ كأنني المذنب».

«ماذا تظن أنه قد حدث لها؟».

«لقد بحثت في كل مكان. تكلمت إلى أصدقائها وأقربائها لكن أحداً لا يعرفُ عنها شيئاً، أو ذلك ما يقولونه على الأقل».

«هل تظن أن أحدهم يكذب؟».

«حسنٌ، لا بد أنها في مكان ما».

«هل كنت تعرف أنها تركت رسالة؟».

«لا. أي رسالة؟ ماذا تعني؟».

«علّقت بطاقة على شجرة الرسائل تقول: 'إنه وحش، ما الذي فعلته؟'. هل تعرف ما تعنيه بذلك؟».

كرّر فيغو: «إنه وحش. ما الذي كانت تتكلم عنه؟».

«كنت قد ظننت أنها ربما تعنيك؟».

قال فيغو وقد استشاط غضباً: «أنا؟ لم أفعل شيئاً لها، أي شيء، أبداً، إنه ليس أنا، لا يمكن أن يكون أنا».

«عُثر على السيارة التي أخذتها في غارداستريتي. هل يخبرك أو يذكرك ذلك بأي شيء؟».

«إنها لا تعرف أحداً هناك. هل ستقدّم تقريراً باختفائها؟».

«أظن أن والديها يرغبان في منحها بعض الوقت للعودة».

«وإذا لم تعد؟».

تردّد إرلندور: «سنرى عندها. كنت أظن أنها ربما اتصلت بك، لتخبرك أن كل شيء على ما يرام».

«مهلاً، هل تظن أنه كان خطأي وأنها هربت لأنني فعلت شيئاً لها؟ يا إلهي، يا لها من قصة مخيفة لعينة. هل تعرف ما كان يعنيه المجيء إلى العمل يوم الاثنين؟ كان كل زملائي في حفل الزفاف. كان رئيسي في الحفل أيضاً! هل تظن أنه خطأي؟ تباً لك! الجميع يظن أنه خطأي».

قال إرلندور وهو يقف: «النساء. من الصعب السيطرة عليهن».

كان إرلندور قد وصل للتو إلى مكتبه عندما رنّ جرس الهاتف. تعرّف على الصوت مباشرة رغم أنه لم يسمعه منذ وقت طويل. كان لا يزال واضحاً وقوياً وحازماً رغم تقدم العمر. كان إرلندور قد عرف ماريون بريم طيلة 30 سنةً ولم تكن علاقتهما دائماً طيبة.

قال الصوت: «لقد عدت للتو من الشاليه، ولم أسمع الخبر حتى وصلت البلدة الآن».

سأل إرلندور: «هل تتكلم عن هولبرغ؟».

«هل بحثت في التقارير عنه؟».

«أعرف أن سيغوردور أولي كان يتفقّد سجلات الحاسوب لكنني لم أسمع شيئاً منه. أي تقارير؟».

«السؤال هو هل هي مخزّنة فعلاً في الحواسب. ربما تم التخلص منها. هل هناك أي قانون بشأن تقادم التقارير؟ هل تم التخلص منها؟».

«ما الذي ترمي إليه؟».

قال ماريون بريم: «تبين أن هولبرغ لم يكن مواطناً مثالياً».

«كيف؟».

«هناك احتمال بأنه كان مغتصباً».

«احتمال؟».

«اتُهم بالاغتصاب، لكنه لم يُدن أبداً. كان ذلك في العام 1963. يجب أن تلقي نظرة على التقارير لديك».

«من اتهمه؟».

«امرأة تدعى كولبرون. كانت تعيش في...».

«كيفلافيك؟».

«نعم، كيف عرفت ذلك؟».

«عثرنا على صورة في درج منضدة هولبرغ. كأنها كانت مخبأة هناك. كانت صورة لشاهدة قبر فتاة تدعى أودور، في مقبرة لم نحددها بعد. أيقظت أحد الموظفين القدامى من المكتب الوطني للإحصاء ووجدنا اسم كولبرون على شهادة الوفاة. كانت والدة الفتاة الصغيرة، والدة أودور، قد ماتت أيضاً».

لم يقل ماريون شيئاً.

قال إرلندور: «ماريون؟».

ردّ الصوت: «وبماذا يوحي ذلك؟».

أمعن إرلندور التفكير في الأمر.

«حسنٌ، إذا اغتصب هولبرغ الأم فقد يكون والد الفتاة، ولهذا السبب كانت الصورة في درج منضدته. كان الفتاة في الرابعة من عمرها فقط عندما توفيت، لأنها ولدت في العام 1964».

قال ماريون بريم: «لم يُدن هولبرغ أبداً. تم إسقاط القضية لعدم كفاية الأدلّة».

«هل تظن أنها لفّقت ذلك؟».

«لم يكن ذلك محتملاً في تلك الأيام، لكن لم يتم إثبات شيء. بالطبع ليس سهلاً أبداً على النساء أن يوجهن اتهامات بهذا النوع من العنف. لا يمكنك أن تتخيل ما كانت قد عانته قبل 40 سنةً تقريباً. الأمر صعب على النساء هذه الأيام، لكنه كان أصعب كثيراً آنذاك. ما كان لها أن تفعل ذلك للتسلية. ربما كانت الصورة إثباتاً بشكلٍ ما على الأبوّة. لماذا احتفظ بها هولبرغ في درج منضدته؟ وقع الاغتصاب في العام 1963. تقول إن كولبرون ولدت ابنتها في السنة التالية، بعد أربع سنوات ماتت الابنة. قامت كولبرون بدفنها. كان هولبرغ متورطاً بطريقة ما، ربما التقط الصورة بنفسه. لماذا، لا أدري. ربما ليس لذلك علاقة بما جرى».

«لم يذهب بالتأكيد إلى الجنازة، لكن ربما ذهب إلى القبر لاحقاً والتقط صورة. هل تعني شيئاً مماثلاً؟».

«هناك احتمال آخر أيضاً».

«نعم؟».

«ربما التقطت كولبرون الصورة بنفسها وأرسلتها إلى هولبرغ».

فكّر إرلندور للحظة.

«لكن لماذا؟ إذا اغتصبها، لماذا ترسل إليه صورة قبر فتاة صغيرة؟».

«سؤال وجيه».

سأل ماريون بريم: «هل تذكر شهادة الوفاة سبب موت أودور؟ هل كانت حادثة؟».

«ماتت نتيجة ورم في الدماغ. هل تظن أن ذلك قد يكون مهماً؟».

«هل قاموا بتشريح الجثة؟».

«بالتأكيد. اسم الطبيب على شهادة الوفاة».

«والأم؟».

«ماتت فجأة في منزلها».

«انتحار؟».

«نعم».

قال ماريون بريم بعد صمت قصير لإرلندور: «لقد توقفتَ عن زيارتي».

قال إرلندور: «مشغول جداً. مشغول للغاية».

8

فـي صبيحـة اليـوم التالـي كان المطـر لا يـزال منهمـراً، وعلـى الطريـق إلـى كيفلافيـك تجمّـع المـاء فـي برك عميقـة، حاولت جميع السـيارات تفاديها. ولغزارة الأمطار لم يكن باسـتطاعة إرلندور رؤية شيء خارج نوافذ السيارة، التي غطتها الأمطار وهزّتها العاصفة العاتية التي هبّت من الجنوب الشـرقي. لم تسـتطع مسَّـاحتا الزجاج الأمامي إزالة الماء بسرعة كافية وأمسك إرلندور بعجلة القيادة بقوة كان بالكاد يـرى الأضـواء الخلفيـة الحمـراء للسـيارة أمامه وحاول بكل جهده أن يتبعها.

كان يسافر وحيداً رغم أن ذلك كان أفضل بعد محادثة هاتفية صعبـة مـع شـقيقة كولبـرون ذلك الصبـاح. كان مذكوراً بأنها أقرب أفراد العائلة لكولبرون في شهادة الوفاة. لم تكن الشقيقة متعاونة، ورفضت لقاءه. كانت الوثائق تحمل صورة للرجل الميت، إضافة إلى اسـمه. سـألها إرلندور أن تلقي نظرة عليها، وكان على وشـك أن يسألها إن كانت تتذكره عندما أغلقت سماعة الهاتف. قرّر معرفة مـا سـتفعله إذا ظهـر عنـد عتبـة بابهـا، هـو يفضّل ألا تقوم الشـرطة بإحضارها إليه.

لـم ينعـم إرلنـدور بنـوم هانـئ تلـك الليلـة. كان قلقـاً على إيفا ليند ويخشـى قيامها بعمل سـيئ. لديها هاتف خلوي، لكن في كل مـرة كان يتصـل بهـا يجيبـه المجيب الآلي إن الرقم المطلوب خارج نطاق الخدمة. نادراً ما كان إرلندور يتذكر أحلامه. كان ينزعج عندما

يستيقظ على مقتطفات من حلم سيء يجول في ذهنه قبل أن ينساه بشكل كامل.

لم تكن لدى الشرطة معلومات قيّمة كثيرة عن كولبرون. ولدت في العام 1934 ووجهت تهمة الاغتصاب لهولبرغ في 23 تشرين الثاني من العام 1963. قبل أن ينطلق إرلندور نحو كيفلافيك، كان سيغوردور أولي قد أوجز تهمة الاغتصاب له، بما في ذلك وصفاً للحادثة مأخوذاً من ملف الشـرطة الذي عثر عليه في الأرشـيف - بعد تلقيه معلومة من ماريون بريم.

كانت كولبرون قد بلغت الثلاثين من عمرها عندما ولدت ابنتها أودور، بعد تسعة شهور على الاغتصاب. وفقاً لشهود كولبرون، التقت كولبـرون هولبـرغ فـي قاعـة كروس للرقص بيـن كيفلافيك وناردفيك [بلدة]، كان ذلك في أمسية يوم سبت، لم تكن كولبرون تعرفه أو رأته من قبل، كانت مع صديقتين، وكان هولبرغ ورجلان آخران معهن في الحفـل الراقـص. عندمـا انتهـى ذاك الحفل ذهبوا جميعاً للاحتفال في منـزل إحـدى صديقتـي كولبـرون. في وقت متأخر من الليل اسـتعدت كولبـرون للعـودة إلـى منزلهـا، عـرض هولبـرغ أن يرافقهـا، لضمـان سـلامتها، لم تعترض على ذلك، ولم يكن أي منهما مخموراً. قالت كولبرون إنها تناولت كأسـي شـراب روسـي صغيرتين وكأس شـراب اسكتلندي في حفلة الرقص، ولم تشرب شيئاً بعد مغادرتها القاعة. لم يشرب هولبرغ شيئاً في تلك الأمسية. قال، وفقاً لما سمعته كولبرون، إنه كان يتناول بنسلين لمعالجة التهاب في الأذن. أكدت شهادة طبيب مرفقة بلائحة الاتهام، ذلك الأمر.

وبعدما وصلت كولبرون إلى منزلها برفقة هولبرغ، سألها إن كان

باستطاعته الاتصال بسيارة أجرة لتقلّه إلى ريكيافيك. تردّدت كولبرون للحظة ثم أرشدته إلى مكان الهاتف. اتجه إلى غرفة الجلوس لإجراء تلك المكالمة، بينما خلعت هي معطفها في الرواق ثم ذهبت إلى المطبخ لتشرب كوباً من الماء. لم تسمعه يُنهي مكالمته، إذا كان قد أجراها بالفعل، وشعرت به فجأة خلفها بينما كانت تقف إلى جانب مغسلة المطبخ.

أصابها هلعٌ شديدٌ إلى درجة أنها أوقعت الكوب، وأراقت الماء فوق طاولة المطبخ. صرخت عندما أمسكت يداه بثدييها، وتراجعت مبتعدة عنه إلى إحدى الزوايا.

سألت: «ما الذي تفعله؟».

قال وهو يقف أمامها، بيديه القويتين وعضلاته المفتولة وأصابعه الضخمة: «ألا يجب أن نتسلى قليلاً؟».

قالت بحزم: «أريد منك أن تغادر. الآن! اخرج من هنا إذا سمحت».

كرّر: «ألا يجب أن نتسلى قليلاً؟». اقترب خطوة منها فرفعت ذراعيها كأنها في حالة دفاع عن النفس.

صرخت: «ابق بعيداً! سأتصل بالشرطة!». فجأة شعرت كم كانت وحيدة وعاجزة في مواجهة ذلك الغريب الذي سمحت له دخول منزلها. اقترب هولبرغ كثيراً منها، لوى ذراعيها خلف ظهرها وحاول تقبيلها.

قاومته، لكن دون جدوى. حاولت أن تتحدث إليه، أن تقنعه بالعدول عن محاولته، لكنها لم تشعر سوى بعجزها.

توقف إرلندور عن التفكير في تلك الأمور عندما أطلقت شاحنة

ضخمة بوقها خلفه وتجاوزته تقعقع بصوتٍ عالٍ وترسل موجات من مياه المطر تغمر بها سيارته. أمسك عجلة القيادة بقوة فتمايلت السيارة على الماء للحظة. انزلقت مؤخرة السيارة، ولثانية ظن إرلندور أنه سيفقد السيطرة عليها وينتهي الأمر به في حقل الحمم. خفف سرعته حتى كاد يتوقف وتمكّن من البقاء في الطريق، ثم شتم سائق الشاحنة الذي اختفى آنذاك عن ناظريه في المطر الغزير.

بعد عشرين دقيقة توقف في أقدم منطقة من كيفلافيك خارج منزل صغير تغطي سقفه صفائح حديدية مموجة، كان المنزل مطلياً باللون الأبيض وحوله سياج أبيض صغير وحديقة أنيقة للغاية. إنه منزل إيلين - السيّدة المتقاعدة - شقيقة كولبرون والتي تكبرها بعدة سنوات. كانت إيلين تقف في الرواق، ترتدي معطفها، في طريقها إلى الخروج، عندما قرع إرلندور جرس الباب. نظرت إليه مندهشة، هي امرأة قصيرة نحيلة، قسمات وجهها قاسية، عيناها حادتان، وجنتاها بارزتان مع تجاعيد حول فمها.

قالت بغضب عندما عرّفها إرلندور على نفسه: «أظن أنني أخبرتك عبر الهاتف أنني لا أريد التحدث إليك أو إلى الشرطة».

قال إرلندور: «أعرف، لكن...».

قالت: «أطلب منك أن تتركني وشأني. ما كان عليك أن تُضيع وقتك سدى بقطع كل تلك المسافة إلى هنا».

تجاوزت عتبة الباب، أغلقت الباب خلفها، نزلت الدرجات الثلاث التي تفضي إلى الحديقة وفتحت البوابة الصغيرة في السياج، تركته مفتوحاً كإشارة إلى أنها تريد من إرلندور الرحيل، لم تنظر إليه. وقف إرلندور على الدرجات، وراقبها تبتعد عنه سيراً على القدمين.

صرخ: «هل تعرفين أن هولبرغ مات؟».

لم ترد.

«قُتل في منزله. تعرفين ذلك؟».

كان إرلندور على الدرجة السفلى، يجدُّ في إثرها، وهي تحمل مظلة سوداء تحمي رأسها من المطر الذي ينهمر غزيراً. لم يكن لديه أكثر من قبعة يعتمرها لتقيه من المطر. حثّت الخطى وركض ليلحق بها. لم يعرف ما يجب أن يقوله ليجعلها تصغي إليه، أو السبب الذي جعلها تتصرف معه بتلك الطريقة.

قال: «أردت أن أسألك عن أودور».

توقفت إيلين فجأة، استدارت إلى الخلف، مشت بسرعة نحوه وحدجته بنظرةِ ازدراء.

همّست من بين أسنانها المطبقة: «أيها الشرطي اللعين، إياك أن تذكر اسمها، كيف تجرؤ؟ بعد ما فعلتموه بأمها. اغرب عن وجهي! اغرب عن وجهي حالاً! شرطي لعين!».

نظرت إلى إرلندور والكراهية بادية في عينيها.

فحدّق إليها مستغرباً وقال: «بعد كل ما فعلناه لها؟ لمن؟».

صرخت: «اغرب عن وجهي»، واستدارت ومشت مبتعدة عنه، وتركت إرلندور حيث كان واقفاً. تخلى عن ملاحقتها وراقبها تختفي في المطر، تحني ظهرها قليلاً، بمعطفها المطري الأخضر وحذائها الأسود الذي يصل حتى الكاحلين. استدار إلى الخلف ومشى عائداً إلى منزلها حيث أوقف سيارته، مستغرقاً بأفكاره. جلس في سيارته وأشعل لفافة تبغ، أنزل زجاج نافذته فأصدر صريراً، أدار المحرك وقاد سيارته ببطء مبتعداً عن المنزل.

فيما كان يدخّن شعر بألم بسيط في منتصف صدره مجدداً. لم يكن جديداً، كان يسبب له بعض القلق منذ ما يقارب السنة، ألمٌ غير محدد كان ينتابه عند الصباح لكنه يختفي عادة بعد أن يغادر سريره. لم يكن لديه فراش جيد ينام عليه، أحياناً كان جسده كله يؤلمه إذا استلقى في السرير لوقت طويل.

استنشق الدخان. كان يأمل أن يكون الفراش السبب.

عندما كان إرلندور يطفئ لفافة تبغه رنّ هاتفه الخلوي في جيب معطفه. كان رئيس فريق الطب الشرعي ينقل إليه نبأ تمكّنهم من اكتشاف ماهية النقش على القبر وتحديد موقعه في الكتاب المقدس.

قال رئيس فريق الطب الشرعي: «إنه مأخوذ من المزمور 64».

قال إرلندور: «نعم».

احفظ حياتي من الخوف من العدو.

«عفواً؟».

«هذا ما ذُكر على شاهدة القبر: احفظ حياتي من الخوف من العدو. من المزمور 64».

احفظ حياتي من الخوف من العدو.

«هل يساعدك ذلك على أي شيء؟».

«ليست لدي أدنى فكرة».

«كانت هناك مجموعتان من البصمات على الصورة».

«نعم، أخبرني سيغوردور أولي بذلك».

«إحداهما لهولبرغ لكن الأخرى ليست في ملفاتنا، إنها مشوّهة تماماً، بصمات قديمة جداً».

سـأل إرلندور: «هل يمكنك إخباري عن نوع آلة التصوير التي التُقطت بها الصورة؟».

«ذلك مستحيل. لكنني أشك في دقتها».

9

أوقف سيغوردور أولي سيارته في ساحة 'أيسلندا للنقل' حيث أمِل أن تكون بمنأى عن الطريق. كانت أرتال الشاحنات تقف في الساحة. كان بعضها يُحمّل، بعضها يُقاد بعيداً، وبعضها يتحرك إلى الخلف نحو مستودع للبضائع. رائحة الديزل والزيت تعبق في المكان وضوضاء محركات الشاحنات تصمّ الآذان. كان أفراد الكادر والعملاء يتحركون في أنحاء الساحة وعند المستودع.

توقع مكتب الأرصاد الجوية طقساً رطباً، فحاول سيغوردور أولي حماية نفسه من المطر بوضع معطفه فوق رأسه، وأسرع باتجاه كبير العمال الذي كان يجلس في مقصورة زجاجية يراجع أوراقاً ويبدو مشغولاً للغاية.

كان كبير العمال رجلاً ممتلئاً يرتدي سترة زرقاء تتصل بغطاء للرأس مغلقة بزر واحد فوق بطنه، ويحمل عقب سيجار بين أصابعه، سمع بموت هولبرغ قال إنه كان يعرفه جيداً، وصفه بأنه رجل يمكن الاعتماد عليه، عامل نشيط كان يقود شاحنة من طرف البلاد إلى الطرف الآخر طيلة عقود، ويعرف شبكة الطرقات في أيسلندا مثل ظاهر يده. قال إنه كان من النوع المتكتم، لم يتكلم أبداً عن نفسه أو عن أشياء خاصة، لم يكن لديه أبداً أصدقاء في الشركة كما أنه لم يتحدّث يوماً عن ماضيه كأنه سائق شاحنة منذ ولادته. غير متزوج وليس لديه أولاد، على حد علمه. لم يتكلم أبداً عن الأقرب إليه والأعز على قلبه.

قـال كبيـر العمـال كأنـه يضع حـداً للمحادثة: «تلك هي خلاصة القول». أخرج ولاعة من جيب سـترته وأشـعل عقب السـيجار. «كان أمـراً مؤسـفاً»، مـجّ سـيجاره، «أن ينتهـي بـه الأمر علـى تلك الحال». مجّ مجدداً.

سـأل سـيغوردور أولي محاولاً تفادي استنشـاق دخان السـيجار الكريه الرائحة: «مع من عَمِل هنا بشكل أساس؟».

«يمكنك أن تتكلم إلى هيلمر، أظن أنه يعرفه تماماً. هيلمر ليس مـن المنطقـة وإنمـا مـن ريدارفـوردور لهذا كان يقيـم أحياناً في منزل هولبرغ في نوردورمايري عندما يكون بحاجة إلى أخذ قسط من الراحة في البلدة. هناك قوانين راحة يجب على السائقين التقيد بها، لذا يجب أن تتوفّر أمكنة في المدينة ليقيموا فيها».

«هل مكث هناك خلال عطلة نهاية الأسبوع الماضي، على حد علمك؟».

«لا، كان يعمل في الشرق. لكن ربما كان هناك في عطلة الأسبوع قبل الماضي».

«هل تعرف شخصاً ربما كان يرغب في إلحاق الأذى بهولبرغ؟ خلاف هنا في العمل أو...».

«لا، لا، لا شـيء»، مـجّ سـيجاره، «مـن هـذا»، مـجّ سـيجاره، «القبيل»، مجّ سـيجاره. كان الرجل يعاني من مشـكلة إبقاء سـيجاره مشـتعلاً. «تحـدث إلـى»، مجّ سـيجاره، «زميله»، مـجّ مجدداً، «هيلمر قد يتمكّن من مساعدتك».

وجـد سـيغوردور أولـي هيلمـر بعـد أن تقيّـد بتوجيهـات كبيـر العمـال. كان يقـف علـى رصيـف محـاذٍ لأحد المسـتودعات يشـرف على تفريغ حمولة شـاحنة. كان هيلمر ضخماً، طويل القامة، مفتول

العضلات، متورّد الخدّين، ملتحياً، ذراعاه يكسوهما شعر كثيف، يبدو في الخمسين من عمره. كانت حمّالة بنطاله زرقاء عتيقة الطراز تشد جينزه البالي. كانت رافعة شوكية صغيرة تفرّغ حمولة الشاحنة، فيما شاحنة أخرى ترجع إلى الخلف على طول رصيف تفريغ آخر؛ وفي الوقت نفسه أطلق سائقان بوقي شاحنتيهما وأخذا يشتمان بعضهما في الساحة.

صعد سيغوردور أولي إلى هيلمر وربت بلطف على كتفه، لكن الرجل لم يلاحظه. ربت بقوة أكبر فاستدار هيلمر أخيراً نحوه. كان ينظر بعينين باردتين إلى سيغوردور أولي، تحدث إليه لكنه لم يكن يسمع ما يقوله. رفع سيغوردور أولي صوته، لكن عبثاً دون جدوى، رفع صوته أكثر وظنّ أنه شاهد وميض إدراك في عيني هيلمر، لكنه كان مخطئاً. هزّ هيلمر رأسه وأشار إلى أذنه.

عند ذلك، ضاعف سيغوردور أولي جهوده، قوّس ظهره ووقف على أطراف أصابعه وصرخ بأعلى صوته في اللحظة التي أطبق فيها صمت مطلق على كل ما حوله، وتردد أصداء سؤاله في أرجاء المستودع الضخم:

«هل نمت عند هولبرغ؟».

10

كان يجمـع أوراق الأشـجار فـي حديقتـه عندمـا رآه إرلندور، لم يرفـع بصـره رغـم أن إرلنـدور كان يراقبـه منذ وقت طويل وهو يكدح بحركات بطيئة لرجل عجوز. مسح قطرة ماء من على أرنبة أنفه. لم يبدُ مهتماً بالجو الماطر أو بالأوراق المتلاصقة بحيث يصبح التعامل معها صعباً، كما لم يبدُ على عجلة من أمره، كان يجمع أوراق الأشجار بأكوامٍ صغيرة مستعملاً مدمّة [أداة ذات أسنان لجمع الأعشاب وتقليب التربة] لقد ولد وترعرع وعاش في كيفلافيك.

كان إرلنـدور قـد طلـب مـن إيلينبـورغ أن تجمع معلومات عنه وقد اكتشفت التفاصيل الرئيسة عن الرجل العجوز الذي كان إرلندور يراقبـه آنـذاك فـي الحديقـة؛ حياتـه المهنيـة في الشـرطة، الانتقادات الكثيرة لأسـلوب عمله وللإجراءات التي اتخذها في خلال سـنوات عملـه الطويلـة فـي السـلك، التعامل مـع قضية كولبرون وكيف تلقى توبيخـاً بشـأنها. كانـت إيلينبـورغ قـد اتصلـت هاتفياً لتـزوّد إرلندور بالمعلومـات بينمـا كان يتنـاول وجبـة طعام، ولا يزال في كيفلافيك. فكّر في تأجيل الزيارة حتى اليوم التالي، ثم قال لنفسه إنه لن ينزعج من قيادة سـيارته إلى هناك والعودة في أثناء عاصفة عاتية لهذا قرّر الذهاب مباشرة.

كان رجلاً طويلاً يرتدي معطفاً أخضر ويعتمر قبعة كرة بيسبول. كانت يداه البيضاوان النحيلتان تمسـكان مقبض المدمّة، من الواضح أنه كان سـابقاً قوي البنية ورجلاً صاحب سـلطة لكنه أصبح عجوزاً،

متغضن الجلد ومصاباً بزكام دائم. راقبه إرلندور، كان الرجل العجوز يتحرك ببطء في أرجاء حديقته. رفع الرجل بصره عن الأوراق، لكنه لم يعر اهتماماً خاصاً لمراقبه. مرّ وقت طويل على تلك الحال حتى قرّر إرلندور القيام بخطوة.

قال: «لماذا لا تريد شقيقتها التحدّث إلي؟»، رفع الرجل العجوز بصره خوفاً.

«آه؟ ماذا كان ذلك؟». توقف الرجل العجوز عمّا كان يقوم به، وسأل: «من أنت؟».

سأل إرلندور: «كيف عاملت كولبرون عندما جاءت إليك لتتقدم بشكوى ضده؟».

نظر الرجل العجوز إلى ذلك الغريب الذي دخل حديقته، ومن ثمّ مسح أنفه بظاهر يده. وتفحّص إرلندور من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه.

قال: «هل أعرفك؟ ما الذي تتكلم عنه؟ من أنت؟».

«اسمي إرلندور. أحقق في جريمة قتل رجل من ريكيافيك اسمه هولبرغ، اتُهم بارتكاب جريمة اغتصاب قبل أربعين سنة مضت. كنت أنتَ مسؤولاً عن التحقيق. كانت المرأة التي تعرضت للاغتصاب تدعى كولبرون، لقد ماتت، ترفض شقيقتها التحدث إلى الشرطة لأسباب أحاول اكتشافها. قالت لي بعض ما فعلتموه لها. أودّ منك أن تخبرني ماذا تعني بذلك».

نظر الرجل إلى إرلندور دون أن ينبس ببنت شفة. نظر إلى عينيه والتزم الصمت.

كرّر إرلندور: «ماذا فعلت لها؟».

«لا أتذكر... أي حق تمتلكه؟ ما هذه الإهانة التي تواجهني

بهـا؟». كان صوتـه يرتعـش قليـلاً. «اخـرج من حديقتي وإلا سـأتصل بالشرطة».

«لا يا رونار، أنا من الشرطة، وليس لدي وقت لهذا الهراء».

أمعـن رونـار التفكيـر فـي الأمر. «هل هذه هي الطريقة الجديدة؟ اتهام الناس جزافاً وإساءة معاملتهم؟».

قال إرلندور: «جيد أنك ذكرت طرائق وإساءة معاملة. في وقت مـن الأوقـات وُجـدت ثمانـي تهم ضدك بانتهاك القانون، منها التعامل بقسوة مع الآخرين. لا أدري من كنت تخدم لتحافظ على وظيفتك، لكنـك لـم تخدمـه بمـا يكفـي حتى النهاية لأنك تركت الشـرطة أخيراً مطروداً. صُرفت من الخدمة...».

قال رونار وهو ينظر حوله بحذر: «اخرس. كيف تجرؤ».

«... لارتكابك تحرشات متكررة».

شـدّت يـداه البيضـاوان النحيلتـان قبضتيهما على المدمّة، وتمدّد جلده الشـاحب حتى برزت مفاصله منه. تلوّى وجهه غضباً، ظهرت خطـوط بغيضـة حـول فمـه، ضاقت نظرتـه حتى أصبحت عيناه نصف مغلقتيـن. كان إرلنـدور فـي أثنـاء طريقـه لمقابلـة رونـار يفكـر فـي المعلومـات التـي أفادتـه بهـا إيلينبـورغ، وفي إمكانيـة إدانة رونار على ما قام به منذ أربعين سـنة عندما كان رجلاً مختلفاً. كان إرلندور قد عمل في سـلك الشـرطة وقتاً طويلاً بما يكفي ليسـمع القصص عنه، وعن المشكلات التي تسبب بها. كان قد التقى في الواقع رونار بضع مرات قبل عدّة سنوات، لكن الرجل الذي رآه آنذاك في الحديقة كان عجـوزاً لا حـول لـه ولا قـوة وقـد اسـتغرق الأمـر مـن إرلندور بعض الوقت ليتأكد أنه الشـخص نفسـه. كانت مواقف إرلندور معروفة بين أفـراد الشـرطة. كان إرلنـدور قـد قـرأ مـرة أن الماضـي أرض مختلفة

واستوعب ذلك، كما فهم أن الوقت يتغير والناس أيضاً، لكنه ليس مستعداً لمحوِ الماضي.

وقفا في الحديقة يواجهان بعضهما.

قال إرلندور: «ماذا عن كولبرون؟».

«ارحل من هنا!».

«ليس قبل أن تخبرني عن كولبرون».

قال رونار فجأة من بين أسنانه المصطكّة: «كانت بغياً لعينة! لهذا اكتفِ بذلك واغرب عن وجهي! كل ما قالته عني ولي كان أكاذيب ممجوجة، لم تُغتصب، اختلقت القصة بأكملها!».

تخيّـل إرلنـدور كولبـرون تجلـس أمام ذلك الرجل قبل كل تلك السنين، عندما تقدمت بشكوى الاغتصاب، تخيّلها تستجمع شجاعتها تدريجياً إلى أن تجرأت أخيراً على الذهاب إلى مركز الشرطة لتخبرهم ما حدث لها، تخيّل الرعب الذي عاشته وفوق كل ذلك، رغبتها في أن تنسى ما حدث لها وكأنه لم يحدث أبداً، كأنه كان مجرد كابوس ستصحو منه أخيراً، ثم أدركت أنها لن تصحو منه أبداً، لقد تدنّست، وتعرضت لاعتداء آثم.

قـال رونـار: «ظهـرت بعـد ثلاثة أيام من الحادثة واتهمت الرجل بالاغتصاب، لم يكن ذلك مقنعاً جداً».

قال إرلندور: «إذاً، رميت باتهامها عرض الحائط».

«كانت تكذب».

«وضحكت عليها وقلّلت من شأنها وطلبت إليها أن تنسى الأمر. لكنها لم تنسه، أليس كذلك؟».

نظر الرجل العجوز إلى إرلندور والاشمئزاز بادٍ في عينيه.

قال إرلندور: «ذَهبَت إلى ريكيافيك، أليس كذلك؟».

«لم يُدَن هولبرغ أبداً».

«بفضل من، برأيك؟».

تخيّـل إرلنـدور كولبـرون تتجـادل مع رونار في المكتب، تجادل فـي حقيقـة مـا كانـت قـد مـرّت به، تحاول إقناعه أنهـا تقول الحقيقة، كأنه قاضي المحكمة العليا في قضيتها.

* * *

كان عليها أن تستجمع كل شجاعتها لتصف أحداث تلك الليلة لـه، وتحـاول إعطـاء إفـادة منطقيـة، لكـن الأمر كان مؤلمـاً للغاية، لم تتمكّن من وصف ذلك، لم تستطع وصف ذلك الأمر الذي لا يمكن وصفه، المثير للاشـمئزاز، والبشـع، اسـتطاعت بطريقة ما جمع أجزاء قصتها المفكّكة. هل كانت تلك ابتسامة؟ لم تفهم لماذا كان الشرطي يبتسم. كان لديها انطباع أنّه يشكك في قصتها، لكن لا يمكن أن يكون كذلك، ثم بدأ يسألها عن التفاصيل.

«أخبريني بالضبط كيف جرى الأمر؟».

نظرت إليه مرتبكة، بدأت مترددة، سردت قصتها مجدداً.

«لا، لقد سـمعت ذلك، أخبريني بالضبط عمّا جرى، هل كنت ترتديـن سـروالاً داخليـاً؟ كيـف جعلـك تخلعينـه؟ كيـف قـام بذلـك الفعل؟».

سألت كولبرون عن نساءٍ يحققن معها غير رونار الفاجر.

«لا. إذا أردت اتهام ذلك الرجل بالاغتصاب، يجب أن تكوني أكثر دقة في ذلك، هل تفهمين؟ هل أوحيت إليه بطريقة ما حتى ظنّ أنك مستعدة لذلك؟».

«مسـتعدة لذلـك» قالـت لـه بصـوت غير مسـموع تقريباً؛ إنها لم تفعل ذلك بكل تأكيد.

«يجب أن ترفعي صوتك. كيف جعلك تخلعين سروالك؟».

كانت واثقة أنها سخرية، استجوبها بصفاقة، استفسر عمّا قالته، كان فظّاً، بعض الأسئلة بذيئة وقذرة، تصرف وكأنها هي من أثارته ليهاجمها، كأنها أرادت ممارسة ذلك الفعل مع الرجل، ربما غيرت رأيها لكن الوقت كان قد فات، فات على التراجع عن مثل ذلك الفعل.

قال: «لا فائدة ترجى من الذهاب إلى قاعة رقص، مغازلة رجلٍ ثم التوقف عند منتصف الطريق، لا فائدة على الإطلاق».

كانت تنشج عندما فتحت أخيراً حقيبة يدها، أخرجت كيساً بلاستيكياً وسلّمته إياه، فتح الكيس وأخرج سروالها الممزق...

* * *

أفلت رونار المدمّة وكان على وشك أن يتجاوز إرلندور، لكن الأخير سدّ طريقه ودفعه إلى جدار المنزل. حدّقا إلى بعضهما.

قال إرلندور: «أعطتك دليلاً ما، الدليل الوحيد الذي كان لديها، كانت واثقة أن هولبرغ قد ترك شيئاً خلفه».

همّس رونار: «لم تسلّمني شيئاً أبداً، اتركني وشأني».

«أعطتك سروالاً داخلياً».

«كانت تكذب».

«كان يجب أن يطردوك في تلك الساعة. أنت وحش لعين مثير للشفقة». وباشمئزاز ابتعد إرلندور ببطء عن الرجل العجوز البائس الذي كان آنذاك يستند إلى الجدار.

قال بصوتٍ حاد: «كنت أخبرها فحسب ما يجب أن تتوقعه إذا تقدمت بشكوى، كنت أسديها معروفاً، المحاكم تضحك على ذلك النوع من القضايا».

استدار إرلندور ومشى مبتعداً، متسائلاً عن التناقض في ما أصاب رونار والطفلة.

خطط للعودة لرؤية شقيقة كولبرون لكنه توقف عند مكتبة كيفلافيك أولاً. مشى بين الرفوف، جال ببصره على أغلفة الكتب، حتى عثر على الكتاب المقدس، يعرف إرلندور الكتاب المقدس جيداً، فتح سفر المزامير ووصل إلى رقم 64، وجد الجملة المنقوشة على الشاهدة. احفظ حياتي من الخوف من العدو.

تذكر إرلندور جيداً. كان النقش تكملة الجملة الأولى من المزمار. قرأه إرلندور عدّة مرات، مرّر أصابعه بحرص على السطور، وكرّر بهدوء الجملة لنفسه بينما كان يقف إلى جانب الرف.

كانت الجملة الأولى من المزمار تضرعاً للمولى [عزّ وجلّ]. كان بمقدور إرلندور سماع صرخة المرأة الصامتة عبر السنين.

اسمع صوتي، يا الله، في صلاتي.

11

أوقـف إرلنـدور سـيارته خـارج المنـزل الأبيـض المغطّى سـقفه بصفائح حديدية مموّجة، وأطفأ المحرك. بقي في السيارة وأنهى لفافة تبغه. كان يحاول التخفيف من التدخين بحيث يصل إلى خمس لفائف تبغ في اليوم في أحسن الأحوال. كانت تلك اللفافة الثامنة في ذلك اليوم ولم تكن الساعة قد وصلت إلى الثالثة بعد الظهر.

خـرج مـن السـيارة، صعـد الدرجات إلـى المنزل وقرع الجرس. انتظر وقتاً طويلاً، لكن شيئاً لم يحدث، قرع الجرس ثانية، لكن دون نتيجـة. وضـع وجهـه علـى النافـذة فـرأى المعطف المطـري الأخضر والمظلـة والحـذاء. قـرع الجـرس مرة ثالثة، وقـف على الدرجة العليا وحاول اتقاء المطر. فجأة، فُتح الباب وكانت إيلين تحدّق إليه.

«اتركني وشأني، هل تسمع؟ ارحل من هنا! اغرب عن وجهي!».

حاولت إغلاق الباب لكن إرلندور عرقل ذلك بوضع قدمه.

قال: «لسنا جميعاً مثل رونار، أعرف أن شقيقتك لم تلقَ معاملة لائقـة، ذهبـت وتكلمـت إلـى رونـار. ما فعلـه لا يُغتفر، لكن لا يمكن تغييره الآن. إنه خرف وعجوز، ولن يندم على ما فعله».

«ألا تتركني وشأني؟».

«يجـب أن أتحـدث إليـك. إذا لـم ينجـح الأمـر سـأكون مضطراً إلى استدعائك واستجوابك، أريد تفادي ذلك». أخرج صورة المقبرة من جيبه ومرّرها عبر شق الباب. قال: «عثرت على هذه الصورة في شقة هولبرغ».

لم تجب إيلين عليه، مرّ وقت طويل، كان إرلندور يحمل الصورة عبر فتحة الباب، لكن لم يكن يرى إيلين، التي كانت لا تزال تغلق الباب دونه. تدريجياً شعر بالضغط على قدمه يخف وأمسكت إيلين الصورة، سرعان ما فُتح الباب، مشت إلى الداخل تحمل الصورة، بعدها دخل إرلندور وأغلق الباب بحرص خلفه.

اختفت إيلين داخل غرفة جلوس صغيرة، وللحظة تساءل إرلندور إن كان يجب عليه أن يخلع حذاءه الرطب. مسحه بدعسة أقدام، وتبع إيلين إلى غرفة الجلوس، متجاوزاً مطبخاً ومكتباً مرتبين. في غرفة الجلوس عُلِّقت صور وأعمال تطريز ضمن أُطر مطلية بالذهب على الجدران مع أرغن إلكتروني صغير في زاوية الغرفة.

سأل إرلندور بحذر: «هل تعرفين هذه الصورة؟».

قالت: «لم أرها أبداً من قبل».

«هل كانت شقيقتك على اتصال بهولبرغ بعد... الحادثة؟».

«ليس على حد علمي. أبداً. يمكنك أن تتخيل؟».

«ألم يكن هناك اختبار للدم لتحديد ما إذا كان الأب؟».

«لماذا؟».

«كان ذلك سيدعم إفادة شقيقتك، بأنها قد تعرضت للاغتصاب».

رفعت بصرها عن الصورة وحدّقت إليه لوقت طويل، ثم قالت: «أنتم جميعاً متشابهون، يا أفراد الشرطة، كسالى للغاية في القيام بعملكم».

«حقاً؟».

«ألم تنظر في ملف القضية؟».

«التفاصيل الرئيسة، كما أظن».

«لم ينكر هولبرغ أنهما قد أقاما علاقة. كان أذكى من ذلك. أنكر أن ما أقدم عليه كان اغتصاباً. قال إن شقيقتي كانت تريده، كما قال إنها أغرته ودعته إلى منزلها. كانت حجة دفاعه الرئيسة أن كولبرون أقامت علاقة معه بإرادتها الحرّة. تظاهر بالبراءة، تظاهر بالبراءة، ذلك الوغد».

«لكن...».

«لم تكن كولبرون تبالي بإثبات أبوَّته لطفلتها، لم ترد له أي علاقة معها، لم يكن إثبات أبوَّة هولبرغ لأودور ليشكل أي فرق لادّعائها بالاغتصاب، لهذا لم يكن اختبار الدم مجدياً».

«لم أكن أدرك ذلك».

تابعت إيلين: «كل ما كانت شقيقتي تمتلكه - كدليل على تعرضها للاغتصاب - هو سروال داخلي ممزق، لم تكن هناك أي علامات ظاهرة عليها، لم تكن قوية، ولهذا لم تستطع المقاومة، وقد أخبرتني أنها كانت مشدوهة وخائفة عندما بدأ يتحسسها في المطبخ. أرغمها على الانتقال إلى غرفة النوم ونال منها هناك، مرتين، أمسكها بقوة وتحسّسها وأسمعها كلاماً فاحشاً، حتى أصبح مستعداً للقيام بذلك مجدداً. استغرق الأمر منها ثلاثة أيام لتستجمع شجاعتها وتذهب إلى مركز الشرطة. لم ينفعها الاختبار الطبي الذي خضعت له لاحقاً أيضاً، لم تفهم أبداً السبب الذي جعله يهاجمها، اتهمت نفسها بتحريضه على ما قام به، كانت تظن أنها ربما أغوته في تلك الحفلة التي ذهبوا إليها بعد إغلاق قاعة الرقص، أو ربّما قالت شيئاً أو اقترحت شيئاً أثاره، ألقت اللوم على نفسها. أظن أن ذلك رد فعل شائع».

توقفت إيلين عن الكلام للحظة.

تابعت: «عندما تصرفت أخيراً، ذهبت إلى رونار. كنت سأذهب

معها لو أنها طلبت إليّ ذلك، لكنها كانت خجلة جداً، ولم تخبر أحداً بما حدث إلا بعد مرور وقت طويل. هدّدها هولبرغ، قال إنها إذا فعلت شيئاً بخصوص ذلك الأمر فإنه سيعود ويعذّبها. عندما ذهبت إلى الشرطة ظناً منها أنها تتجه إلى بر الأمان، أنها ستتلقى مساعدة وسيعتنون بها، كان ذلك ما تفكر فيه حتى طلب رونار منها العودة إلى المنزل، بعد أن سخر منها وأخذ سروالها وطلب إليها أيضاً أن تنسى الأمر، حينئذٍ جاءت إلي».

قال إرلندور: «لم يتم العثور على السروال أبداً. أنكر رونار...».

«قالت كولبرون إنها أعطته إليه ولم تكن شقيقتي تكذب أبداً. لا أعرف ما الذي كان ذلك الرجل يفكر فيه، أراه يتنقّل في أرجاء الحي هنا أحياناً، في السوق أو في متجر الأسماك، صرخت بوجهه مرة، لم أتمكّن من السيطرة على نفسي. نظر إلي كأنه يستمتع بالأمر، ابتسم. تكلمت كولبرون مرّةً عن ابتسامته تلك. قال إنه لم يتسلَّم أي سروال أبداً وإن إفادتها كانت مبهمة جداً لدرجة ظن أنها تحت تأثير شيء ما، لهذا السبب طلب إليها العودة إلى المنزل».

قال إرلندور: «تلقى إنذاراً في نهاية المطاف، لكن لم يكن لذلك أثر يذكر عليه، كان رونار يتلقى دائماً إنذارات، كان معروفاً كقاطع طرقات في الشرطة لأنّ شخصاً ما كان يحميه، إلى أن وصل إلى مرحلة لم يعد يستطيع حمايته، عندها طُرد من الخدمة».

«لم تكن هناك دلائل كافية لتوجيه اتهام، هذا ما قالوه. كان ما قاله رونار صحيحاً، إن على كولبرون أن تنسى الأمر فحسب. بالطبع تردّدت لوقت طويل، طويل جداً، وكانت غبية بما يكفي لتنظّف المنزل كله من العتبة إلى السقف، ملابس نومها أيضاً، وتتلف كل الأدلّة،

احتفظت بالسروال، بالمحصلة كانت لا تزال تحاول الاحتفاظ ببيّنة ما، كأنها شعرت بأن ذلك سيكون كافياً، كأن قول الحقيقة كافٍ. كانت تريد إلغاء الحادثة من حياتها، لم تكن تريد أن تتعايش معها. وكما قلت، لم تكن هناك أي علامات ظاهرة عليها. كانت شفتها مشقوقة حيث عضّ شفتيها وإحدى عينيها متورمة لكن لم تكن هناك إصابات أخرى».

«هل تعافت من الأمر؟».

«أبداً. كانت امرأة شديدة الحساسية، شقيقتي فتاة جميلة وضحية سهلة لأي شخص يريد إلحاق الأذى بها، مثل هولبرغ أو رونار. كلٌّ منهما هاجمها بطريقته الخاصة. عذّب الوحشان فريستهما». ثم أطرقت إيلين نظرها.

انتظر إرلندور لحظة قبل أن يتابع. سأل: «كيف تصرفت عندما عرفت أنها حامل؟».

«بوعي كبير، كما أظن. قرّرت مباشرة أنها ستكون سعيدة بشأن الطفل، بغض النظر عن الظروف، وقد أحبت أودور حبّا جماً. كانتا متعلقتين ببعضهما كثيراً وكانت شقيقتي تعتني كثيراً بابنتها، كانت تفعل كل ما يمكنها من أجلها. تلك الفتاة الحلوة المسكينة».

«إذاً، هل عرف هولبرغ أنها كانت ابنته؟».

«بالطبع عرف، لكنه أنكر ذلك تماماً، قال إن لا علاقة له بها، اتهم شقيقتي بإقامة علاقات متعددة».

«لم يتصلا ببعضهما آنذاك، لا بشأن ابنتهما أو...».

«اتصال! أبداً. كيف يمكن أن تتخيل حدوث شيء من هذا القبيل؟ لم يكن ممكناً حدوث ذلك أبداً».

«أليس ممكناً أن تكون كولبرون قد أرسلت إليه الصورة؟».

«لا، لا، لا يمكنني تخيل ذلك. ذلك محال».

«قد يكون التقطها بنفسه. أو أن شخصاً يعرف ما حدث، التقطها وأرسلها إليه. ربما رأى إعلان الوفاة في الصحف. هل عُمِّمَتْ نعوات بعد وفاة أودور؟».

«كان هناك إعلان عن الوفاة في الصحف المحلية، كتبت نعياً قصيراً. قد يكون قرأ ذلك».

«هل أودور مدفونة هنا في كيفلافيك؟».

«لا، نحن من ساندجردي [بلدة]، وهناك مقبرة صغيرة في هفالسنز [ضاحية]، خارج البلدة. أرادت كولبرون أن يتم دفن ابنتها هناك، كان ذلك منتصف الشتاء، استغرق حفر القبر وقتاً طويلاً».

«تفيد شهادة الوفاة أنها أصيبت بورم دماغي».

«كان ذلك التفسير الذي حصلت عليه شقيقتي، لقد توفيت فحسب، توفيت بيننا تلك الفتاة الصغيرة المسكينة، ولم نستطع فعل شيء لإنقاذها، كانت في السنة الرابعة من عمرها».

رفعت إيلين بصرها عن الصورة ونظرت إلى إرلندور: «لقد توفيت فحسب».

كان الظلام حالكاً في المنزل وصدى كلماتهما في الغرفة يحمل الاستفسار والأسى. وقفت إيلين ببطء وأنارت مصباحاً عادياً خافت الضوء بينما كانت تخرج إلى الرواق متجهة إلى المطبخ. سمعها إرلندور تفتح الصنبور، تملأ شيئاً بالماء، تسكبه، تفتح علبة، وشمّ رائحة قهوة. وقف ونظر إلى الصور على الجدران. كانت رسوماً ولوحات، بينها لوحة رسمها طفل بألوان شمعية داخل إطار أسود رفيع. أخيراً عثر على ما كان يبحث عنه، على صورتين اثنتين لأودور،

ربما تم التقاطهما بفاصل زمني يقدَّر بسنتين.

التُقِطَت الصورة الأقدم في استديو، كانت بالأبيض والأسود، لم يكن عمر الفتاة على الأرجح أكثر من سنة واحدة وكانت تجلس على وسادة كبيرة ترتدي فستاناً جميلاً، مع شريط في شعرها وخشخيشة في يدها، كانت تبتسم للمصوّر فظهر في فمها أربعة أسنان صغيرة. في الصورة الملوّنة الثانية كان عمرها نحو ثلاث سنوات، ظن إرلندور أن والدتها ربما التقطتها، كانت الفتاة تقف بين بعض الشجيرات والشمس تسطع عليها مباشرة، وقد ارتدت كنزة حمراء سميكة وتنورة قصيرة، ووضعت جورباً أبيض وانتعلت حذاء أسود ذا مشكبين لامعين. كانت تنظر مباشرة إلى آلة التصوير برزانة. ربما كانت ترفض أن تبتسم.

قالت إيلين من باب غرفة الجلوس: «لم تتعافَ كولبرون من ذلك أبداً». شدّ إرلندور قامته.

قال وهو يمسك فنجان القهوة: «لا بد أن ذلك أسوأ شيء يمكن أن يتعرض له شخص». جلست إيلين وأسندت ظهرها على الأريكة تحمل فنجانها وجلس إرلندور قبالتها مجدداً وأخذ يرتشف قهوته.

قالت: «دخّن إذا أردت».

قال إرلندور وهو يحاول ألا يبدو آسفاً: «أحاول الإقلاع». تحولت أفكاره إلى الألم الذي كان يشعر به في صدره، لكنه رغم ذلك أخرج علبة متجعدة من جيب معطفه وسحب واحدة، لفافة تبغه التاسعة ذلك اليوم. دفعت بمنفضة نحوه.

قالت إيلين: «الحمد لله أن احتضارها لم يدم طويلاً. بدأت تشعر ألماً في رأسها، كأنها كانت تعاني من صداع، لكن الطبيب الذي عاينها تكلم فقط عن داء الشقيقة عند الأطفال، ووصف لها بعض الحبوب، لكنها لم تنفعها، لم يكن طبيباً جيداً. أخبرتني كولبرون أنها

اشتمّت رائحة كحول في أنفاسه وكانت قلقة من ذلك، لكن كل شيء حدث بعد ذلك فجأة، ساءت حال الفتاة، ذكروا ورماً في الجلد كان على طبيبها أن يلاحظه، علامات، كانوا يدعونها طفحاً ظاهراً في المستشفى، على ذراعيها بشكل أساس. أخيراً أرسلوها إلى المستشفى هنا في كيفلافيك حيث قرروا أنه نوع من الورم العصبي، تبين أنه ورم دماغي، استغرق الأمر كله نحو ستة شهور».

أطبق صمت على إيلين. «كما قلت، لم تعد كولبرون أبداً إلى سابق عهدها». تنهّدت. «لا أظن أن أحداً يمكن أن يتخطّى مثل تلك المأساة».

سأل إرلندور وهو يتخيل الجسد الصغير مُضاءً بمصابيح نيون قوية على طاولة فولاذية باردة مع شق عبر صدرها: «هل تم تشريح جثة أودور؟».

قالت إيلين: «لم تستسغ كولبرون الفكرة، لكن الأمر لم يكن بيدها في تلك المسألة، أُصيبت بالجنون عندما اكتشفت أنهم سيشرّحون جثتها، أُصيبت بحزن شديد، بالطبع بعد موت طفلتها، ولم تكن تصغي إلى أحد. لم تستطع مجرّد التفكير في أنهم شقّوا جسد ابنتها الصغيرة، كانت ميتة ولا شيء يمكن أن يغير ذلك. أكّد التشريح التشخيص ووجدوا ورماً خبيثاً في دماغها».

«وشقيقتك؟».

«انتحرت كولبرون بعد ثلاث سنوات. أُصيبت باكتئاب غير قابل للعلاج وكانت بحاجة إلى عناية طبية. قضت بعض الوقت في مستشفى للأمراض النفسية في ريكيافيك، ثم عادت إلى كيفلافيك. حاولت جاهدةً الاعتناء بها بأفضل ما يمكنني، لكنها كانت قد فقدت الأمل بكل شيء. لم تكن لديها رغبة في العيش. كانت أودور قد أدخلت

السعادة إلى حياتها رغم تلك الظروف المريعة. لكنها ما لبثت أن رحلت آنذاك».

نظرت إيلين إلى إرلندور. «ربما تتساءل كيف فعلت ذلك؟».

لم يرد إرلندور.

«دخلت الحمام وجرحت معصميها. اشترت شفرات حلاقة لتفعل ذلك».

توقفت إيلين عن الكلام وغشتهما عتمة غرفة الجلوس. «هل تعرف ما يجول ببالي عندما أفكّر في شأن ذلك الانتحار؟ ليست الدماء في الحمام، ولا شقيقتي السابحة في مياه حمراء، ليست الجروح، إنّما كولبرون في المتجر، تشتري شفرات الحلاقة، تدفع المال مقابل شفرات الحلاقة، تعدّ النقود».

توقفت إيلين عن الكلام.

سألت كأنها تتحدث إلى نفسها: «ألا تظن أن الطريقة التي يعمل بها ذهنك غريبة؟».

لم يكن إرلندور يعرف كيف يجيبها.

تابعت إيلين: «أنا من وجدتها، كانت على تلك الحال. اتصلت بي وطلبت إليَّ المجيء في تلك الأمسية. تحدثنا حديثاً قصيراً. كنت متأهبة دائماً بسبب اكتئابها، لكن كان يبدو أنها تتحسن باستمرار، كأنه ضباب ينقشع، كان بإمكانها التمسّك بالحياة مجدداً، لم يبدُ في كلامها وصوتها ما يشير إلى أنها كانت تخطط للانتحار، كانت أبعد ما يكون عن ذلك، تكلمنا عن المستقبل، كنا سنسافر معاً. عندما وجدتها هناك كانت مطمئنة بطريقة لم أعهدها منذ وقت طويل، طمأنينة ورضا. لكنني أعرف أنها لم تكن راضية لما آلت إليه حالها، كما أنها لم تجد السكينة في روحها».

قال إرلندور: «يجب أن أطرح عليك سؤالاً واحداً ثم سأتركك وشأنك، يجب أن أسمع جوابك».

«ما الأمر؟».

«هل لديك أي معلومات عن مقتل هولبرغ؟».

«لا، ليست لدي».

«ولم يكن لك يدٌ في ذلك، بشكل مباشر أو غير مباشر؟».

«لا».

بقيا صامتين لبعض الوقت.

قال إرلندور: «النقش الذي اختارته لابنتها كان عن العدو».

قالت إيلين: «'احفظ حياتي من الخوف من العدو'. اختارته بنفسها، رغم أنها لم تضعه على شاهدة قبرها». وقفت، مشت إلى خزانة جميلة ذات واجهة زجاجية، فتحت درجاً فيها وأخرجت علبة سوداء صغيرة. فتحتها بمفتاح، رفعت بعض المغلّفات وأخرجت ورقة صغيرة. وقالت لإرلندور: «وجدت هذه على طاولة المطبخ في الليلة التي ماتت فيها، لكنني لست واثقة إن كانت تريد مني نقشها على شاهدة قبرها، أشك في ذلك. لا أظن أنني كنت أدرك كم كانت تعاني حتى رأيت هذه».

سلّمت إرلندور الورقة، قرأ الكلمات الأولى من المزمور الذي كان قد رآه في الكتاب المقدس في وقت سابق اسمع صوتي، يا الله.

12

عندما وصل إرلندور إلى منزله تلك الليلة كانت ابنته، إيفا ليند، تجلس على الدرج المؤدي إلى شقته، غافية على ما يبدو. كلّمها، حاول إيقاظها. لم تُجب، لهذا وضع يديه تحت ذراعيها، رفعها وحملها إلى الداخل. لم يعرف إن كانت نائمة أو مخمورة. وضعها على الأريكة في غرفة الجلوس. كان تنفسها منتظماً، ونبضها يبدو طبيعياً. نظر إليها قليلاً، وتساءل عمّا يجب أن يفعله، أراد أن يضعها في الحمام، كانت رائحتها كريهة، يداها متسختين وشعرها متلبد بالتراب.

همس إرلندور لنفسه: «أين كنت؟».

جلس على الكرسي إلى جانبها ناسياً انتزاع قبعته وخلع معطفه، مفكراً في ابنته حتى غطّ في نوم عميق.

لم يرغب في الاستيقاظ عندما هزّته إيفا ليند في صبيحة اليوم التالي. كان يحاول التقاط مقتطفات من الأحلام التي تثير انزعاجاً في نفسه كل ليلة. كان يعرف أنه الحلم نفسه، لكنه لم يتمكّن من تثبيته في ذهنه تماماً كما حدث المرة الماضية، لم يتمكّن من الإمساك به، فما يتبقى منه كل مرة هو الشعور بالانزعاج.

لم تكن الساعة قد بلغت الثامنة صباحاً بعد، وكان الظلام لا يزال حالكاً في الخارج. وفقاً لما كان إرلندور يعرفه لم تكن أمطار الخريف قد توقفت ولا الرياح هدأت. لدهشته اشتمَّ رائحة قهوة من المطبخ ورائحة بخار كأن أحداً كان يستحم. لاحظ أن إيفا ليند ارتدت

أحد قمصانه وجينزاً قديماً تشدّه بإحكام حول خصرها النحيل بحزام. كانت حافية القدمين ونظيفة.

قال: «كنت بحال جيدة الليلة الماضية»، وندم على ذلك مباشرة، ثم فكّر لماذا كان يراعي شعورها منذ وقت طويل؟

قالـت إيفـا لينـد وهي تمشـي نحو المطبـخ: «لقد اتخذت قراراً. سوف أجعلك الجد إرلندور».

«إذاً، هل كنت تستمتعين آخر مرة الليلة الماضية، أم ماذا؟».

«هـل يمكننـي البقـاء هنـا بعـض الوقـت، فقـط حتى أجـد مكاناً جديداً؟».

«كأنني سأهتم بذلك».

جلس إلى طاولة المطبخ معها وارتشف القهوة التي سكبتها له في فنجان.

«وكيف توصلت إلى هذه النتيجة؟».

«فعلت وحسب».

«فعلتِ وحسب؟».

«هل يمكنني البقاء أم لا؟».

«طالما أردت ذلك، وتعرفين ذلك».

«هل سـتتوقف عن طرح أسـئلة علي؟ تتوقف عن اسـتجواباتك تلك، كأنك دائماً في العمل».

«أنا دائماً في العمل».

«هل عثرت على الفتاة من غاردابير؟».

«لا. إنها ليسـت قضية ذات أولوية. تكلمت إلى عريسـها أمس، لا يعرف شيئاً. تركت الفتاة ملاحظة تفيد: إنه وحش، ما الذي كنت قد فعلته؟».

«لا بد أن شخصاً كان يضايقها في الحفلة».

قال إرلندور: «يضايقها؟ هل تلك كلمة؟».

«ما الذي يمكن أن تتعرّض له العروس في حفل زفافها لتهرب؟».

قال إرلندور من دون اهتمام: «لا أدري. حدسي يقول إن العريس كان يعبث مع الوصيفات وربّما رأته. أنا سعيد لأنك سترزقين بطفل. قد يساعدك ذلك على الخروج من هذه الحلقة الفاسدة. إنها مسألة وقت».

توقف قليلاً، ثم قال أخيراً: «غريب كم أنتِ مرحة الآن قياساً إلى الحال التي كنتِ عليها أمس».

صاغ كلماته بحرص قدر الإمكان، لكنه كان يعرف أيضاً أن إيفا ليند، في ظروف عادية، لا تتألق مثل هذا اليوم، ولا تخرج نشيطة من الحمام، ولا تحضّر القهوة وتتصرف كأنها لا تفعل شيئاً سوى الاعتناء بوالدها. نظرت إليه ورآها توازن خياراتها وانتظر أن تتكلم، انتظر أن تقفز على قدميها وتسفعه بلسانها السليط، لم تفعل ذلك.

قالت بهدوء شديد: «أحضرت بعض الحبوب معي، لا يحدث ذلك من تلقاء نفسه، وليس بين ليلة وضحاها. يحدث ذلك ببطء، على مدى وقت طويل، لكنها الطريقة التي أريد أن يحدث بها».

«والطفل؟».

«لن يتأذى بما استخدمه، لا أخطط لإلحاق الأذى بالطفل. سوف أنجبه».

«ماذا تعرفين عن تأثير الممنوعات على الجنين؟».

«أعرف».

«افعلي ما يحلو لك، تناولي شيئاً، سيئي الأذى لنفسك كما

تشائين، ابقي هنا في الشقة، فكّري جيداً في نفسك. يمكنني...».

قالت إيفا ليند: «لا. لا تفعل شيئاً، امضِ قدماً بحياتك ولا تتجسّس علي، لا تفكر في ما أفعله. إذا لم تجدني هنا عندما تعود إلى المنزل، لا تهتم بذلك، إذا عدت إلى المنزل في وقت متأخر أو لم أعد على الإطلاق، لا تتدخّل. أمّا إذا حدث غير ذلك، سأرحل، نقطة انتهى».

«إذاً، هذا ليس من شأني».

قالت إيفا ليند: «ليس ذلك من شأنك أبداً»، وارتشفت قهوتها.

رنّ الهاتف نهض إرلندور وأجاب. كان سيغوردور أولي، الذي يتصل من المنزل.

قال: «لم أتمكّن من الاتصال بك أمس».

تذكّر إرلندور أنه أغلق هاتفه الخلوي عندما تحدّث إلى إيلين في كيفلافيك، ولم يشغّله بعد ذلك.

سأل إرلندور: «هل هناك أي تطورات جديدة؟».

«تكلمت إلى رجل يدعى هيلمر أمس. سائق شاحنة آخر كان ينام أحياناً في منزل هولبرغ في نوردورمايري. قال لي إن هولبرغ كان صديقاً جيداً، لا شيء يدعو إلى القلق في شخصيته، إن الجميع في العمل كانوا يحبونه، فقد كان شخصاً اجتماعياً يقدم يد العون. لا يظن أن له أعداء، لكنه أضاف أنه لم يكن يعرفه حق المعرفة. أخبرني هيلمر أيضاً أن هولبرغ لم يكن على سجيته المعتادة آخر مرة أقام فيها عنده، والتي كانت قبل عشرة أيام تقريباً. الواضح أنه كان يتصرف بشكل غريب».

«غريب بأي طريقة؟».

«وفقاً لما قاله هيلمر كان خائفاً قليلاً من الرد على المكالمات. قال إن هناك شـريراً لن يدعه وشـأنه، فهو يتصل به دائماً. قال هيلمر إنـه بقـي معـه حتـى ليلـة السـبت وإن هولبـرغ طلـب إليـه الـرد علـى المكالمـات، فعـل هيلمـر ذلـك، لكن عندما أدرك المتصل أن هولبرغ لم يكن الشخص الذي أجابه أغلق الهاتف بعنف».

«هل يمكننا أن نعرف من كان يتصل بهولبرغ مؤخراً؟».

«لقد تفقّدت ذلك، وهناك شـيء آخر، لقد حصلت على لائحة من شـركة الهاتف بالمكالمات التي أجراها هولبرغ، هناك شـيء مثير للاهتمام فيها».

«ماذا؟».

«هل تتذكر حاسوبه؟».

«نعم».

«لم نتفقّده أبداً».

«لا. قام الفنيون بذلك».

«هل لاحظت إن كان موصولاً بالهاتف؟».

«لا».

«كانت معظم مكالمات هولبرغ، كلها تقريباً في الواقع، مع مزود خدمة الإنترنت. كان يمضي أياماً في تصفح الشبكة».

سـأل إرلنـدور الـذي لـم تكـن لديـه معرفـة كبيرة بـكل ما يتعلق بالحواسب: «ماذا يعني ذلك؟».

رد سيغوردور أولي: «ربما سنرى ذلك عندما نشغّل حاسوبه».

وصلا إلى شقة هولبرغ في نوردورمايري في الوقت نفسه. كان شـريط الشـرطة الأصفر قد أُزيل ولـم يتبقَّ ما يشـير إلى وقوع جريمة

آنذاك، الطوابق العليا غير مضاءة، ويبدو أن الجيران ليسوا في منازلهم. كان مع إرلندور مفتاح للشقة. ذهبا مباشرة إلى الحاسوب وشغّلاه. بدأ يصدر أزيزاً.

قال سيغوردور أولي: «إنه حاسوب قوي تماماً»، وتردد في سرد مزايا هذا الحاسوب لإرلندور، لكنه قرر ألا يفعل ذلك.

قال: «حسنٌ، سألقي نظرة لأرى عناوين مواقع الإنترنت التي كان قد خزّنها في اللائحة المفضّلة لديه. الكثير منها، بل عدداً كبيراً منها. ربما كان يحتفظ ببعض الملفات. ياه!».

قال إرلندور: «ماذا؟».

«قرص حاسوبه الصلب ممتلئ».

«ماذا يعني ذلك؟».

«يجب أن تكون لديك أشياء كثيرة لتملأ قرصاً صلباً. لا بد أن أفلاماً كاملة هنا. يوجد هنا شيء أسماه فيديو - ح 3. هل يجب أن نتحقق منه؟».

«بالتأكيد».

فتح سيغوردور أولي الملف ففتحت نافذة تعرض فيديو. شاهدا لبضع ثوانٍ مشهداً خلاعياً.

سأل إرلندور غير مصدق ما يراه: «هل هذه معزاة التي يضعونها فوقها؟».

قال سيغوردور أولي: «يوجد 312 ملف فيديو - ح. قد تكون مشاهد مثل هذا، وقد تكون أفلاماً كاملة».

قال إرلندور: «فيديو - ح؟».

قال سيغوردور أولي: «لا أدري. ربما فيديو حيوانات. هناك فيديو - ر أيضاً. يجب أن نشاهده، دعني أقول، فيديو - ر 88. نقرتان

متتاليتان... تكبير النافذة...».

قال إرلندور: «نقرتان -؟»، لكنه توقف في منتصف الجملة عندما ظهر أربعة رجال يقيمون علاقة على شاشة 17 بوصة.

قال سيغوردور أولي عندما انتهى المشهد: «لا بد أن فيديو-ر تعني أفلام رجال».

قال إرلندور: «واضح أنه مهووس بذلك. كم عدد الأفلام كلها؟».

«هناك أكثر من ألف فيلم هنا، لكن قد يكون هناك المزيد مخزّناً في مكان آخر على القرص».

رنّ هاتف إرلندور الخلوي في جيب معطفه. كانت إيلينبورغ التي أخبرته أنها تحاول اقتفاء آثار الرجلين اللذين ذهبا مع هولبرغ إلى الحفلة في كيفلافيك في الليلة التي تعرّضت فيها كولبرون للاعتداء. قالت إيلينبورغ لإرلندور إن أحدهما، ويدعى غريتار، قد اختفى قبل سنوات.

قال إرلندور: «اختفى؟».

«نعم. إنه أحد الشخصين المفقودين».

قال إرلندور: «والآخر؟».

قالت إيلينبورغ: «الآخر في السجن، متورّط في متاعب كثيرة، لا تزال لديه سنة من حكم مدته أربع سنوات».

«ما السبب؟».

«قدِّر أنت السبب».

13

ذكّر إرلندور أفراد فريق الطب الشرعي بالحاسـوب. كان الأمر سيستغرق بعض الوقت للتحقق من كل ما يوجد فيه. طلب إليهم النظر في كل الملفات، جدولتها وتصنيفها وإعداد تقرير مفصّل بمحتوياتها. ثم انطلق وسـيغوردور أولي نحو سـجن ليتلا - هرون [أكبر سـجون أيسـلندا]، إلى الشـرق من المدينة. اسـتغرقت الطريق أكثر من سـاعة للوصـول إلـى هنـاك. كانـت الرؤيـة ضعيفـة، الطريق مغطـى بالجليد، والسـيارة مزوّدة بإطارات مخصصة للصيف، لهذا كان عليهما توخي الحذر. أصبح الطقس أكثر دفئاً بعد أن مرّا عبر ممر ثرنغسلين [ممر جبلي]. اجتازا نهر الفوسا، وسرعان ما شاهدا من بعيد بنائي السجن يرتفعان فوق ضفة تغطيها حصى صلبة. كان المبنى القديم مؤلفاً من ثلاثـة طوابـق، علـى شـكل جملون [مثلث الزاويـة من الأعلى]. طيلة سنوات كان سقفه مكسواً بصفائح حمراء حديدية مموجة ويبدو من بعيـد، مثـل منـزل ضخـم فـي مزرعة قديمة. كان السـقف مطلياً آنذاك بلـون رمـادي ليماثـل المبنـى الجديد الـذي أقيم إلى جانبه. كان ذلك بنـاءً مشـيداً مـن الفـولاذ والكوبالـت الرمادي مع بـرج مراقبة عصري ومحصّن، يشبه المعهد المالي في ريكيافيك.

كم تغيّر الزمن، فكّر إرلندور في قرارة نفسه.

كانـت إيلينبـورغ قـد أبلغـت سـلطات السـجن بأنهما سـيقومان بزيارتـه، وأي نزيـل يرغبـان فـي التحـدث إليـه. رحّـب مدير السـجن بالمحققيـن ورافقهمـا إلـى مكتبـه. أراد أن يزوّدهمـا ببعـض التفاصيل

عـن السـجين قبـل أن يتحدثـا إليـه. صادف وصولهما في أسـوأ وقت ممكن. كان السـجين المطلوب في الحبس الانفرادي بعد أن اعتدى مع شخصين آخرين على متحرش بالأطفال وتركوه على شفير الموت. قـال إنـه يفضّـل عـدم الخـوض فـي التفاصيل، لكنـه أراد إبلاغ رجلي الشرطة، وأن يوضح بجلاء أن زيارتهما تعد خرقاً للحبس الانفرادي وأن السـجين سـيكون، بأفضل الأحوال، في حال غير مسـتقرة. بعد الاجتمـاع تـم اصطحـاب المحققيـن إلـى قاعة الزيارة. جلسـا وانتظرا السجين.

كان اسمه إيليدي، وعمره ستاً وخمسين سنة، وقد خرق القانون مراراً. سـبق لإرلندور أن عرفه، فقد رافقه إلى سـجن ليتلا - هرون بنفسـه في إحدى المرات. كان إيليدي قد أدّى أعمالاً متنوعة خلال حياتـه البائسـة؛ أبحـر علـى متـن مراكـب صيـد وسـفن تجارية، حيث عمل بتهريب الكحول والممنوعات، وأُدين في نهاية المطاف بذلك. حاول التحايل على التأمين بإضرام النار في مركب يزن 20 طناً قبالة السـاحل الجنوبـي - الغربـي وإغراقـه. نجـا ثلاثة منهم. أما الرابع من المجموعـة، بالخطـأ علـق فـي غرفـة المحرك، وغرق مع المركب، تم اكتشاف الجريمة عندما نزل غوّاصون حيث الحطام فتبين أن النيران قد اشتعلت في ثلاثة أماكن في وقت واحد. أمضى إيليدي أربع سنوات في ليتلا - هرون بعد إدانته بالتحايل على التأمين، القتل غير المتعمد، وعـدد مـن الجنـح الأخـرى التـي تراكمـت في مكتـب المدّعي العام. أمضى سنتين ونصف في السجن آنذاك.

كان إيليدي ذا سـمعةٍ سيئة لاسـتخدامه العنف الجسـدي الذي كان فـي أسـوأ الحـالات يـؤدي إلـى إلحـاق عاهـات وإعاقـات دائمة بضحاياه. تذكر إرلندور إحدى قضايا إيليدي وقصّها على سيغوردور

أولي بينما كانا يجتازان البراح [أرض سبخة تكثر فيها نباتات الخلنج]. كان لإيليدي حساب يصفّيه مع شاب في منزل في سنورابروت [بلدة]. بحلول الوقت الذي وصلت فيه الشرطة إلى المكان كان قد ضرب الرجل ضرباً مبرّحاً بقي بسببه في العناية المشدّدة أربعة أيام. بعد أن قيّد الرجل إلى كرسي تسلّى بجرح وجهه بقارورة مكسورة. وقبل أن يتمكنوا من السيطرة على إيليدي، ضرب أحد رجال الشرطة فأغمي عليه وكسر ذراع آخر. قضاة أيسلندا متساهلون. حُكم عليه بالسجن مدة سنتين بعد إدانته بذلك الاعتداء وبجنحٍ أخرى سابقة. وعند النطق بالحكم، سخر منه.

فُتح الباب ودفع حارسان إيليدي إلى القاعة. كان قوي البنية رغم سنه، ذا بشرة داكنة، ورأس حليق تماماً. كانت أذناه صغيرتين بشحمتين متصلتين بالرأس لكنه تمكّن رغم ذلك من إحداث ثقب في إحداهما، تدلّى منه صليب معقوف أسوَد [شعار الحزب النازي والرايخ الثالث]. أمّا أسنانه الاصطناعية فتصدر صفيراً عندما يتكلم. كان يرتدي جينزاً بالياً وقميصاً تائياً أسود يكشف عضلات مفتولة ووشوماً على كلتا ذراعيه. طوله أكثر من ست أقدام. لاحظا أنه كان مكبلاً بأصفاد، وأن إحدى عينيه حمراء، كان وجهه مخدوشاً وشفته العليا متورمة.

ساديٌ مضطرب نفسياً، كما قال إرلندور لنفسه.

اتخذ الحارسان موقعين إلى جانبي الباب ومشى إيليدي إلى الطاولة حيث جلس قبالة إرلندور وسيغوردور أولي، نظر إليهما بعينيه الرماديتين الباهتتين من دون أي اهتمام.

سأل إرلندور: «هل كنت تعرف رجلاً يدعى هولبرغ؟».

لم يُجب إيليدي، وتظاهر بأنه لم يسمع السؤال. نظر إلى إرلندور

وسيغوردور أولي بالعينين الباهتتين نفسيهما. كان الحارسان يتكلمان معاً بصوت خافت إلى جانب الباب، فيما سُمِع صراخ من مكان آخر في المبنى. أُغلق الباب بعنف. كرّر إرلندور سؤاله، وتردد صدى كلماته في القاعة الخالية. «هولبرغ! هل تتذكره؟».

لم يحصل رغم ذلك على إجابة من إيليدي، الذي نظر من دون اكتراث في أرجاء القاعة، كأنهما غير موجودين هناك. انقضى بعض الوقت بصمت. نظر إرلندور وسيغوردور أولي إلى بعضهما وطرح إرلندور السؤال مرة ثالثة. هل تعرف هولبرغ، وما كانت طبيعة علاقتكما؟ لقد مات هولبرغ. وُجد مقتولاً.

ازداد اهتمام إيليدي لدى سماعه الكلمة الأخيرة. وضع ذراعيه القويتين على الطاولة، خشخشت الأصفاد، ولم يستطع إخفاء دهشته. نظر بفضول إلى إرلندور.

قال إرلندور: «قُتل هولبرغ في منزله عطلة الأسبوع الماضي. نتكلم إلى أشخاص كانوا يعرفونه في أوقات مختلفة ويبدو أنكما كنتما تعرفان بعضكما».

كان إيليدي قد بدأ يحدّق إلى سيغوردور أولي، الذي بادله النظرات. لم يجب على إرلندور.

«إنه إجراء معتاد...».

قال إيليدي فجأة، من دون أن يرفع عينيه عن سيغوردور أولي: «لن أتكلم معك وهذه الأصفاد في يديّ». كان صوته أجشاً، قاسياً واستفزازياً. فكّر إرلندور للحظة، ثم نهض وذهب إلى الحارسين. شرح طلب إيليدي وسأل إذا كان ممكناً فك أصفاده. تردّدا، لكنهما ذهبا بعد ذلك إليه، وفكّا الأصفاد وعادا إلى موقعيهما إلى جانبي الباب مجدداً.

سأل إرلندور: «ماذا يمكنك أن تخبرنا عن هولبرغ؟».

قال إيليدي وهو يومئ نحو الحارسين: «ليغادرا أولاً».

قال إرلندور: «هذا مستحيل».

سأل إيليدي وكانت نظرته لا تزال ثابتة على سيغوردور أولي: «هل أنت جبان لعين؟».

قال إرلندور: «لا تتحفنا بأيٍ من ذلك الهراء».

لم يهتم سيغوردور أولي له، وكانا ينظران إلى عينيّ بعضهما.

قال إيليدي: «لا شيء مستحيل. لا تقل لي إن أي شيء مستحيل».

قال إرلندور: «لن يغادرا».

قال إيليدي مجدداً وهو لا يزال يحدّق إلى سيغوردور أولي الذي لم تصدر عنه أي ردة فعل: «هل أنت جبان؟».

بقوا صامتين لبعض الوقت. أخيراً نهض إرلندور، ذهب إلى الحارسين، كرّر ما طلبه إيليدي وسألهما إن كانت هناك أي فرصة ليدعاهما وحدهما معه. قال الحارسان إن ذلك مستحيل، وإن لديهما أوامر بعدم ترك السجين من دون رقابة. بعد بعض الجدال سمحا لإرلندور التكلم إلى المدير عبر لاسلكي ثنائي الاتجاه. قال إرلندور إن جانب الباب الذي يقف إليه الحارسان لن يشكل فرقاً كبيراً، وإنه وسيغوردور أولي قد قطعا مسافة طويلة من ريكيافيك، وإن السجين يُظهر شيئاً من الاستعداد للتعاون إذا تحققت شروط معينة. تكلم المدير إلى رجليه، وقال إنه سيتحمل مسؤولية سلامة المحققين شخصياً. خرج الحارسان وعاد إرلندور إلى الطاولة وجلس إليها.

سأل: «هل ستتكلم إلينا الآن؟».

قال إيليدي: «لم أكن أعرف أن هولبرغ قد قُتل. وضعني هؤلاء

الفاشـيون في الانفرادي لفعلٍ لم أفعله. كيف قُتل؟». كان إيليدي لا يزال يحدّق إلى سيغوردور أولي.

قال إرلندور: «هذا ليس من شأنك».

«قال أبي إنني كنت الوغد الأكثر فضولاً على وجه الأرض. كان دائماً يقول ذلك. ليس من شـأنك. ليس من شـأنك! لقد مات. هل طُعن؟ هل مات هولبرغ مطعوناً؟».

«ذلك ليس من شأنك».

كرّر إيليدي: «ليس من شأني!»، نظر إلى إرلندور وقال: «اغرب عن وجهي إذاً».

فكّر إرلندور للحظة. لم يكن أحد خارج إدارة البحث الجنائي يعرف تفاصيل القضية. لقد بدأ يملّ من اضطراره إلى الرضوخ لكل طلبات هذا الشخص.

«ضُرب على رأسه. تهشّمت جمجمته. مات مباشرة تقريباً».

«بمطرقة؟».

«منفضة».

نقل إيليدي بصره ببطء من إرُلندور إلى سيغوردور أولي.

قال: «أي نوعٍ من المعتوهين يستخدم منفضة؟». لاحظ إرلندور قطرات عرق صغيرة تتشكل على جبين سيغوردور أولي.

قـال إرلنـدور: «هـذا مـا نحاول اكتشـافه. هل كنـت على اتصال بهولبرغ؟».

«هل عانى؟».

«لا».

«الأحمق».

سأل إرلندور: «هل تتذكر غريتار؟ كان معكما أنت وهولبرغ في كيفلافيك؟».

«غريتار؟».

«هل تتذكره؟».

قال إيليدي: «لماذا تسأل عنه؟ ماذا بشأنه؟».

قال إرلندور: «علمت أن غريتار مختفٍ منذ سنوات طويلة. هل تعرف شيئاً عن اختفائه؟».

قال إيليدي: «ماذا يجب أن أعرف عنه؟ ما الذي يجعلك تظن أنني أعرف شيئاً عن ذلك؟».

«ماذا كنتم تفعلون في كيفلافيك، أنتم الثلاثة؟ أنت غريتار وهولبرغ؟».

قال إيليدي مقاطعاً إرلندور: «كان غريتار مجنوناً».

«ماذا كنتم تفعلون في كيفلافيك عندما...».

قاطعه إيليدي: «... اغتصب تلك المرأة؟».

سأل إرلندور: «ماذا قلت؟».

«ألهذا السبب جئت إلى هنا؟ لتسأل عن تلك المرأة من كيفلافيك؟».

«إذاً أنت تتذكر الأمر؟».

«ما علاقة ذلك بما حدث؟».

«لم أقل أبداً...».

«كان هولبرغ يحب أن يتكلم عن الأمر، كان يتباهى بذلك، أفلت من العقوبة، فعلها مرتين، هل كنت تعرف ذلك؟». قال إيليدي ذلك بفظاظة ونظر إليهما بالمقابل.

«هل تتكلم عن الاغتصاب في كيفلافيك؟».

استدار إيليدي نحو سيغوردور أولي، وحدّق إليه مجدداً: «ما لون السروال الذي ترتدينه يا حلوتي؟». نظر إرلندور إلى زميله، الذي بقيت عيناه ثابتتين على إيليدي.

قال إرلندور: «انتبه لفمك القذر».

«طلبه منها، هولبرغ، طلب سروالها. كان أكثر جنوناً حتى مني». قهقه إيليدي. «وأرسلوني إلى السجن!».

«ممن طلب السروال؟».

«طلبه من الفتاة في كيفلافيك».

«هل أخبرك بذلك».

قال إيليدي: «كل التفاصيل، كان يتكلم دائماً عن الأمر، على كل حال لماذا تسأل عن كيفلافيك الآن؟ ما علاقة ما حدث في كيفلافيك بهذا الأمر؟ ولماذا تسأل عن غريتار الآن؟ لا أفهم ذلك».

قال إرلندور: «عملنا المعتاد الممل فحسب».

«صحيح، إذاً ما الذي سأحصل عليه بالمقابل؟».

«لقد حصلت على كل ما تريد، نحن نجلس وحدنا معك من دون أصفاد في يديك، نحن مضطرون إلى الاستماع إلى كلامك الفاحش، لا يمكننا فعل أي شيء آخر لك، إما أن تجيب على السؤال الآن أو نغادر».

لم يكن باستطاعته مقاومة الإغراء، مدّ إرلندور يده فوق الطاولة وأمسك وجه إيليدي بيديه القويتين وأداره نحوه.

قال: «ألم يخبرك والدك أبداً أنه من الفظاظة التحديق إلى الآخرين؟». نظر سيغوردور أولي إلى إرلندور.

قال: «يمكنني التعامل معه، لا بأس بذلك».

أفلت إرلندور وجه إيليدي من قبضته.

سأل: «كيف عرفت هولبرغ؟». فرك إيليدي ذقنه، أدرك أنه أحرز انتصاراً ثانوياً فقط، ولم يتوقف عند ذلك.

قال لإرلندور: «لا تظن أنني لا أتذكرك، لا تظن أنني لا أعرف من أنت، لا تظن أنني لا أعرف إيفا».

حدّق إرلندور بالسجين مشدوهاً. لم تكن تلك أول مرة يسمع فيها هذا النوع من الكلام من مجرمين، لكنه لم يكن أقل استعداداً لذلك من قبل. لم يكن يعرف بالضبط أصدقاء إيفا ليند. كان بعضهم مدانين، تجار ممنوعات، لصوصاً، غانيات، ومجرمين. لائحة طويلة. واجهت إيفا في الماضي متاعب مع القانون. اعتُقلت مرةً بناء على معلومة من أحد أولياء الأمور أنها تبيع ممنوعات في المدرسة. كان محتملاً أن يتعرف رجلٌ مثل إيليدي وإيفا ليند إلى بعضهما بسهولة.

كرّر إرلندور: «كيف عرفت هولبرغ؟».

قال إيليدي: «إيفا بخير». كان بإمكان إرلندور قراءة معانٍ لا تعد ولا تحصى في كلماته.

قال: «إذا ذكرتها مجدداً سنغادر، وعندها لن يكون لديك أحد لتلعب معه».

«لفائف تبغ، تلفاز في الزنزانة، لا مزيد من أعمال السخرة أو الحبس الانفرادي. هل ذلك كثير؟ ألا يمكن لمحققين رفيعي الشأن تلبية ذلك؟ وسيكون لطيفاً الحصول على امرأة هنا مرة في الشهر أو نحو ذلك. فتاته على سبيل المثال». قال ذلك وهو يشير إلى سيغوردور أولي.

نهض إرلندور ووقف سيغوردور أولي على قدميه ببطء. بدأ إيليدي يضحك، ضحكة جافة اعتملت داخله، تطورت إلى قهقهة

عالية انتهت إلى سعال وخروج بعض البلغم الأصفر الذي بصقه على الأرض. استدارا ومشيا مبتعدين عنه نحو الباب.

صـرخ خلفهمـا: «تكلـم معـي كثيـراً عـن ذلـك الاغتصـاب فـي كيفلافيـك! أخبرنـي كل شـيء عنـه؛ كيـف كانـت تلـك المرأة تصرخ مثـل خنزيـر قـذر، والـكلام الـذي همـس به في أذنهـا بينما كان ينتظر أن يباشر ذلك الفعل معها. هل تريدان أن تسمعا كيف حدث الأمر؟ هل تريدان أن تسمعا ما قاله لها؟! أيها الحارسان اللعينان! هل تريدان أن تسمعا كيف حدث الأمر؟».

توقف إرلندور وسيغوردور أولي، استدارا ليريا إيليدي يهزّ رأسه متحدياً، يرغي زبداً ويصرخ بلعنات وشـتائم. كان واقفاً على قدميه، يـداه علـى الطاولـة، ينحنـي فوقهـا، يمدّ رأسـه الكبيـر نحوهما ويجأر عليهما مثل ثور غاضب.

فُتح باب القاعة ودخل الحارسان.

صـرخ إيليـدي: «أخبرَهـا عـن الأخـرى! أخبرَها مـا فعله بالمرأة اللعينة الأخرى التي اغتصبها!».

14

عندمـا رأى إيليـدي الحارسـين جـن جنونـه، وثب على الطاولة، جـرى نحـو الرجـال الأربعـة يصـرخ، ورمى بنفسـه عليهـم. وقع فوق إرلندور وسيغوردور أولي اللذين سقطا أرضاً قبل أن يتمكّنا من فعل أي شيء. ضرب إيليدي سيغوردور أولي برأسه، فسال الدم من أنفي كلا الرجلين، وعندما رفع قبضته ليوجّه ضربةً إلى وجه إرلندور أخرج أحد الحارسـين آلةً سـوداء صغيرة ووجّه إليه صدمة كهربائية. أبطأت تلك الصدمة إيليدي، لكنها لم توقفه، رفع ذراعه مجدداً، لم يتوقف حتى وجّه الحارس الآخر إليه صدمة كهربائية ثانية فوقع فوق إرلندور وسيغوردور أولي.

زحفا مبتعدين من تحته. وضع سيغوردور أولي منديلاً على أنفه في محاولة لإيقاف النزيف. تلقى إيليدي صدمة كهربائية ثالثة فخارت قواه أخيراً. قيّد الحارسان يديه بالأصفاد ورفعاه بصعوبة كبيرة ليقف على قدميه. كانا سيخرجانه من هناك لكن إرلندور طلب إليهما الانتظار قليلاً، مشى نحو إيليدي.

سأل: «أي واحدة أخرى؟».

لم يبدُ على إيليدي أي رد فعل.

كرّر إرلندور: «أي واحدة أخرى اغتصب؟».

حاول إيليدي أن يبتسم، لكنه كان مذهولاً من الصدمة الكهربائية، ظهرت تكشـيرة على وجهه بعدما سـال الدم من أنفه إلى فمه ولطّخ أسـنانه الاصطناعيـة. حـاول إرلنـدور إخفـاء اللهفة في صوته، كأنه لا

يهتم أبداً لما كان إيليدي يعرفه. حاول ألا يجعل نفسه مكشوفاً، أو يُظهر أي تعبير على وجهه. كان يعرف أن أقل ضعف يجعل قلوب رجال مثل إيليدي تخفق بقوة، يحولهم إلى رجال حقيقيين، يمنحهم هدفاً في حياتهم الوهمية البائسة، سيكون أقل انحراف كافياً، نبرة متلهفة في صوته، لمعان في عينيه، حركة في يديه، علامة على نفاد الصبر. تمكن إيليدي من جعله يفقد توازنه عندما ذكر إيفا ليند، لم يمنحه إرلندور فرصة الاستمتاع بكونه صاحب القرار آنذاك، نظرا إلى عينيّ بعضهما.

قال إرلندور وهو يستدير مبتعداً عن إيليدي: «أبعداه من هنا».
كان الحارسان على وشك أن يصطحباه بعيداً لكنه تسمّر في مكانه ولم يتزحزح عندما حاولا تحريكه. ألقى نظرة متفحّصة طويلة على إرلندور كأنه يمعن التفكير في شيء آخر، لكنه استسلم أخيراً وسمح للحارسين باقتياده من الغرفة. كان سيغوردور أولي لا يزال يحاول إيقاف النزيف، كان أنفه متورماً ومنديله تخضّب دماً.

قال إرلندور وهو يتفحّص أنف سيغوردور أولي: «ذلك نزيف أنف بشع، لا شيء غير ذلك، ولا شيء خطيراً. ليست هناك جروح وأنفك ليس مكسوراً». قرصه بقوة فأفلتت من سيغوردور أولي صرخة ألم.

قال إرلندور: «آه، ربما كان مكسوراً، أنا لست طبيباً».

قال سيغوردور أولي: «ذلك الوغد اللعين، ذلك الوغد اللعين».

سأل إرلندور بينما كانا يغادران القاعة: «هل يتلاعب بنا؟ أم أنه يعرف حقاً بشأن امرأة أخرى؟ إذا كانت هناك امرأة أخرى، ربما تكون هناك نساء أُخريات اغتصبهن هولبرغ ولم يتقدمن بشكاوى».

قـال سـيغوردور أولـي: «لا توجـد طريقـة للتكلم بشـكل منطقي مـع ذلـك الرجـل، كان يحادثنـا للتسـلية، وليتلاعـب بنا، كان يتلاعب بنـا. لا يمكنـك الوثـوق بكلمـة مما قاله. ذلك الأحمق، ذلك الأحمق اللعين».

ذهبا إلى مكتب المدير وقدّما إليه تقريراً موجزاً بما حدث. قالا إنّ المكان الوحيد الذي يليق بإيليدي هو زنزانة محصّنة في مستشفى للأمراض النفسية. وافق المدير متململاً، لكنه قال إن الإجراء الوحيد المتاح للسلطات هو وضعه في ليتلا - هرون. لم تكن تلك أول مرة يخضع فيها إيليدي للحبس الانفرادي في السجن ولن تكون الأخيرة بالتأكيد.

خرجا إلى الهواء الطلق. بينما كانا يبتعدان عن السجن وينتظران أن تُفتح البوابة الزرقاء الكبيرة لمرأب السـيارات، لاحظ سـيغوردور أولي حارسـاً يجري مسـرعاً خلفهما، ملوّحاً بيديه إليهما كي يتوقفا. انتظرا حتى أدرك السـيارة، أنزل إرلندور زجاج النافذة. قال الحارس وهو يلهث من الجري: «يريد أن يتحدث إليك».

سأل إرلندور: «من؟».

«إيليدي. يريد إيليدي أن يتحدث إليك».

قال إرلندور: «لقد تحدثنا إلى إيليدي. قل له انسَ الأمر».

«يقول إنه سيزوّدك بالمعلومات التي تريدها».

«إنه يكذب».

«ذلك ما قاله».

نظر إرلندور إلى سيغوردور أولي، الذي هزّ كتفيه لا مبالياً. فكّر في الأمر للحظة.

قال أخيراً: «لا بأس، سنعود إذاً».

قال الحارس لإرلندور فيما ينظر إلى سيغوردور أولي: «يريدك أنت فقط، وليس هو».

لم يكن ممكناً إخراج إيليدي من زنزانته الانفرادية مجدداً، لهذا كان على إرلندور أن يتحدث إليه عبر فتحة صغيرة في الباب. كانت الزنزانة مظلمة، لهذا لم يتمكّن إرلندور من رؤية ما بداخلها. لم يسمع صوتاً سوى صوت إيليدي، الأجش الذي يقرقر. كان الحارس قد اصطحب إرلندور حتى الباب ثم تركه وحيداً.

كان أول شيء سأل عنه إيليدي: «كيف حال الجبان؟». وبدلاً من وقوفه إلى جانب الفتحة في الباب، تراجع إلى الخلف داخل زنزانته. ربما كان مستلقياً على السرير. ربما كان يجلس مستنداً إلى جدار. شعر إرلندور بأن الصوت قادم من مكان بعيد داخل المكان المظلم. لكن كان واضحاً أن إيليدي قد هدأ.

رد إرلندور: «هذه ليست حفلة شاي. أردت أن تتكلم معي».

«من تظن قتل هولبرغ؟».

«لا ندري. ماذا بشأن هولبرغ؟».

«كان اسم الفتاة التي اغتصبها في كيفلافيك هو كولبرون، كان يتحدث عنها كثيراً، ويقول إنهم كادوا يمسكون به عندما تقدمت تلك الفتاة الغبية بشكوى ضده، وصف كل التفاصيل، هل تريد أن تسمع ما قاله؟».

قال إرلندور: «لا. ما علاقتك به؟».

«كنا نلتقي بين الفينة والأخرى، كنت أبيعه شراباً، وأشتري أفلاماً خلاعية له، عندما كنت على متن السفن التقينا عندما كنا نعمل معاً لصالح هيئة الموانئ والمنارات، قبل أن يبدأ قيادة الشاحنات، كنا

نذهب إلى المدن معاً. لا يمكن تعويض ما تخسره أبداً، كان ذلك أول شيء علّمني إياه، كان يعرف كيف يتحدث، بكلام معسول. كان رجلاً مسلياً وبارعاً في التحدث إلى النساء».

«كنتما تذهبان إلى المدن معاً؟».

«لهذا كنا في كيفلافيك.كنا نطلي منارة ريكجينز، توجد أشباح مخيفة جداً هناك. هل ذهبت إلى هناك يوماً؟ إنها تصرخ وتزعق طوال الليل، إنها أسوأ من هذه الزنزانة الوضيعة، لم يكن هولبرغ يخاف الأشباح أو أي شيء آخر».

«وأخبرك بالتفصيل كيف اعتدى على كولبرون، عندما التقى بك؟».

«غمزني عندما تبعها خارج قاعة الاحتفال، كنت أعرف ما يعنيه ذلك. كان باستطاعته أن يكون فاتناً. كان يظن أن الظفر بها أمر رائع. ضحك كثيراً من شرطي ذهبت كولبرون إليه ولم يُلقِ إليها بالاً».

«هل كانا يعرفان بعضهما، هولبرغ والشرطي؟».

«لا أعرف».

«هل تكلم مرة عن الابنة التي أنجبتها كولبرون بعد الاغتصاب؟».

«ابنة؟ لا. هل جعلها حامل؟».

قال إرلندور من دون أن يجيبه: «تعرف شيئاً عن اغتصاب آخر، امرأة أخرى تعرضت للاغتصاب، من كانت؟ ما اسمها؟».

«لا أعرف».

«إذاً لماذا طلبت عودتي؟».

«لا أعرف من كانت، لكنني أعرف متى وقع ذلك، وأين كانت تعيش، تقريباً ذلك كافٍ كي تجدها».

«متى؟ وأين؟».

«نعم، صحيح، ما الذي سأحصل عليه بالمقابل؟».

«أنت؟».

«ماذا ستفعل من أجلي؟».

«لا يمكنني فعل أي شيء من أجلك، ولن أفعل شيئاً من أجلك».

«بالتأكيد ستفعل، لهذا سأخبرك ما أعرفه».

أمعن إرلندور التفكير ثم قال: «لا يمكنني أن أعدك بشيء».

«لا أتحمل البقاء في الانفرادي».

«ألهذا السبب طلبت عودتي؟».

«لا تعرف ما يفعله الحبس الانفرادي بي، أُصاب بالجنون في هذه الزنزانة، إنهم لا يضيئون المكان أبداً، لا أعرف تاريخ اليوم، يبقى المرء هنا مثل حيوان في قفص، إنهم يعاملونك كوحش».

قال إرلندور ساخراً: «ومن أنت؟ كونت مونتي كريستو! أنت سادي يا إيليدي، أسوأ المضطربين نفسياً والساديين على الإطلاق، معتوه، غبي يحب العنف، شخص مِثْلِي وعنصري، أنت أسوأ أنواع الأشرار الذين أعرفهم. لا أهتم إن سجنوك هنا خلف أبواب موصدة باقي حياتك. سأصعد إلى الأعلى لأوصيهم بذلك».

«سأخبرك أين تعيش إذا أخرجتني من هنا».

«لا يمكنني إخراجك من هنا أيها المعتوه، ليست لدي السلطة لفعل ذلك، وحتى إذا امتلكتها، لن أفعل. إذا كنت تريد تخفيف مدة حبسك الانفرادي ربما عليك أن تتوقف عن مهاجمة الناس».

«يمكنك عقد صفقة من أجلي، قل إنك استفززتني، قل إن ذلك الجبان بدأ الشجار، وإنني كنت متعاوناً، قل إنني ساعدتك على الإجابة

عن أسئلتك، سيصغون إليك، أعرف من أنت، سيصغون إليك».

«هل تكلم هولبرغ عن نساء أخريات غير هاتين المرأتين؟».

«هل ستفعل ذلك من أجلي؟».

فكّر إرلندور في ذلك. «سأرى ما يمكنني فعله، هل تكلم عن نساءٍ أُخريات؟».

«لا. أبداً. أعرف فقط بشأن هاتين المرأتين».

«هل تكذب؟».

«لا أكذب، المرأة الأخرى لم تتقدم بشكوى أبداً، حدث ذلك في بداية الستينيات، لم يعد أبداً إلى ذلك المكان».

«أي مكان؟».

«هل ستخرجني من هنا؟».

«أي مكان؟».

«عدني!».

قال إرلندور: «لا يمكنني أن أعدك بشيء، سأتحدث إليهم، أي مكان ذاك؟».

«هوسافيك [بلدة شمالي أيسلندا]».

«كم كان عمرها؟».

قال إيليدي: «كانت من عمر المرأة في كيفلافيك تقريباً، لكنها أكثر شراسة».

«أكثر شراسة».

قال إيليدي من دون أن يتمكّن من إخفاء حماسه: «ألا تريد أن تسمع ذلك؟ هل تريد أن تسمع ما فعله؟».

لم ينتظر إيليدي جواباً، تدفق صوته عبر الثقب في الباب ووقف

إرلندور هناك يصغي إلى الصوت الأجش القادم من الظلام.

كان سيغوردور أولي ينتظره في السيارة. وفي أثناء انطلاقهما بعيداً عن السجن زوّده إرلندور بتقرير موجز عن المحادثة مع إيليدي، لكنه آثر الصمت بشأن المونولوج في النهاية. قرر أن ينظرا في سجل الأشخاص الذين عاشوا في هوسافيك في السنوات التي سبقت وتلت العام 1960. إذا كانت هناك امرأة بمثل عمر كولبرون، كما أفاد إيليدي، ربما يتمكنون من العثور عليها.

سأل سيغوردور أولي عندما وصلا إلى ممر ثرنغسلين في طريق عودتهما إلى ريكيافيك: «وماذا بشأن إيليدي؟».

«طلبت منهم تخفيض مدة حبسه الانفرادي ولكنهم رفضوا. لم يكن في وسعي فعل شيء».

ابتسم سيغوردور أولي وقال: «وفيت بوعدك على الأقل. إذا اغتصب هولبرغ تلك المرأتين، ألا يمكن أن يكون هناك المزيد منهن؟».

قال إرلندور وهو شارد الذهن: «قد يكون هناك المزيد».

«ما الذي تفكر فيه الآن؟».

قال إرلندور: «هناك شيئان يزعجانني، أودّ أن أعرف بالضبط سبب موت تلك الفتاة الصغيرة». كاد أن يسمع سيغوردور أولي إلى جانبه يطلق تنهيدة. «وأودّ أن أعرف أيضاً إن كانت بالتأكيد ابنة هولبرغ».

«ما الذي يزعجك بذلك الشأن؟».

«أخبرني إيليدي أن هولبرغ لديه شقيقة».

«شقيقة؟».

«ماتت يافعة. يجب أن نعثر على سـجلاتها الطبية، ابحث عنها في المستشفيات، وانظر ما يمكنك أن تجده فيها».

«ما سبب موت شقيقة هولبرغ؟».

«ربمـا شـيء مشـابه لمـا حـدث لأودور، ذكـر هولبرغ شـيئاً عن رأسها، أو هكذا وصف إيليدي الأمر. سألتُ إن كان ورماً في الدماغ، لكن إيليدي لم يكن يعرف».

سأل سيغوردور أولي: «وكيف يساعد ذلك قضيتنا؟».

قال إرلندور: «أظن بوجود صلة قرابة».

«قرابة؟ ماذا، بسبب الرسالة التي عثرنا عليها؟».

قـال إرلنـدور: «نعـم، بسـبب الرسـالة. ربمـا هنـاك صلـة قرابـة ووراثة».

15

كان الطبيب فرانك يعيش في منزل ريفي على الطرف الغربي من ضاحية غرافارفوغر، لم يكن يمارس الطب بانتظام آنذاك، رحّب بإرلندور عند الباب واصطحبه إلى الردهة الواسعة التي كان يستخدمها كمكتب. شرح لإرلندور أنه يعمل أحياناً لصالح محامين في قضايا تقييم إعاقات. كان المكتب مزوّداً بأثاث بسيط ومرتب، يوجد فيه طاولة صغيرة وآلة كاتبة. كان الطبيب رجلاً قصيراً ونحيلاً، قسمات وجهه حادة، ويتمتع بحيوية ونشاط كبيرين. كان يحمل قلمين في جيب القميص الذي كان يرتديه.

سبق لإرلندور أن اتصل هاتفياً به وذلك لتحديد موعد معه. كان عصرُ ذلك اليوم قد شارف على الانتهاء وبدأ الظلام يخيم. في المخفر، كان سيغوردور أولي وإيلينبورغ ينكبّان على دراسة نسخة من سجل عمره أربعون سنة لسكان هوسافيك والذي أرسله إليهما عبر الفاكس المكتب الحكومي المحلي في الشمال. طلب الطبيب من إرلندور الجلوس.

سأل إرلندور وهو ينظر في أرجاء المكتب: «أليسوا مجرد مجموعة من الكاذبين الذين يأتون لرؤيتك؟».

قال الطبيب: «كاذبون؟ لا أقول ذلك، بعضهم يكذب من دون أدنى شك. إصابات العنق هي الأكثر خطورة، لا يمكنك حقاً فعل أي شيء سوى تصديق المرضى الذي يشتكون من إصابات في العنق بعد حادث سيارة. التعامل معهم هو الأصعب على الإطلاق. يشعر

بعضهم بألم أكثر من الآخرين لكنني لا أظن أن هناك كثيرين لا يعانون شيئاً».

«عندما اتصلتُ بك تذّكرت الفتاة في كيفلافيك مباشرة».

«مـن الصعـب نسـيان تلـك الحـالات، من الصعب نسـيان الأم. كولبرون، ألم يكن ذلك اسمها؟ سمعت أنها انتحرت».

قال إرلندور: «إنها مأساة فظيعة من البداية إلى النهاية». تساءل إن كان يجب أن يسـأل الطبيب عن الألم الذي يشـعر به في صدره عندما يستيقظ صباحاً، لكنه قرّر أن الوقت ليس مناسباً. ربما اكتشف الطبيب أنه مريض جداً، وأرسـله إلى مستشـفى ليعزف على القيثارة مع الملائكة بحلول نهاية الأسبوع. كان إرلندور يحاول تفادي الأنباء السيئة ما دام ذلك ممكناً، ولأنه لم يكن يتوقع سماع أي أخبار طيبة عن نفسه، لذا التزم الصمت.

قـال الطبيـب معيـداً إرلنـدور إلـى الواقع: «قلـت إن الأمر يتعلق بجريمة في نوردورمايري».

قـال إرلنـدور: «نعـم، هولبـرغ، الضحيـة المقتـول، قد يكون أب الفتاة في كيفلافيك، ادّعت الأم ذلك آنذاك، لم يؤكد هولبرغ أو ينفي الأمـر. أقـرّ بأنـه أقـام علاقـة مـع كولبرون، لهذا لـم يكن ممكناً إثبات تهمـة الاغتصـاب ضـده. أحيانـاً لا تتوفّر أدلّة كافية للاتهام فنحقق في ماضي الرجل. مرضت الفتاة وتوفيت عندما كان عمرها أربع سنوات. هل يمكنك إخباري ما حدث؟».

«لا أفهم كيف يكون لذلك أي علاقة بقضية القتل».

«حسـنٌ، سـنرى ذلـك. هـل يمكنـك الإجابـة عـن سـؤالي مـن فضلك؟».

ألقى الطبيب نظرة متفحّصة على إرلندور. قال كأنه يشدّ من أزر

نفسه: «ربما الأفضل أن أخبرك بصراحة أيها المفتش. كنت رجلاً مختلفاً في ذلك الوقت».

«رجلاً مختلفاً؟».

«وأسوأ. لم أتناول الكحول منذ نحو ثلاثين سنة. سأكون صادقاً بشأن ذلك تماماً، لهذا لا داعٍ لإزعاج نفسك بعد الآن، لقد تم إيقافي عن ممارسة الطب منذ العام 1969 حتى العام 1972».

«بسبب تلك الفتاة الصغيرة؟».

«لا، لا، ليس بسببها، رغم أن ذلك كان سبباً كافياً بحدّ ذاته. كان ذلك بسبب الشرب والإهمال. لن أخوض في الأمر ما لم يكن ذلك ضرورياً للغاية».

كان إرلندور يرغب في إنهاء المسألة عند ذلك الحد، لكنه لم يتمكّن من كبح جماح نفسه.

«إذاً كنت ثملاً تقريباً كل تلك السنوات، هل هذا ما تعنيه؟».

«تقريباً».

«هل استعدت رخصتك لممارسة الطب العام؟».

«نعم».

«ولم تواجه أي مشكلة أخرى منذ ذلك الوقت؟».

قال الطبيب وهو يهز رأسه: «لا، لم أواجه أي مشكلة أخرى منذ ذلك الوقت. لكن، كما أقول، لم أكن بحال جيدة عندما توليت العناية بابنة كولبرون أودور. كانت تعاني من آلام في الرأس، وظننت أنها شقيقة أطفال، كانت تتقيأ في الصباح، عندما اشتد ألمها أعطيتها دواءً أقوى. لم يكن الأمر واضحاً بالنسبة إليّ، كنت قد قرّرت أن أنسى كل شيء منذ ذلك الوقت، يقترف الجميع أخطاء، بمن فيهم الأطباء».

«ما سبب الوفاة؟».

قال الطبيب مستغرقاً في التفكير: «أظن أن إرسالها إلى المستشفى حينئذٍ لم يكن ليغير حالها الصحية، على الأقل هذا ما برّرته لنفسي. لم يكن هناك الكثير من أطباء الأطفال في ذلك الوقت ولم تكن لدينا أجهزة لتصوير الدماغ، كان علينا أن نتصرف وفقاً لما نشعر به ونعرفه، وكما قلت، لم أكن أشعر بأي شيء عدا الحاجة إلى تناول الشراب في تلك الأيام. لم يكن طلاقي الذي اتّسَمَ بالفوضى ذا فائدة ترجى، أنا لا أبرّر لنفسي»، قال ذلك وهو ينظر إلى إرلندور.

أومأ إرلندور.

«بعد نحو شهرين، على ما أظن، بدأت أشك في أنه ربما يكون شيئاً أكثر خطورة من شقيقة الأطفال. لم تتحسن الطفلة على الإطلاق، لم تستعد عافيتها، كانت حالها تسوء أكثر فأكثر، ذبلت وأصبحت شديدة النحول. وضعت عدداً من الاحتمالات، كالتهاب درني في الدماغ مثلاً، في ذلك الوقت كان التشخيص العام يشير إلى زكام مزمن، لأنه في الواقع لم تكن لدى أحد فكرة عن المرض، أو احتمال التهاب السحايا، لكن أعراضاً مختلفة لم تكن ظاهرة، وهي تؤثر بشكل أسرع أيضاً. أُصيبت الفتاة بما يدعونه طفحاً ظاهراً على جلدها. وبدأت أخيراً أفكّر بورم خبيث».

قال إرلندور متذكراً أنه كان قد سمع ذلك من قبل: «طفح على الجلد؟».

«يمكن أن يترافق مع الأورام الخبيثة».

«إذاً أرسلتها إلى مستشفى كيفلافيك؟».

قال الطبيب: «توفيت هناك. أتذكّر أنها كانت خسارة مأساوية لأمها التي جُنّ جنونها. كان علينا أن نحقنها بمهدّئ للأعصاب،

رفضت رفضاً قاطعاً السماح بتشريح جثة الفتاة، صرخت بوجه الجميع رافضةً ذلك».

«لكنهم أجروا التشريح رغم ذلك».

تـردّد الطبيـب. «لـم يكـن ممكنـاً تفـادي ذلـك، لا توجد طريقة أخرى».

«وماذا تبين؟».

«مرض خبيث، كما قلت».

«ماذا تعني بمرض خبيث؟».

قـال الطبيـب: «ورم دماغـي، ماتـت جـراء ورم خبيـث فـي الدماغ».

«أي نوع من أورام الدماغ؟».

قال الطبيب: «لست واثقاً، لا أدري إذا تمّ تحليله بدقة رغم أنني أتوقع أنهم على الأرجح فعلوا ذلك. يبدو أنهم جاءوا على ذكر نوع من الأمراض الوراثية».

قال إرلندور بصوتٍ مرتفع: «مرض وراثي!».

سأل الطبيب: «ألم يكن ذلك سائداً تلك الأيام؟ ما علاقة ذلك بمقتل هولبرغ؟».

حينئذٍ جلس إرلندور غارقاً في أفكاره.

«لماذا تسأل عن هذه الفتاة؟».

قال إرلندور: «تراودني أحلام بشأنها».

16

لم تكن إيفا ليند في الشقة عندما عاد إرلندور إليها ذلك المساء. حاول التقيد بنصيحتها لجهة عدم التفكير كثيراً في مكانها، وما إذا كانت ستعود، وما هي الحال التي ستكون عليها إذا عادت. ذهب إلى مطعم للوجبات السريعة وعاد بكيس فيه دجاج مقلي للعشاء. رماه على كرسي، وبينما كان يخلع معطفه شمّ رائحة طهي قديمة مألوفة، لم يكن قد شمّ رائحة طهي في مطبخه منذ وقت طويل، طعامه كان دجاجاً مثل ذلك الملقى على الكرسي، إضافة إلى شطائر لحم البقر، ووجبات سريعة مشبعة بالدهون، طعام جاهز من السوق، رأس خروف مسلوق وبارد، علب لبن رائب، أغذية لا طعم لها يتم تسخينها بالمايكروويف، لا يتذكر آخر مرة طهى فيها لنفسه وجبة شهية في المطبخ، حتى إنه لم يتذكر متى أراد فعل ذلك آخر مرة.

مشى إرلندور بهدوء نحو المطبخ، كأنه يتوقع العثور على متطفل هناك، فوجئ بطاولة المطبخ جاهزة لشخصين مع طبقين جميلين، تذكّر بالكاد أنه يمتلكهما. كانت كأس شراب فرنسي طويلة تقف إلى جانب كل طبق، وهناك مناديل وشموع حمراء تشتعل في شمعدانين غير متماثلين لم يكن إرلندور قد رآهما من قبل.

ببطء اقترب إرلندور أكثر من المطبخ ورأى شيئاً يغلي في قدر كبيرة. رفع الغطاء ونظر إلى القِدر على ما يبدو أنها يخنة لحم لذيذة جداً. كانت طبقة من زيت الطهو تطفو فوق لفت، بطاطا، قطع لحم وتوابل، والتي تفوح منها رائحة طهو حقيقي في منزله. وقف إلى

جانب القدر واستنشق رائحة اللحم والخضار المسلوقة.

قالـت إيفـا لينـد عنـد باب المطبخ: «كنت بحاجة إلى المزيد من الخضار». لم يكن إرلندور قد شـعر بها عندما دخلت الشـقة، كانت ترتدي سترته المبطّنة بالفرو ذات القلنسوة وتحمل كيساً من الجزر.

سأل إرلندور: «أين تعلمت طهو يخنة لحم؟».

قالـت إيفـا لينـد: «كانـت أمـي تعـد دائماً يخنـة لحم، في إحدى المناسـبات التي لم تكن في أثنائها تطلق سـهام انتقاداتها إليك قالت إن يخنـة اللحـم التـي تطهوهـا هـي وجبتـك المفضّلة. ثـم قالت إنك وغد».

قـال إرلنـدور: «كانـت محقـة فـي كلا الأمرين». شـاهد إيفا ليند تقطّع الجزر وتضيفه إلى القدر مع الخضار الأخرى. جالت في خاطره أمنية جعلته حزيناً وسـعيداً في آن معاً. تمنى حياةً عائليةً هانئة. لكن سـرعان مـا أدرك أن سـروره الآنـي هـذا لـن يحقّـق لـه أي أمنية، ولن يستمر إلى الأبد.

سألت إيفا ليند: «هل وجدت القاتل؟».

قال إرلندور: «إيليدي يرسـل إليك تحياته». كانت الكلمات قد تسللت من فمه قبل أن يفكّر في أن وحشاً مثل إيليدي لا ينتمي إلى البيئة التي يعيش فيها.

«إيليدي. إنه في ليتلا - هرون. هل يعرف من أكون؟».

قال إرلندور: «الأشـرار الذين تكلمت إليهم يذكرونك بالاسـم أحياناً، يظنون أنهم يسجلون نقاطاً ضدي».

«وهل يفعلون ذلك؟».

سأل إرلندور بحرص: «شخصٌ مثل إيليدي، كيف تعرفينه؟».

«كنت قد سـمعت قصصاً عنه، التقيت به مرة قبل سـنوات، إنه

يُلصق أسنانه الاصطناعية بغراء من اللدائن. لكنني لا أعرفه حق المعرفة».

«إنه معتوه بشكل لا يُصدّق».

لم يتكلما عن إيليدي بعد ذلك في تلك الأمسية. عندما جلسا لتناول الطعام، سكبت إيفا ليند الماء في كأسي شراب فرنسي، وأكل إرلندور كثيراً لدرجة أنه مشى متثاقلاً إلى غرفة الجلوس بعد ذلك. نام هناك بملابسه ولم ينعم بنوم هانئ حتى الصباح.

تلك الليلة تذكر معظم الحلم، كان يعرف أنه الحلم نفسه الذي راوده في ليالٍ سابقة والذي فشل في تذكره قبل أن يحوّله الاستيقاظ هباء منثوراً.

ظهرت إيفا ليند عليه بشكل لم يره أبداً قبل أن يغمرها ضوء سطع من مكان ما لم يستطع تحديده. ترتدي فستاناً صيفياً جميلاً يصل إلى كاحليها، وشعرها الداكن الطويل ينسدل على ظهرها، كانت الرؤية ممتازة، ورائحة جميلة تعبق مع نسيم الصيف، مشت نحوه أو ربما طافت حوله. فكّر في قرارة نفسه أنها لا تمسّ الأرض خلال طوافها، لم يتمكن من تحديد ما يحيط به، وكل ما استطاع رؤيته؛ هو ذلك النور الساطع وإيفا ليند عند منتصف الضوء تقترب منه مع ابتسامة عريضة تغطّي وجهها ورأى نفسه يفتح ذراعيه ليرحب بها، وانتظر حتى يتمكّن من احتضانها، وشعر بصبره ينفد لكنها لم تلقِ بنفسها بين ذراعيه، وإنما سلّمته صورة، اختفى الضوء، واختفت إيفا ليند. كان يمسك الصورة التي يعرف جيداً أنها التُقطت في المقبرة، ونبضت الصورة بالحياة وأصبح داخلها ونظر إلى السماء المكفهرة، وشعر بالمطر ينهمر غزيراً على وجهه، وعندما نظر إلى الأسفل رأى

شاهدة القبر تتحرك إلى الخلف، والقبر يُفتح على ظلام، حتى ظهر التابوت الذي انفتح ورأى الفتاة في النعش تُشقّ على طول جذعها وصولاً إلى كتفيها. وفجأة فتحت الفتاة عينيها وحدّقت إليه وفتحت فمها، وسمع صرخة ألمها الخافتة من القبر.

استيقظ يلهث هلعاً وحدّق إلى الفراغ بينما كان يتمالك نفسه. نادى على إيفا ليند لكنه لم يتلقَ جواباً. مشى إلى غرفتها لكنه شعر بأنها خاوية قبل أن يفتح الباب. كان يعرف أنها خرجت.

بعد تفحّص سجل سكان هوسافيك؛ كانت إيلينبورغ مع سيغوردور أولي قد أعدّا لائحة تشمل 176 امرأة، كن ضحايا محتملة للاغتصاب من قبل هولبرغ. كل ما كان لديهما هو كلام إيليدي أنها كانت «في العمر نفسه تقريباً»، لهذا اتخذا عمر كولبرون كنموذج مع توسيع النطاق عشر سنوات بكلا الاتجاهين. لدى الفحص الأولي تبين أنه يمكن تقسيم النساء إلى ثلاث مجموعات: كان ربعهن يقمن في هوسافيك، نصفهن قد انتقلن إلى ريكيافيك، وربعهن الباقي انتشرن في كل أنحاء أيسلندا.

تنهدت إيلينبورغ، نظرت إلى اللائحة قبل أن تسلّمها إلى إرلندور وقالت: «تكفي لدفعك إلى الجنون». لاحظت أن حاله أسوأ من المعتاد. لم يكن قد حلق ذقنه منذ عدّة أيام، شعره البني الكثيف منفوش في كل الاتجاهات، وبذلته الرثّة والمتجعدة بحاجة إلى تنظيف: تساءلت إيلينبورغ إن كان يجب أن تنبّهه إلى ذلك، لكن تعبير وجه إرلندور لم يكن يسمح بأي مزاح.

سألت بحذر: «كيف تنام هذه الأيام يا إرلندور؟».

قال إرلندور: «على مؤخرتي».

قـال سـيغوردور أولـي: «ثـم ماذا؟ هـل يجب أن نذهب إلى كل واحدة من تلك النسوة ونسألها إن كانت قد تعرضت للاغتصاب قبل أربعين سنة؟ أليس في ذلك وقاحة... بعض الشي؟».

قـال إرلنـدور: «لا أرى أي طريقـة أخـرى للقيام بذلك. لنبدأ مع اللواتي انتقلن بعيداً عن هوسافيك. سنبدأ البحث في ريكيافيك ونرى إذا كان باستطاعتنا الحصول على أي معلومات أخرى عن المرأة التي نبحـث عنهـا. إذا لـم يكـن ذلـك الوغد إيليدي كاذباً، فقد ذكر هولبرغ اسـمها أمام كولبرون. ربما تكون قد ذكرته لشـقيقتها، وربما لرونار. يجب أن أعود إلى كيفلافيك».

قـال بعـد أن فكّـر للحظـة: «ربمـا يمكننـا تقليـص المجموعـة قليلاً».

قالت إيلينبورغ: «تقليصها قليلاً؟ ما الذي تفكّر فيه؟».

«لدي فكرة».

«ماذا؟»، أوشك صبر إيلينبورغ على النفاد آنذاك. كانت قد جاءت إلى العمل ترتدي بذلة خضراء فاتحة جديدة ولم ينتبه أحدٌ إليها.

قال إرلندور: «قرابة، وراثة وأمراض».

قال سيغوردور أولي: «صحيح».

«لنفترض أن هولبرغ كان مغتصباً، ليست لدينا أي فكرة عن عدد النسـاء اللواتـي اغتصبهـن. نعرف اثنتيـن، وفي الواقع واحدةً بالتأكيد. رغـم أنـه أنكـر ذلـك، إلا أن كل شـيء يشـير إلـى حقيقـة أنه اغتصب كولبـرون فعـلاً. هـو والـد أودور، أو علـى الأقل يجب أن نعمل على ذلـك الافتـراض، لكـن قـد يكـون أنجـب طفـلاً آخـر مـن المـرأة في هوسافيك».

قالت إيلينبورغ: «طفل آخر؟».

قال إرلندور: «قبل أودور».

قال سيغوردور أولي: «أليس ذلك مستبعداً؟».

هزّ إرلندور كتفيه لا مبالياً.

«هل تريد منا تقليص المجموعة إلى النساء اللواتي أنجبن أطفالاً قبل، متى كان التاريخ، 1964؟».

«لا أظن أن تلك ستكون فكرة سيئة».

قالت إيلينبورغ: «قد يكون لديه أطفال في كل مكان».

قال إرلندور: «صحيح. قد لا يكون ارتكب أكثر من اغتصاب واحد لهذا سيكون عملنا شاقاً. هل عرف سبب وفاة شقيقته؟».

قال سيغوردور أولي: «لا، أنا أعمل على الأمر، حاولت إيجاد معلومات عن عائلتهما، لكن ذلك لم يسفر عن شيء».

قالت إيلينبورغ: «تابعت موضوع غريتار، اختفى فجأة، كأن الأرض انشقت وابتلعته. لم يفتقده أحد على الإطلاق، لم تسمع والدته عنه خبراً طيلة شهرين كاملين، اتصلت أخيراً بالشرطة، فنشروا صورته عبر الصحف وعبر التلفاز، لكن ذلك لم يسفر شيئاً، كان ذلك في صيف العام 1974، السنة التي شهدت الاحتفال الكبير إحياءً لذكرى استيطان أيسلندا. هل ذهبتما إلى الاحتفال في ثينغفلير [بلدة يوجد فيها متنزه وطني] آنذاك؟».

قال إرلندور: «كنت هناك. هل تظنين أنه فُقد في ثينغفلير؟».

قالت إيلينبورغ: «ربما، لكن ذلك كل ما أعرفه. قاموا بإجراء تحقيق روتيني عن شخص مفقود وتكلموا إلى أشخاص كانت والدته تعرف أنه على علاقةٍ بهم، بمن فيهم هولبرغ وإيليدي، استجوبوا ثلاثة أشخاص آخرين أيضاً لكن لم يكن أحد يعرف شيئاً، لم يفتقد أحد

غريتار عدا والدته وشقيقته. ولد في ريكيافيك، ولم يكن له زوجة، أو أطفال، أو صديقة، أو عائلة كبيرة. بقيت القضية مفتوحة لبضعة شهور ومن ثمّ طواها النسيان. كان عمره أربعاً وثلاثين سنة».

قال سيغوردور أولي: «إذا كان لطيفاً مثل زميليه إيليدي وهولبرغ، لن أتفاجأ إذا لم يفتقده أحد».

قالت إيلينبورغ: «فُقد ثلاثة عشر شخصاً في أيسلندا في السبعينيات عندما فُقد غريتار. وفُقِدَ اثنا عشر في الثمانينيات، عدا الصيادين الذين فُقدوا في البحر».

قال سيغوردور أولي: «ثلاث عشرة حالة اختفاء، أليس ذلك كثيراً؟ لم تُعرف أيٌّ منها؟»».

قالت إيلينبورغ: «ربما لم يكن هناك دافع إجرامي خلفها. يختفي الناس، يرغبون في أن يختفوا، وهذا ما يفعلونه».

قال إرلندور: «إذا فهمت بشكل صحيح، فإن السيناريو على الشكل الآتي: خرج إيليدي، هولبرغ وغريتار ذات ليلة إلى قاعة رقص في كروس خلال عطلة نهاية أسبوع من خريف العام 1963».

لاحظ أن وجه سيغوردور أولي تحول إلى علامة استفهام كبيرة.

«كانت كروس موقعاً لمستشفى عسكري قديمة تم تحويله إلى قاعة رقص. كانوا يقيمون حفلات صاخبة جداً هناك».

تدخّلت إيلينبورغ: «أظن أنه المكان الذي بدأت الخنافس الأيسلندية العزف فيه».

تابع إرلندور قائلاً: «التقوا بعض النساء خلال الحفل الراقص، أقامت إحداهن حفلة في منزلها بعد ذلك. يجب أن نحاول العثور على تلك النسوة. مشى هولبرغ مع إحداهنَّ إلى منزلها واغتصبها،

واضح أنه كان قد لجأ إلى الحيلة نفسها من قبل، همس لها بما كان قد فعله لامرأة أخرى. ربما كانت تعيش في هوسافيك، وعلى الأرجح لم تتقدم بشكوى ضده. بعد ثلاثة أيام كانت كولبرون قد استجمعت أخيراً شجاعتها لتتقدم بشكوى تعرض فيها الجريمة التي تعرضت لها، لكنهـا ذهبـت إلـى شـرطي لا يتعاطـف أبداً مع النسـاء اللواتي يدعين الرجـال إلـى منازلهـن بعـد حفل راقص، ثم يزعمن بأنهم اغتصبوهن. أنجبت كولبرون طفلة، عرف هولبرغ بشـأنها، فقد عثرنا على صورة لشاهدة قبرها في دُرج مكتبه. من التقطها؟ لماذا؟ توفيت الطفلة نتيجة إصابتها بمرض قاتل؛ انتحرت والدتها بعد ثلاث سـنوات. بعد ذلك بثلاث سنوات، اختفى أحد زميلي هولبرغ. قُتل هولبرغ قبل عدّة أيام، وترك القاتل رسالة غير مفهومة خلفه.

«لمـاذا قُتـل هولبـرغ الآن، فـي هـذا العمـر المتقـدم؟ هـل كان لمهاجمه أي علاقة بهذا الماضي؟ وإذا كان كذلك، لماذا لم يهاجم هولبرغ من قبل؟ لماذا انتظر كل تلك المدة؟ أم أن هذه الجريمة لا علاقة لها إطلاقاً بكون هولبرغ مغتصباً؟».

اعترض سيغوردور أولي: «لا يبدو أنها جريمة مع سبق الإصرار والترصد، لا أظن أن بإمكاننا تجاهل ذلك. كما قال إيليدي، أي نوع من الأشـرار يسـتخدم منفضة؟ يبدو أن الأمر لم يتم التخطيط له منذ وقت طويل. الرسالة مجرد دعابة، لا يمكن تفسيرها، لا علاقة لمقتل هولبرغ على الإطلاق بأي اغتصاب. ربما يجب أن نبحث عن الشاب ذي السترة العسكرية الخضراء».

قالت إيلينبورغ: «لم يكن هولبرغ ملاكاً، ربما كانت جريمة ثأر، ربما ظن أحدهم أنه يستحق ذلك».

قـال إرلنـدور: «الشـخص الوحيـد الـذي نعـرف تمامـاً أنه يكره

هولبرغ، هو شـقيقة كولبرون في كيفلافيك. لا أتخيل أنها يمكن أن تقتل شخصاً بمنفضة».

قـال سـيغوردور أولـي: «ألا يمكـن أن تكـون قد دفعت شـخصاً آخر لفعل ذلك؟».

سأل إرلندور: «من؟».

«لا أدري. علـى كل حـال، أنـا أرجـح فكـرة أن شـخصاً كان يتسكع في الحي بعد أن خطط لاقتحام إحدى الشقق، بدافع السرقة أو الاعتداء، وأن هولبرغ أمسك به فضربه على رأسه بالمنفضة. كان مدمنـاً علـى الممنوعـات لا يفـرّق بيـن الألـف والواحـد. لا علاقة له بالماضي، وإنما بالحاضر. إنها الحال في ريكيافيك هذه الأيام».

قالت إيلينبورغ: «على الأقل ظنّ أحدهم أن قتله هو الصواب، يجب أن نأخذ الرسالة على محمل الجد، إنها ليست دعابة».

نظر سيغوردور أولي إلى إرلندور. سأل: «عندما قلت إنك تريد أن تعرف بالضبط سبب وفاة الطفلة، هل كنت تعني ما أظنه؟».

قال إرلندور: «ينتابني شعور أنني قد أكون على حق».

17

فتـح رونـار البـاب بنفسـه وحدّق إلى إرلنـدور بعض الوقت من دون أن يتمكن من تمييز وجهه. كان إرلندور يقف في رواق مشترك، يقطر ماءً بعد أن جرى تحت المطر من السيارة إلى المبنى. إلى يمينه سـلالم تقود إلى الطابق الأعلى، كانت الدرجات مغطاة بسـجاد بالٍ حيث تدوسـه الأقدام، كما أن رائحةً كريهةً تنتشـر في الجو، وتسـاءل إرلندور إن كان عشّاق الخيول يعيشون في البناء. سأل إرلندور رونار إن كان يتذكره، وبدا أنه تذكره بالفعل، لأنه حاول إغلاق الباب مباشرة، لكن إرلندور كان أسرع منه، إذ دخل الشقة قبل أن يتمكّن رونار من فعل أي شيء ليمنعه.

قـال إرلنـدور وهـو ينظـر فـي أرجـاء المـكان المعتـم: «مـكان لطيف».

حـاول رونـار أن يصـرخ علـى إرلنـدور: «ألا تتركني وشـأني!»، لكن صوته كان حاداً ورفيعاً.

«احـذر مـن ارتفـاع ضغـط دمك، سـأكره أن اضطر لتقبيلك قبلة الحياة [تنفس اصطناعي] إذا وقعت ميتاً. يجب أن أحصل على بعض التفاصيل منك ومن ثم سأرحل ويمكنك أن تعود للاحتضار هنا، لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، لا يبدو أنك شخصية العام المميزة».

قـال رونـار، غاضبـاً: «اغـرب عن وجهي!»، اسـتدار على عقبيه، مشى إلى غرفة الجلوس وجلس على الأريكة، تبعه إرلندور وجلس بتثاقل على كرسي قبالته، لم ينظر رونار إليه.

«ألم تتكلم كولبرون عن اغتصاب آخر عندما جاءت إليك لتتقدم بشكوى ضد هولبرغ؟».

لم يرد رونار.

«كلما كانت إجابتك أسرع، تخلّصت مني بسرعة أكبر».

رفع رونار بصره وحدّق إلى إرلندور.

«لم تذكر أبداً أي اغتصاب آخر. هل ستتركني الآن؟».

«لدينا سبب للاعتقاد أن هولبرغ قد اغتصب امرأة قبل أن يلتقي كولبرون، ربما يكون قد لجأ إلى الخدعة نفسها مجدداً بعد اغتصابها، لا ندري. كولبرون هي المرأة الوحيدة التي تقدمت بشكوى ضده رغم أنها لم تتمخّض عن شيء، بفضلك».

«اخرج من هنا!».

«هل أنت واثق أنها لم تذكر أي امرأة أخرى؟ يبدو مرجحاً أن هولبرغ تباهى أمام كولبرون بشأن اغتصاب آخر؟».

قال رونار وهو يخفض بصره وينظر على الطاولة: «لم تقل شيئاً عن ذلك».

«كان هولبرغ مع اثنين من أصدقائه تلك الليلة. كان أحدهما إيليدي، وهو مجرم قديم ربما تعرفه. إنه في السجن، يقاتل الأشباح والوحوش في الحبس الانفرادي، وكان الآخر غريتار الذي اختفى عن وجه الأرض في الصيف الذي أُقيم فيه الاحتفال الوطني. هل تعرف شيئاً عن أصدقاء هولبرغ؟».

«لا. دعني وشأني!».

«ماذا كانوا يفعلون في البلدة ليلة اغتصاب كولبرون؟».

«لا أدري».

«ألم تتكلم معهم أبداً؟».

«لا».

«من تولى التحقيق في ريكيافيك؟».

نظر رونار إلى وجه إرلندور لأول مرة.

«ماريون بريم».

«ماريون بريم!».

«ذلك المعتوه اللعين».

لـم تكـن إيليـن فـي المنـزل عندما طرق إرلنـدور بابها، لهذا عاد إلى سيارته، أشعل لفافة تبغ وأمعن التفكير إذا كان سيتابع رحلته إلى سـاندجردي. كان المطر ينهمر غزيراً على السـيارة وتسـاءل إرلندور، الذي لم يكن يشاهد النشرة الجوية أبداً، إن كان ذلك المطر سيتوقف. ربما كانت تلك نسـخة مصغّرة عن فيضان نوح [عليه السـلام]، كما فكّر في قرارة نفسه وهو ينظر إلى دخان لفافة التبغ الأزرق، ربما كان ضرورياً غسل ذنوب الناس بين الفينة والأخرى.

كان إرلندور قلقاً من لقاء إيلين مجدداً، وقد شعر بارتياح نوعاً ما عندما تبين له أنها ليست في المنزل. كان يعرف أنها ستهاجمه وآخر ما سـيرغب فيه هو اسـتفزازها، كما حدث عندما نادته «أيها الشـرطي اللعين». لكنه لم يستطع تفادي ذلك، سواء آنذاك أو لاحقاً. تنهّد بعمق وأحرق لفافة تبغه حتى شعر بالحرارة في أنامله. احتفظ بالدخان في رئتيه بينما كان يطفئ عقب لفافة التبغ، ثم أطلق زفيراً قوياً. خطرت لـه جملـة مـن إحـدى حمـلات مكافحة التدخيـن في ذهنه: لا يتطلب الأمر سوى خلية واحدة للإصابة بالسرطان.

كان قـد شـعر بالألـم فـي صـدره ذلـك الصبـاح، لكنـه زال بعد حين.

كان إرلنـدور يقـود سـيارته ببـطءٍ مبتعـداً عن المنزل عندما دقّت إيلين على النافذة.

سـألت مـن تحـت مظلتهـا عندما أنـزل زجاج النافذة: «هل أتيت لرؤيتي؟».

رسم إرلندور ابتسامة باهتة على وجهه وأومأ قليلاً. فتحت باب منزلهـا مـن أجلـه وشـعر فجـأة بأنـه مثل خائن بينمـا كان الآخرون قد انطلقوا آنذاك نحو المقبرة.

خلـع قبعتـه وعلّقهـا على مشـجب، خلـع معطفه وحذاءه وذهب إلـى غرفـة الجلـوس ببذلتـه المجعّـدة. كان يرتـدي كنـزة صوفيـة بنية تحـت سـترته مـن دون ردنيـن، لكنـه لـم يكـن قد ارتداهـا كما يجب لهذا لم يترك ثقباً (عروة) للزر السفلي. جلس في الكرسي نفسه كما فعل عندما زار منزلها آخر مرة. ذهبت إيلين إلى المطبخ لتشغيل آلة تحضيـر القهـوة وبـدأت الرائحـة تملأ المنزل، وعندما عادت جلسـت في كرسي قبالته.

تنحنح الخائن. «كان أحد الشـخصين اللذين رافقا هولبرغ إلى البلدة في الليلة التي اغتصب فيها كولبرون يدعى إيليدي، وهو سجين في ليتلا - هرون، لقد مرّ وقت طويل على إدخالنا له دائرة المشتبه بهـم المعتاديـن. كان الرجـل الثالـث يدعـى غريتـار، اختفـى عن وجه الأرض في العام 1974. سنة الاحتفال الوطني».

قالت إيلين: «كنت في ثينغفلير آنذاك. رأيت الشعراء هناك».

تنحنح إرلندور مجدداً.

تابعت إيلين القول: «وهل تكلمت إلى إيليدي هذا؟».

قال إرلندور: «كان ذلك عملاً شائكاً».

اعتذرت إيلين إليه، وقفت واتجهت نحو المطبخ، سمع صوت

فناجيـن تـدق ببعضهـا. رنّ هاتـف إرلنـدور الخلوي في جيب سـترته حبس أنفاسه عندما ردّ عليه، كان المتصل سيغوردور أولي.

قال سـيغوردور أولي: «نحن مسـتعدون». كان بإمكان إرلندور سماع صوت المطر عبر الهاتف.

قال إرلندور: «لا تفعل شيئاً حتى آتي إليك. هل تفهم؟ لا تقدم على أي خطوة حتى تسمع مني أو آتي إليك».

«هل تكلمت إلى المرأة العجوز؟».

مـن دون أن يجيـب، أنهـى إرلنـدور المكالمـة وأعاد الهاتف إلى جيبه. جاءت إيلين تحمل صينية، وضعت فنجانين على الطاولة أمام إرلندور وسـكبت قهوة لكليهما، كان كلاهما يشـربها من دون سـكر، وضعت دلّة القهوة على الطاولة وجلسـت قبالة إرلندور الذي شـرع يتكلم مجدداً.

«أخبرنا إيليدي أن هولبرغ قد اغتصب امرأة أخرى قبل كولبرون وأنه تفاخر على الأرجح بذلك أمام كولبرون». رأى نظرة دهشة على وجه إيلين.

قالـت وهـي تهـز رأسـها مسـتغرقة فـي تفكير عميـق: «إذا كانت كولبرون تعرف بشـأن أمرأة أخرى، فإنها لم تخبرني بذلك أبداً. هل يعقل أنه كان يقول الحقيقة؟».

قال إرلندور: «يجب أن نتصرف وفقاً لذلك الافتراض. إيليدي وغد معتوه وقد يكذب بشـأن ذلك النوع من الأخبار. لكننا لم نعثر على أي شيء يدحض ما يقوله».

قالـت إيليـن: «لـم نكـن نتكلـم عـن الاغتصـاب كثيـراً، أظن أن ذلك كان بسبب أشياء كثيرة من ضمنها أودور. كانت كولبرون امرأة متكتمـة جـداً، خجولـة، منعزلـة، وقد أنغلقت على نفسـها أكثر بعد ما

حدث. وبالطبع كان مثيراً للاشمئزاز الكلام عن تلك التجربة المريعة وهي حامل نتيجة لها، ناهيك عن ذكر ذلك بعد ولادة الطفلة. فعلت كولبرون كل ما يمكنها لتنسى أن ذلك الاغتصاب قد حدث، كل ما يمكنها لتحقق ذلك».

«أتخيـل أنـه إذا كانـت كولبـرون تعـرف عن امـرأة أخرى فلا بد أنهـا أخبـرت الشـرطة لتدعـم إفادتهـا، على الأقل، لـم تذكر كلمة في كل التقارير التي قرأتها».

قالت إيلين: «ربما أرادت توفير العناء على تلك المرأة».

«توفير العناء عليها؟».

«كانـت كولبـرون تعـرف مـا تعنيـه المعاناة مـن اغتصاب، كانت تعـرف مـا يعنيـه تقديـم تقريـر عن اغتصاب، تردّدت بشـأن ذلك كثيراً وكل ما حصلت عليه هو الإذلال. إذا لم ترغب المرأة الأخرى التقدم بشـكوى، فلا بد أن كولبرون قد احترمت رغبتها. أتخيل ذلك، لكن من الصعب معرفة ذلك، ولست واثقة بالضبط مما قالته».

«ربما لم تكن تعرف أي تفاصيل، أو الاسم، وربما مجرد شبهة غامضة. لو أنه أفصح فقط عن شيء من خلال ما قاله».

«لم تتكلم أبداً عن شيء من ذلك القبيل معي».

«عندما تكلمتما عن الاغتصاب، بأي تعبيرات كان ذلك؟».

قالت إيلين: «لم نتحدّث عن الفعل نفسه».

رنّ الهاتف في سترة إرلندور مجدداً وتوقفت إيلين عن الكلام، سـحب إرلندور الهاتف من جيبه فرأى رقم سـيغوردور أولي. أغلق الخط ووضعه في جيبه.

قال: «آسف».

«أليست أدوات بغيضة تلك الهواتف؟».

قال إرلندور: «بالتأكيد». كان الوقت ينفد منه. «أرجوك، تابعي».

«كانت تتكلم عن مدى حبها لابنتها أودور، كانت تجمعهما علاقة خاصة جداً، رغم تلك الظروف المريعة، كانت أودور تعني العالم بالنسبة إلى كولبرون. أعرف أن قول ذلك فظيع، لكنني لا أظن أنها أرادت تفويت فرصة أن تكون أماً. هل تفهم ذلك؟ كنت أظن أنها تعتبر أودور كنوعٍ من التعويض، أو شيئاً من هذا القبيل، عن الاغتصاب. أعرف أن قول ذلك يفتقر للكياسة، لكن كأن الفتاة كانت هبة من الله [عز وجل] وسط كل تلك المحنة. لا يمكنني تخمين ما كانت شقيقتي تفكّر فيه، كيف كانت تشعر أو أي أحاسيس كانت تحتفظ بها لنفسها، لكن لدي صورة محدودة فقط عن ذلك، ولن أتكلم نيابة عنها. لكن بمرور الوقت أحبّت ابنتها حباً جماً ولم تدعها تغيب عن ناظريها أبداً. كانت علاقتهما متأثرة بقوة بما جرى، لكن كولبرون لم تفكّر فيها أبداً على أنها الوحش الذي دمّر حياتها. لم تكن ترى في أودور سوى طفلة جميلة. كانت شقيقتي تبالغ في حماية ابنتها، وقد استمر ذلك بعد الموت والقبر، كما هو واضح في النقش. احفظ حياتي من الخوف من العدو».

«هل تعرفين بالتحديد ماذا كانت شقيقتك تعني بتلك الكلمات؟».

«كانت تضرعاً لله [عزّ وجل]، كما ستعرف إذا قرأت المزمور. بشكل طبيعي، كانت للطريقة التي ماتت بها الفتاة الصغيرة علاقة بذلك، كيف حدث الأمر وكم كان مأساوياً، لم يكن باستطاعة كولبرون أن تتحمل فكرة تشريح جثة أودور. حتى لم يكن باستطاعتها التفكير في ذلك».

نظر إرلندور بارتباك إلى الأرض لكن إيلين لم تلاحظ ذلك.

قالت إيلين: «يمكنك أن تتخيل بسهولة الحالات الرهيبة التي مرّت بها كولبرون، فحال الاغتصاب التي تعرّضت لها، ومن ثم وفاة ابنتها لهما تأثير خطير على سلامتها العقلية، أُصيبت بانهيار عصبي، عندما بدأوا يتحدثون عن إجراء تشريح جنّ جنونها، وفي محاولتها حماية أودور كانت ترى الأطباء أعداء، أنجبت ابنتها بتلك الظروف الفظيعة وسرعان ما فقدتها، كانت تعتبر ذلك مشيئة الله [عز وجل]، كانت شقيقتي تريد منهم أن يتركوا ابنتها بسلام».

انتظر إرلندور لحظة قبل أن يُقدم على خطوته.

«أظن أنني أحد أولئك الأعداء».

نظرت إيلين إليه من دون أن تفهم ما كان يعنيه.

«أظن أن علينا إخراج التابوت وإجراء تشريح أكثر دقة، إذا كان ذلك ممكناً».

قال إرلندور ذلك بهدوء قدر استطاعته. استغرق الأمر من إيلين بعض الوقت لتفهم كلماته وتضعها في سياقها الصحيح، وعندما استوعبتها نظرت إليه ببرود.

«ماذا تقول؟».

«ربما نتمكّن من العثور على تفسير لموتها».

«تفسير؟ كان ذلك بسبب ورم خبيث في الدماغ!».

«قد يكون...».

«ما الذي تتكلم عنه؟ تشرحها؟ الطفلة؟ لا أصدق ذلك! كنت أقول لك الآن...».

«لدينا سببان».

«سببان؟».

قال إرلندور: «لإجراء التشريح».

كانـت إيليـن قـد وقفـت وأخذت تتنقّلُ في الغرفة بجنون. جلس إرلندور صامتاً وكان قد استرخى أكثر في الكرسي المريح.

«لقد تكلمت إلى الأطباء في المستشـفى هنا في كيفلافيك. لم يعثـروا علـى أي تقاريـر عـن أودور، مـا عـدا تقرير فحـص الجثة بعد الوفاة من الطبيب الذي أجرى التشـريح، إنه ميت الآن، كانت السـنة التي ماتت فيها أودور السنة الأخيرة له كطبيب في المستشفى، لم يذكر سوى الورم الخبيث في الدماغ وعزا موتها إليه. أريد أن أعرف نوع المرض الذي تسبب بموتها، أريد أن أعرف إن كان مرضاً وراثياً».

«مرضاً وراثياً! لا أعرف شيئاً عن أي أمراض وراثية».

قال إرلندور: «نحن أيضاً نبحث عن ذلك لدى هولبرغ. سـبب آخر لإخراج الجثة هو التأكد من أن أودور كانت ابنة هولبرغ. يمكن التحقق من ذلك بإجراء اختبارات الحمض النووي الريبي».

«هل تشك في أنها ابنته؟».

«ليس بالضرورة، لكن يجب تأكيد ذلك».

«لماذا؟».

«أنكر هولبرغ أنها طفلته، قال إنه أقام علاقة مع كولبرون برغبتها لكنه أنكر الأبوة. عندما تم إسـقاط القضية لم يرَ القائمون عليها أي قاعدة معقولة لإثبات ذلك من عدمه. لم تصر شقيقتك أبداً على أي شـيء مـن هـذا القبيـل، كان واضحـاً أنها قد عانت بما يكفي وأرادت إخراج هولبرغ من حياتها».

«من غيره قد يكون الأب؟».

«نحـن بحاجـة إلـى برهـان بعـد مقتل هولبرغ. قد يسـاعدنا ذلك في العثور على بعض الإجابات».

«مقتل هولبرغ؟».

«نعم».

وقفت إيلين إلى جانب إرلندور، تحدّق إليه.

«هل سيعذبنا ذلك الوحش جميعاً حتى في القبر؟».

كان إرلندور على وشك أن يرد، لكنها تابعت الكلام.

قالت إيلين: «لا تزال تظن أن شقيقتي كانت تكذب، لن تصدّقها أبداً، لست أفضل من ذلك المعتوه رونار. ذلك غير ممكن أبداً».

انحنت فوقه حيث كان جالساً في الكرسي.

همّت: «أيها الشرطي اللعين! ما كان يجب أن أسمح لك بدخول منزلي أبداً».

18

رأى سيغوردور أولي المصابيح الأمامية لسيارة تقترب في المطر فعرف أنه إرلندور. كانت الحفّارة الهيدروليكية تقعقع في مركزها جانب القبر، مستعدة للبدء بالحفر عند إعطاء الإشارة. انبعثت سحب دخان أسود مع رائحة زيت محروق من حفارة صغيرة زحفت وهي تتمايل وتهتزّ، بينما غمر الطين جنزيريها.

كان سيغوردور أولي وإيلينبورغ يقفان إلى جانب القبر مع أخصائي بعلم الأمراض، ومحامٍ من مكتب المدّعي العام، وقس وحارس الكنيسة، وعدّة أفراد شرطةٍ من كيفلافيك وعاملين من مجلس المدينة. كانت المجموعة تقف تحت المطر، كانت إيلينبورغ الوحيدة التي حملت مظلة، وسيغوردور أولي الوحيد المسموح له الوقوف تحتها، لاحظوا أن إرلندور كان وحيداً عندما خرج من سيارته ومشى ببطء نحوهم. كانت لديهم وثائق تسمح بإخراج الجثة من القبر، وهو شيء لم يكن سيبدأ حتى يمنحهم إرلندور موافقته.

جال إرلندور ببصره على المنطقة، وشعر بالأسف على التعطيل، الضرر، وانتهاك الحرمات. كان قد تم رفع الشاهدة ووضعها على ممر قرب القبر. إلى جانبها كانت هناك جرّة خضراء مع وتد طويل في قاعدتها لتثبيتها في التربة. كانت الجرّة تحتوي على باقة ذابلة من الورود وفكّر إرلندور في قرارة نفسه أن إيلين هي التي وضعتها على القبر. توقف، قرأ النقش مرة أخرى وهزّ رأسه. كانت الأوتاد الخشبية البيضاء التي تشكل حدود القبر، والتي كانت تبرز بالكاد

ثماني بوصات عن الأرض، ملقاة آنذاك مكسورة إلى جانب الشاهدة. كان إرلندور قد شاهد ذلك النوع من الأسيجة حول قبور الأطفال، وآلمه أن يراها مطروحة جانباً بتلك الطريقة. رفع بصره إلى السماء السوداء، كان الماء يقطر من حافة قبعته إلى كتفيه أغمض عينيه قليلاً من المطر المنهمر، جال ببصره على المجموعة التي تقف إلى جانب الحفّارة، ونظر أخيراً إلى سيغوردور أولي وأومأ. أشار سيغوردور أولي إلى عامل الحفّارة. فارتفع الرّفش في الهواء ثم اندفع عميقاً في التربة المشبعة بالماء.

شاهد إرلندور الحفّارة تنكث جراحاً عمرها 30 سنةً. كان يشعرُ هلعاً شديداً مع كل حركة للرفش، ازدادت كومة التراب تدريجياً، وكلما كانت الحفرة تصبح أعمق كانت الظلمة تزداد حلكة. وقف إرلندور بعيداً يراقب الرفش ينكأ عميقاً وعميقاً في الجرح. فجأة شعر أنه يتذكر ما يجري أمامه، كأنه قد رأى كل ذلك من قبل في حلم، وللحظة تحول المشهد أمامه إلى شيء يشبه الحلم: كان زملاؤه يقفون هناك ينظرون إلى القبر، وكان عاملا البلدية بثوبيهما المسرولين البرتقاليين ينحيان إلى الأمام مع رفشيهما، القس بمعطفه الأسود الكبير، المطر الذي ينهمر على القبر ويخرج في الرفش كأن الحفرة تنزف.

هل كان حلمه شبيهاً بما كان يشاهده؟

ثم اختفى الإحساس، وكما الحال دائماً عندما يحدث شيء مثل ذلك، لم يتمكّن من استيعاب ما جرى، ولماذا شعر أنه يربط أحداثاً لم تقع من قبل. لم يكن إرلندور يعتقد بالهواجس، بالرؤى أو بالأحلام، ولا بالتقمص أو الكرما [الحصيلة الأخلاقية الكاملة لأعمال الفرد في البوذية والهندوسية]، ولم يكن مؤمناً رغم أنه كان يقرأ الكتاب

المقدس دائماً، كان يشعر أن الحياة نفسها تقدم مزيجاً من الاثنتين.

كان يختبر أحياناً الرؤيا المسبقة المبهمة والخارقة للطبيعة تلك، يختبر الزمان والمكان كأنه قد رأى كل ذلك من قبل، كأنه خرج من نفسه، أصبح شاهداً على حياته، لم تكن هناك طريقة يمكن أن يفسر بها ما كان يحدث أو لماذا تتلاعب به أفكاره على تلك الحال.

عاد إرلندور إلى واقعه عندما اصطدم الرفش بغطاء التابوت وسُمع رنين أجوف داخل القبر. تقدم خطوة إلى الأمام. عبر المطر المنهمر إلى الحفرة رأى شكل التابوت المبهم.

صرخ إرلندور على عامل الحفّارة وهو يرفع يديه في الهواء: «احترس!».

من طرف عينه رأى مصابيح أمامية لسيارة تقترب، نظروا جميعاً باتجاه الأضواء، ورأوا سيارة تتقدم ببطء تحت المطر حتى توقفت إلى جانب بوابة المقبرة، خرجت منها سيدة عجوز ترتدي معطفاً أخضر. لاحظوا لوحة سيارة الأجرة على سطحها، ابتعدت سيارة الأجرة واندفعت السيدة نحو القبر. حالما أصبح إرلندور ضمن مدى السمع بدأت تصرخ وتلوح بقبضتها نحوه.

سمع إيلين تصرخ: «سارق قبر! سارقو قبور! نابشو جثث!».

قال إرلندور بهدوء لأفراد الشرطة: «أبعدوها»، مشى هؤلاء نحو إيلين وأوقفوها عندما أصبحت على بعد بضع ياردات فقط من القبر. حاولت مقاومتهم في نوبة جنونها لكنهم أمسكوا ذراعيها وكبحوا جماحها.

نزل عاملا البلدية إلى القبر مع رفشيهما، حفرا حول التابوت ووضعا حبالاً حول طرفيه، كان سليماً تقريباً. كانت قطرات المطر تتراقص بصمتٍ على غطائه، تغسل التراب عنه. تخيَّل إرلندور أنه

سيكون أبيضَ، لقد كان تابوتاً أبيض صغيراً مع مقبضين نحاسيين ورمزٍ للنصارى على الغطاء. ربط الرجلان الحبال إلى رفش الحفّارة التي رفعت بحرص شديد تابوت أودور إلى الخارج. كان لا يزال قطعةً واحدةً لكنه يبدو هشاً للغاية. رأى إرلندور أن إيلين قد توقفت عن العراك والصراخ. كانت قد بدأت تبكي عندما انتُشِل التابوت الأبيض وتدلى ساكناً دون حراك معلّقاً بالحبال فوق القبر قبل إنزاله إلى الأرض. تقدم القس منه، أشار برمز النصارى فوقه وحرّك شفتيه بدعاء. عادت شاحنة سوداء صغيرة إلى الخلف ببطء على طول الممر وتوقفت. حلّ عاملا البلدية عُقد الحبال، وضعا التابوت داخل الشاحنة وأغلقا الباب. جلست إيلينبورغ في المقعد الأمامي إلى جانب السائق الذي انطلق إلى خارج المقبرة، عبر البوابة وعلى طول الطريق حتى اختفت الأضواء الخلفية الحمراء في المطر والعتمة.

ذهب القس إلى إيلين وطلب إلى أفراد الشرطة أن يدعوها وشأنها، فعلوا ذلك في الحال، سأل القس إن كان هناك شيء يمكن أن يفعله من أجلها. كان واضحاً أنهما يعرفان بعضهما جيداً، إذ تكلما معاً همساً، بدا أن إيلين أصبحت أكثر هدوءاً. تبادل إرلندور وسيغوردور أولي نظرات ثم نقلا بصريهما إلى القبر، كانت مياه الأمطار قد بدأت تتجمع آنذاك في قعره.

سمع إرلندور إيلين تقول للقس: «كنت أرغب في إيقاف هذا العمل المثير للاشمئزاز»، شعر بالراحة نوعاً ما بعد أن رأى أن إيلين قد تمالكت نفسها، مشى إلى حيث كانت تقف ومشى سيغوردور أولي خلفه.

قالت إيلين لإرلندور: «لن أنساك أبداً لأجل ما فعلته». كان القس يقف إلى جانبها. «أبداً!».

قـال إرلنـدور: «أتفهَّـم ذلـك تمامـاً، لكـن التحقيـق يحتـل الأولوية».

صرخت إيلين: «التحقيق؟ اللعنة على تحقيقك. إلى أين تأخذون الجثة؟».

«إلى ريكيافيك».

«ومتى ستعيدونها؟».

«بعد يومين من الآن».

قالت إيلين بنبرة أسى مرتبكة، كأنها لم تستوعب أبداً ما حدث: «انظر إلى مافعلتموه بقبرها». تجاوزت إرلندور في طريقها إلى الشاهدة وما بقي من الأوتاد، وجرّة الورود والقبر المفتوح.

قـرّر إرلنـدور أن يخبرهـا عـن الرسـالة التي تـم العثور عليها في شقة هولبرغ.

قـال إرلنـدور وهـو يمشـي خلـف إيليـن: «كانت هنـاك ملاحظة في منزل هولبرغ عندما دخلناه، لم نتمكّن من تفسـيرها حتى دخلت أودور في دائرة التحقيق وتكلمنا إلى طبيبها القديم، لا يترك المجرمون الأيسلنديون عادة أي شيء خلفهم سوى الفوضى، لكن الشخص الذي قتـل هولبـرغ أراد أن يمنحنـا شـيئاً يحيّـر أذهاننـا. عندما تكلم الطبيب عن احتمال وجود مرض وراثي، بدا فجأة أن للرسـالة معنى محدد. أيضاً بعد ما أخبرني إيليدي في السجن أن هولبرغ لم يكن له أقارب على قيد الحياة وكان له شـقيقة توفيت عندما كانت في التاسـعة من عمرها». أشار إرلندور إلى زميله: «وجد سيغوردور أولي هنا التقارير الطبية عنها، كان إيليدي محقاً، توفيت شـقيقة هولبرغ نتيجة إصابتها بورم خبيث في الدماغ، على الأرجح من المرض نفسه الذي أصاب أودور».

سألت إيلين: «ما الذي تقوله؟ ما مضمون الرسالة؟».

تردّد إرلندور. نظر إلى سيغوردور أولي الذي نظر أولاً إلى إيلين ثم إلى إرلندور.

قال إرلندور: «أنا هو».

«ماذا تعني؟».

«كان ذلك هو مضمون الرسالة أنا هو والكلمة الأخيرة هو بأحرف كبيرة».

كرّرت إيلين: «أنا هو. ماذا يعني ذلك؟».

قال إرلندور: «لسنا واثقين من ذلك لكنني أتساءل إن كان ذلك يشير إلى علاقة ما، لا بد أن الشخص الذي كتب أنا هو كان يشعر بأنه يشترك مع هولبرغ بشيء ما، قد يكون ذلك وهماً من معتوه لا يعرفه، مجرد هراء. لكنني لا أظن ذلك، أظن أن التأكد من المرض سيساعدنا، كما يجب علينا أن نكتشف ماهيته بالضبط».

«أي نوع من العلاقة؟».

«وفقاً للتقارير، لم يكن لدى هولبرغ أي أولاد، لم تكن أودور تحمل اسمه، كان لقبها كولبروناردوتير. لكن إذا كان إيليدي يقول الحقيقة بشأن قيام هولبرغ باغتصاب نساء أخريات غير كولبرون، نساء لم يتقدمن بشكاوى ضده، قد يكون على الأرجح، لديه أولاد آخرون. يبدو أن كولبرون لم تكن الضحية الوحيدة التي أنجبت منه. لقد قلّصنا البحث عن ضحية محتملة في هوسافيك إلى نساء أنجبن أطفالاً خلال مدة معينة، ونأمل أن نكتشف شيئاً من خلال ذلك قريباً».

«هوسافيك؟».

«كانت ضحية سابقة لهولبرغ من هناك، على ما يبدو».

قالت إيلين: «ماذا تعني بمرض وراثي؟ أي نوع من الأمراض؟

هل هو الذي قتل أودور؟».

«يجب أن نفحص هولبرغ، نتأكد من أنه والد أودور ونجمع قطع الأحجية معاً. لكن إذا كانت هذه النظرية صحيحة، ربما يكون مرضاً نادراً ينتقل وراثياً».

«وهل كانت أودور مصابة به؟».

«ربما تكون قد توفيت قبل وقت طويل لنحصل على نتيجة صحيحة، لكن ذلك ما أردنا اكتشافه».

بحلول ذلك الوقت كانوا قد مشوا إلى دار العبادة، إيلين إلى جانب إرلندور، وسيغوردور أولي خلفهما. كانت إيلين تتقدم المجموعة. كانت دار العبادة مفتوحة، دخلوا اتقاء للمطر ووقفوا في الردهة يتأملون طقس الخريف الكئيب.

قال إرلندور: «أظن أن هولبرغ كان والد أودور. في الواقع ليس لدي سبب لأشك في كلامك وبما أخبرتك به شقيقتك، لكننا بحاجة إلى برهان، هذا مهم من وجهة نظر تحقيق الشرطة. إذا كان هناك مرض وراثي انتقل من هولبرغ إلى أودور، قد يوجدُ شخص آخر مصاب به أيضاً، من المحتمل أن يكون لذلك المرض علاقة بمقتل هولبرغ».

لم يلاحظوا سيارة تتحرك ببطء مبتعدة عن المقبرة على طول الدرب القديم المحاذي للطريق، أضواؤها مطفأة وبالكاد يمكن رؤيتها في الظلام. عندما وصلت ساندجردي زاد سائقها السرعة، أضاء مصابيحها وسرعان ما لحق الشاحنة التي تحمل الجثة، على طريق كيفلافيك. تأكد السائق من وجود سيارتين أو ثلاث بينه وبين الشاحنة، بتلك الطريقة لاحق التابوت طيلة الطريق إلى ريكيافيك.

عندما توقفت الشاحنة أمام المشرحة في بارونستيغور، ركن السيارة بعيداً وراقب نقل التابوت إلى المبنى وإغلاق الباب خلفه، راقب الشاحنة تتحرك بعيداً والمرأة التي كانت قد رافقت التابوت تخرج من المشرحة وتستقل سيارة أجرة.

عندما ساد الهدوء مجدداً، قاد سيارته مبتعداً.

19

فتح ماريون بريم الباب له، لم يكن إرلندور قد أخبره عن قدومه، لقد جاء مباشـرة من سـاندجردي وقرر أن يتكلم إلى ماريون قبل أن يذهب إلى المنزل. كانت السـاعة السادسـة مسـاءً، الظلام حالك في الخارج. دعا ماريون إرلندور إلى الدخول معتذراً عن الفوضى. كانت شقة صغيرة، تتألف من غرفة جلوس، غرفة نوم، حمّام ومطبخ، مثالاً للحال التي يمكن أن يكون عليها أشـخاص مهملون عندما يعيشـون بمفردهم، ولا تختلف كثيراً عن شقة إرلندور. كانت الصحف والكتب والمجلات منتشرةً في كل مكان، السجادة بالية ومتسخة، وبقايا أكل عفن عالق على صحون مكدسة فوق بعضها إلى جانب مغسلة المطبخ، وكان ضوء من مصباح على طاولة يحاول واهناً إنارة الغرفة المظلمة. طلـب ماريـون مـن إرلنـدور أن يُلقـي بالصحف الموجـودة على أحد الكراسي إلى الأرض ويجلس عليه.

قـال إرلنـدور: «لـم تخبرنـي أنك اشـتركت فـي القضية في ذلك الوقت».

قال ماريون: «لم تكن إحدى إنجازاتي العظيمة»، وأخرج سيجاراً صغيراً من علبة بيدين صغيرتين نحيلتين، كانت قسمات وجهه قاسية، رأس كبير على جسـد رقيق البنية. اعتذر إرلندور عندما عرض عليه سيجاراً. كان يعرف أن ماريون لا يزال يتابع القضايا المثيرة للاهتمام، يحصل على معلومات من زملاء يعملون في الشـرطة يخبرونه عادة بكل التفاصيل.

قال ماريون: «هل تريد أن تعرف المزيد عن هولبرغ؟».

قال إرلندور وهو يجلس بعد أن أزاح كومة الصحف جانباً: «وعن صديقيه، وعن رونار من كيفلافيك».

قال ماريون: «نعم، رونار من كيفلافيك، كاد يقتلني ذات مرة».

قال إرلندور: «لم يعد يستطيع فعل شيء اليوم، ذلك الشرير العجوز».

قال ماريون: «إذاً التقيته، إنه مصاب بالسرطان، هل كنت تعرف ذلك؟ مسألة أسابيع وليست شهوراً».

قال إرلندور وهو يتخيل وجه رونار الواهن النحيل، والسيلان من طرف أنفه بينما كان يجمع أوراق الأشجار في حديقته: «لم أكن أعرف».

«لديه أصدقاء يتمتعون بنفوذ كبير في الوزارة، لهذا السبب بقي في منصبه لمدة طويلة، أوصيت بصرفه من الخدمة، لقد تلقى إنذاراً».

«هل تتذكر كولبرون تماماً؟».

قال ماريون: «أتعس ضحية كنت قد رأيتها في حياتي. لم يتسنَ لي معرفتها جيداً، لكنني أعرف حقاً أنها لا يمكن أن تكذب بشأن أي شيء. وجّهت سهام اتهاماتها ضد هولبرغ، ووصفت المعاملة التي لقيتها من رونار. كما تعرف، كانت إفادتها ضد إفادته في قضية رونار، لكن إفادتها كانت مقنعة. كان يجب حينئذٍ عدم إرسالها إلى المنزل بل تناوُل قضيتها بجدّية أكثر، سواء أكان هناك سروال أو لا. لقد اغتصبها هولبرغ، وكان ذلك واضحاً، جعلتهما يواجهان بعضهما، هولبرغ وكولبرون، ولم يكن هناك شك في ذلك».

«جعلتهما يواجهان بعضهما؟».

«كانت تلك غلطة. كنت أظن أن ذلك سيساعد تلك المرأة المسكينة».

«كيف؟».

«جعلت الأمر يبدو كأنه وقع مصادفة. لم أدرك... يجب ألا أخبرك ذلك. كنت قد وصلت إلى طريق مسدود في التحقيق. قالت شيئاً وقال شيئاً آخر. استدعيتهما مباشرة وجعلتهما يلتقيان».

«ماذا حدث؟».

«أُصيبت بهستيريا، واضطررنا إلى استدعاء طبيب. لم أكن قد رأيت شيئاً مماثلاً من قبل، أو منذ ذلك الوقت».

«ماذا عنه؟».

«وقف حينئذٍ يبتسم».

التزم إرلندور الصمت للحظة.

«هل تظن أنها كانت طفلته؟».

هزّ ماريون كتفيه لامبالياً. «كانت كولبرون تدّعي دائماً أنها طفلته».

«هل تكلمت كولبرون معك بشأن امرأة أخرى اغتصبها هولبرغ؟».

«هل كانت هناك أخرى؟».

كرّر إرلندور ما كان إيليدي قد قاله، وسرعان ما أوجز التحقيق كله. جلس ماريون بريم يدخن السيجار، ويصغي السمع. كان يحدّق إلى إرلندور بعينين صغيرتين متأهباً ومتحفّزاً، لم يفوّت أي شيء. رأى رجلاً متعباً في منتصف العمر مع تجاعيد داكنة تحت عينيه، بعض الشعر الذي لم يحلقه منذ أيام على وجنتيه، بحاجبين كثّين

بارزين في وجهه، شعرٍ بني كثيفٍ، أسنان قوية تبرز أحياناً من خلف شـفتين شـاحبتين، بشـرة مرهقة كانت قد شـهدت أسوأ أنواع الأوساخ البشرية. كشفت عينا ماريون بريم تعاطفاً واضحاً ويقيناً حزيناً كأنهما كانتا تنظران إلى انعكاس صورتهما.

عَمِـل إرلنـدور تحـت قيـادة ماريون بريم عندمـا انضم إلى إدارة البحث الجنائي وقد علّمه كل ما كان قد اكتسـبه في تلك السـنوات الأولى. مثل إرلندور، لم يكن ماريون قد أصبح ضابطاً مشـرفاً، لقد عمل دائماً في قسم التحقيق وامتلك خبرة كبيرة. كان يتمتع بذاكرة قوية لم تتراجع أبداً مع تقدم العمر. كان ماريون يصنّف، يسجل ويحفظ كل ما يراه ويسمعه في مساحة التخزين غير المحدودة في دماغه، ويتذكر ذلك من دون أي عناء عند الحاجة إليه. كان باستطاعة ماريون أن يتذكر قضايا قديمة بتفاصيل دقيقة. كان مرجعاً لكل ما يتعلق بالجريمة في أيسلندا، وذلك لتمتعه بقدرات خارقة في الاستنتاج وبذهنية منطقية.

كان ماريون وغداً متحذلقاً وصارماً لا يُطاق، كما وصفه إرلندور مرة لإيفا ليند عندما تحدّث عنه. كان شرخ عميق قد حلّ بينه وبين معلّمـه القديـم طيلـة سـنوات عديـدة، ووصـل الأمر إلـى مرحلة عدم التحـدث إلـى بعضهمـا. كان إرلنـدور يشـعر أنـه بطريقـة مـا لا يمكن تفسـيرها قـد خيّـب أمـل ماريـون، كان يظـن ذلك حتـى تقاعد معلّمه أخيراً، مما جعل إرلندور يشعر بالارتياح.

بعد أن ترك ماريون العمل بدا أن علاقتهما قد عادت إلى طبيعتها، هدأ التوتر واختفى التنافس تقريباً.

قال إرلندور في النهاية: «لهذا السبب خطر لي أن أمرّ بك وأرى ما تتذكره عن هولبرغ، إيليدي وغريتار».

قال ماريون بنبرة دهشة: «هل تأمل أن تعثر على غريتار بعد كل

تلك السنوات؟». لاحظ إرلندور نظرة قلق في عيني ماريون.

«إلى أي حد وصلت في القضية؟».

قال ماريون: «لم أصل إلى شيء، فقد عملت عليها بعض الوقت فقط». فرِح إرلندور للحظة عندما شعر أن هناك نبرة اعتذار. «ربما اختفى في عطلة نهاية الأسبوع الذي شهد إقامة الاحتفال الوطني في ثينغفلير. تكلمت مع والدته، صديقيه، إيليدي، هولبرغ، وزملائه في العمل. كان غريتار يعمل لصالح إيمسكب كعامل شحن. ظنّ الجميع أنه سقط في البحر، لو أنه سقط في إحدى مناطق الشحن كما قالوا، لما فشلوا في العثور عليه».

«أين كان هولبرغ وإيليدي في الوقت الذي اختفى فيه غريتار؟ هل تتذكر؟».

قال: كلاهما كانا في الاحتفال وقد تحققنا من ذلك. لكن بالطبع لم يكن وقت اختفاء غريتار معروفاً بدقة. لم يره أحد لمدة أسبوعين عندما اتصلت والدته بنا. ما الذي تفكر فيه؟ هل لديك دليل جديد بشأن غريتار؟».

قال إرلندور: «لا. ولا أبحث عنه. طالما أنه لم يخرج من البحر ولم يقتل صديقه القديم هولبرغ في نوردورمايري، يمكنه الاختفاء إلى الأبد ولن أهتم بذلك. أحاول اكتشاف نوع المجموعة التي كانوا يشكلونها، هولبرغ، إيليدي، وغريتار».

«الثلاثة كانوا حثالة. تعرف إيليدي بنفسك. لم يكن غريتار أفضل منه بل أكثر شراً. حقّقت معه مرة في قضية سرقة وبدا لي أنه في بداية مسيرة إجرامية قصيرة الأمد ومثيرة للشفقة. كانوا يعملون معاً لصالح هيئة الموانئ والمنارات. التقوا بتلك الطريقة. كان إيليدي السادي الأحمق، يدخل في شجار كلما سنحت له فرصة، يهاجم أشخاصاً

أضعف منه، ولا أظن أنه قد تغير منذ ذلك الوقت. كان هولبرغ الزعيم إلى حدٍّ ما، وأكثرهم ذكاءً، أفلت بفعلته مع كولبرون، عندما بدأت أسال عنه آنذاك، كان الناس يترددون في الإجابة. كان غريتار الجبان الذي انضم إليهما، متردّداً ورعديداً، لكن كان ينتابني شعور أنه يخفي أكثر مما يظهره».

«هل كان رونار وهولبرغ يعرفان بعضهما من قبل؟».

«لا أظن ذلك».

قال إرلندور: «لا نعلم ذلك بعد، لكننا عثرنا على ملاحظة فوق الجثة».

«ملاحظة؟».

«كتب القاتل أنا هو على ورقة وتركها فوق هولبرغ».

«أنا هو؟».

«ألا يوحي ذلك أنهما كانا يعرفان بعضهما؟».

«إلا إذا كانت تلك عقدة مهووس ديني».

«يمكن أن أعزو الأمر إلى وجود قرابة».

«أنا هو؟ ما الذي يعنيه بذلك؟ ما القصد؟».

قال إرلندور: «أتمنى لو أعرف».

نهض واعتمر قبعته، قال إنه مضطر إلى الذهاب إلى المنزل. سأله ماريون عن حال إيفا ليند، قال إرلندور إنها تتعامل مع مشكلاتها واكتفى بذلك. رافقه ماريون إلى الباب ووقف معه هناك، تصافحا، عندما نزل إرلندور الدرجات، ناداه ماريون.

«إرلندور! انتظر دقيقة إرلندور».

استدار إرلندور ونظر إلى ماريون الذي كان يقف عند عتبة الباب،

رأى العلامات التي تركها العمر على ذلك الشخص الجديد بالاحترام، وكيف يمكن لكتفين هزيلتين أن تحطا من وقاره وكيف أن وجهه المتغضن يحمل علامات حياة صعبة. كان قد مرّ وقت طويل منذ أن جاء إلى تلك الشقة وقد كان يفكر، في أثناء جلوسه قبالة ماريون في الكرسي، في الأثر الذي يتركه الزمن على الناس.

قال ماريون بريم: «لا تدع أي شيء تكتشفه عن هولبرغ يؤثر كثيراً فيك. لا تدعه يقتل أي جزء منك لا تريد التخلص منه على كل حال، لا تدعه يفوز، هذا كل شيء».

وقف إرلندور دون حراك تحت المطر، غير واثق مما يُفترض أن تعنيه تلك النصيحة. أومأ ماريون بريم إليه.

«أي سرقة كانت؟».

سأل ماريون وهو يفتح الباب مجدداً: «سرقة؟».

«تلك التي اقترفها غريتار، ماذا سرق؟».

قال ماريون بريم: «متجراً للصور، كان مولعاً بالصور، وبالتقاطها».

طرق رجلان، يرتدي كل منهما سترة جلدية وينتعل كل منهما حذاءً جلدياً أسود يرتفع إلى باطن السيقان، باب إرلندور وأزعجاه بينما كان يغفو في كرسيه في وقت متأخر من تلك الأمسية. كان قد عاد إلى المنزل، نادى على إيفا ليند من دون أن يتلقى رداً، وجلس يتناول قطع الدجاج التي كانت على الكرسي منذ الليلة السابقة. سأل الرجلان عن إيفا ليند، لم يكن إرلندور قد رآهما أبداً من قبل ولم يرَ ابنته منذ طبخت له يخنة اللحم. كانت تعبيرات وجهيهما قاسية عندما سألا إرلندور عن المكان الذي يمكن أن يجداها فيه، وحاولا

أن ينظرا داخل الشقة من دون أن يدفعاه جانباً. سألهما إرلندور ماذا يريدان من ابنته. سـأل الرجلان إن كان يخفيها داخل شـقته، الرجل العجوز القذر. سأل إرلندور إن كانا قد جاءا لتحصيل دين، طلبا منه أن يخرس. طلب إليهما أن يغربا عن وجهه، فشـتماه. عندما أوشـك أن يغلـق البـاب، دفـع أحدهمـا ركبتـه إلـى الداخل خلـف إطار الباب وصرخ: «ابنتك بغي لعينة». كان يرتدي بنطالاً جلدياً.

تنهد إرلندور، كان يوماً طويلاً ومتعباً.

سـمع الركبـة تتحطـم وتتفتـت عندمـا أغلق البـاب بعنف عليها، بحيث خرجت المفصلات العليا من إطاره.

20

كان سيغوردور أولي يتساءل كيف سيصيغ السؤال، كان يحمل لائحة بأسماء عشر نساء كن يعشن في هوسافيك قبل وبعد العام 1960، ثم انتقلن بعد ذلك إلى ريكيافيك. كانت امرأتان على لائحته قد توفيتا، اثنتان لم تنجبا أبداً. النساء الست الأخريات قد أصبحن جميعاً أمهات في خلال الفترة التي تمّ فيها الاغتصاب، على الأرجح. كان سيغوردور أولي في طريقه إلى بارماهيلد [بلدة]، ليقوم بزيارته الأولى لسيدة تقيم فيها مع أبنائها الثلاثة الراشدين.

ما أربكه كان مضمون السؤال وصياغته وطرحه على نسوةٍ في منتصف أعمارهن. «عفواً يا سيدتي، أنا من الشرطة، وقد جئت أسألك إن كنت قد تعرضت لاغتصاب في هوسافيك عندما كنتِ تعيشين هناك». ناقش الأمر مع إيلينبورغ، التي كانت لديها لائحة بأسماء عشر نساء أخريات، لكنها لم تفهم المشكلة.

كان سيغوردور أولي يعتبرها عملية من دون جدوى تلك التي كان إرلندور قد أطلقها. حتى إذا كان إيليدي يقول الحقيقة، وتوافق الزمان والمكان، وعثروا أخيراً على المرأة المطلوبة بعد بحث طويل، ما هي الدوافع التي تجعلها تتكلم عن الاغتصاب بالمحصلة؟ كانت قد التزمت الصمت حيال الأمر طيلة حياتها تقريباً. لماذا ستبدأ الحديث عنه الآن؟ كل ما كانت بحاجة إلى قوله، عندما يطرق سيغوردور أولي أو أي من المحققين الخمسة الذين كانوا يحملون لائحة من النوع نفسه بابها، هو «لا»، ولم يكن في وسعهم قول شيء سوى «آسف

لإزعاجـك». حتـى إذا عثـروا علـى المرأة فعلاً، ربما تكون قد أنجبت طفلاً، ولكن ليس نتيجة اغتصاب.

كان إرلنـدور قـد قـال عندمـا حـاول سـيغوردور أولي أن يجعله يرى المشكلة: «إنها مسألة رد فعل، ويجب عليك الاستفادة من علم النفس. حاول الدخول إلى منازلهن، الجلوس، تناول قهوة، التحدّث إليهن، والإنهماك قليلاً في القيل والقال».

قال سيغوردور أولي بازدراء وهو يخرج من سيارته في بارماهليد: «علم نفس!»، وفكّر في صديقته، بيرغثورا التي لم يعرف كيف يستخدم علـم النفـس معهـا، كانـا قـد التقيـا فـي ظروف غير اعتياديـة قبل عدّة سـنوات، عندما كانت بيرغثورا شـاهدة في قضية صعبة، وبعد علاقة عاطفية قصيرة قرّرا العيش معاً، تبيّن أنهما مناسـبان تماماً لبعضهما، لديهما اهتمامات مشـتركة وكل منهما يريد تأسـيس بيت جميل لهما وتزوّيـده بأثـاث أنيـق وتحـف فنيـة، وأن ينعم بحيـاة مترفة هانئة. كانا يتبـادلان القبـل دائمـاً عندمـا يلتقيـان بعـد يوم طويل فـي العمل، كانا يتبادلان هدايا صغيرة، وأحياناً يفتحان قارورة شـراب فرنسـي، أحياناً يذهبان مباشرة إلى السرير عندما يعودان إلى المنزل من العمل، لكن ذلك أصبح أقل حدوثاً بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة.

حدث ذلك بعد أن أهدته حذاءً فنلندياً عالي السـاقين بمناسـبة عيد ميلاده. حاول أن يتظاهر بالابتسام، لكن أمارة عدم التصديق بقيت على وجهه لوقت طويل جداً، فأدركت أن هناك خطباً ما. عندما ابتسم أخيراً، كانت ابتسامته مزيفة.

قالت: «لأنك لا تمتلك واحداً».

قال: «لم يكن لدي حذاء عالي السـاقين منذ كنت في العاشـرة من عمري».

«ألست سعيداً؟».

قال سيغوردور أولي: «أظن أنه رائع»، وكان يعرف أنه لم يُجب على السـؤال، كانت تعرف ذلك أيضاً، أضاف وهو يشـعر أنه يحفر لنفسه قبراً بارداً: «بلى، حقاً إنه رائع».

قالت بكآبة: «لست سعيداً به».

قـال: «بالتأكيـد أنـا سـعيد»، وكان لا يـزال حائـراً تماماً، لأنه لم يستطع أن يتوقف عن التفكير في الساعة التي تساوي 30.000 كرونا والتي أهداها إياها في عيد ميلادها، اشتراها بعد أسبوع من بحثٍ مضنٍ في كل أنحاء البلدة، وبعد مناقشات مع أصحاب متاجر الساعات عن الأنواع، الطلي بالذهب، التقنيات، الأحزمة، منع نفاذ الماء، الساعات السويسـرية وتلك التي يوجد فيها طائر يوقوق. كان قد اسـتخدم كل مهارات التحقيق التي امتلكها للعثور على السـاعة المناسـبة، وجدها في النهاية، وقد انتشت صديقته فرحاً بها، وكانت سعادتها وسرورها كبيرين.

بعـد ذلـك كان يجلـس أمامهـا وابتسـامته متجمـدة علـى وجهه، يحـاول أن يتظاهـر بالسـعادة، لكـن ببسـاطة لـم يكن باسـتطاعته فعل ذلك طيلة ما تبقى من حياته.

قال سيغوردور أولي بازدراء مجدداً: «علم النفس!».

قرع جرس باب أول سيدة يزورها في بارماهليد، وطرح السؤال بأفضل طريقة مواربة ممكنة، لكنه فشل في ذلك بشكل ذريع قبل أن يدرك الأمر، وفي لحظة ارتباك سأل هذه السيدة إن كانت قد تعرضت للاغتصاب.

أجابت السـيدة التي غطت وجهها بطبقة من مسـاحيق التجميل، وزينـت أصابعهـا بالحلـي، وأمـارات الاسـتغراب باديـة على وجهها:

«ما الذي تتكلم عنه بحق السماء؟ من أنت؟ ما الذي ترمي إليه بسؤالك؟».

قال سيغوردور أولي: «لا شيء، آسف»، ثم نزل مسرعاً على الدرج مغادراً منزلها في ثوانٍ قليلة.

كانت إيلينبورغ أكثر حظاً، لأنها كانت تركّز أكثر على عملها، ولم تكن تخجل من الدردشة لكسب ثقة الناس، كان اختصاصها الطهو، وكانت طاهية متمكّنة بشكل استثنائي ولا تجد صعوبة في إجراء حوار ما، إذا سنحت لها فرصة كانت تسأل عن الرائحة الرائعة التي تأتي من المطبخ، وكان الناس الذين يعيشون على الذرة وحدها يرحبون بها خلال زيارتها لمنازلهم.

كانت تتناول فنجاناً من القهوة في غرفة جلوس من شقةٍ في بريدهولت [ضاحية شرق ريكيافيك] عند سيدة من هوسافيك، تدعى سيغورلوغ أرملة، وأم لولدين راشدين، وكان اسمها وارداً على لائحة إيلينبورغ، كانت قد وجدت أن صياغة السؤال الحسّاس أمر سهل وطلبت إلى الناس الذين قابلتهم أن يتصلوا بها إذا سمعوا شيئاً في محيطهم، أو شائعات من هوسافيك.

«... ولهذا نبحث عن امرأة في مثل عمرك من هوسافيك ربما تعرفت إلى هولبرغ في ذلك الوقت وقد تكون واجهت متاعب معه».

قالت المرأة: «لا أتذكر أحداً يدعى هولبرغ من هوسافيك. أي نوع من المتاعب تقصدين؟».

قالت إيلينبورغ: «لم يمكث هولبرغ في هوسافيك إلا قليلاً، لهذا قد لا تتذكرين شيئاً عنه، لم يعش هناك إطلاقاً، ولكنه اعتدى جسدياً

على امرأة في البلدة قبل بضع عقود ونحاول معرفتها».

«لا بد أنكم تحتفظون بذلك في سجلاتكم».

«لم يتم التبليغ عن الاعتداء أبداً».

«أي نوع من الاعتداء؟».

«اغتصاب».

وضعت المرأة بشكل عفوي يدها على فمها واتسعت عيناها حتى أصبحتا بحجم صحنين لفنجاني قهوة.

قالت: «يا إلهي! لا أعرف شيئاً عن ذلك. اغتصاب! يا إلهي! لم أسمع أبداً شيئاً مماثلاً».

قالت إيلينبورغ: «لا، يبدو أنه كان سراً دفيناً». تفادت ببراعة وابلاً من أسئلة المرأة التي أرادت أن تعرف التفاصيل، وتكلمت عن تحقيقات أولية ومجرد إشاعات. قالت بعد ذلك: «أتساءل، ربما تعرفين أحداً قد يعرف شيئاً عن القضية». زوّدتها المرأة باسمي صديقتين لها من هوسافيك، وقالت إنهما لا تفوّتان شيئاً أبداً. سجّلت إيلينبورغ اسميهما، جلست قليلاً حتى لا تبدو فظّة، ثم غادرت المكان.

كان إرلندور قد أُصيب بجرح في جبينه وضع عليه لصوقاً. كان أحد زائريه في الليلة الماضية قد سقط على الأرض يصرخ ألماً، بعد أن أطبق إرلندور الباب على ركبته. حدّق الآخر مندهشاً من تلك المعاملة ولم يعرف كيف دفعه إرلندور دون تردد، على الدرج. لكنه تمكّن من الإمساك بالدرابزين وحمى نفسه من السقوط إلى الأسفل. لم يرغب العراك مع إرلندور الذي كان يقف في أعلى السلالم، وقد ظهرت كدمة على جبينه؛ نظر للحظة إلى رفيقه يستلقي على الأرض يجأر من الألم، ثم أعاد بصره إلى إرلندور، وقرّر أن ينجو بنفسه، لم

يتجاوز العشرين من عمره.

اتصل إرلندور بالإسعاف وبينما كانا ينتظران السيارة اكتشف ماذا كان الرجلان يريدان من إيفا ليند. تردّد الرجل في البداية، لكن عندما عرض إرلندور إلقاء نظرة على ركبته أصبح أكثر تعاوناً؛ كانا محصّلي ديون. وإيفا ليند تدين بالمال وبالممنوعات لرجل لم يكن إرلندور قد سمع عنه من قبل.

لم يفسّر إرلندور سبب لصاقته لأي شخص عندما ذهب إلى العمل في اليوم التالي، ولم يجرؤ أحد سؤاله بشأنها. كان الباب على وشك أن يجعله يفقد وعيه عندما ارتدّ عن ركبة محصّل الديون وضربه على رأسه. كان جبينه لا يزال يؤلمه، انتابه القلق بشأن إيفا ليند، وجافاه النوم معظم تلك الليلة، غفا في الكرسي قرابة الساعة، وكان يأمل عودة ابنته قبل أن يخرج الوضع عن السيطرة. بقي في مكتبه مدة تكفي فقط ليعرف أن غريتار كانت له شقيقة وأن والدته لا تزال على قيد الحياة، تعيش في دار غرند للمسنين.

سبق له أن أخبر ماريون بريم أنه لم يكن يبحث عن غريتار على وجه الخصوص، لكنه لم يظن يوماً أن لا فائدة ترجى من معرفة المزيد عنه. كان غريتار في الحفل ليلة اغتصاب كولبرون. ربما كان يتذكر شيئاً من تلك الليلة، ولو تفصيلاً صغيراً. لم يكن إرلندور يتوقع اكتشاف أي شيء جديد بشأن اختفائه، وربما كان غريتار يرقد بسلام ولا يهتمّ لذلك، لكنه سيكون مهتماً بأشخاص مفقودين منذ وقت طويل. كانت خلف كل واحد منهم قصة مرعبة، لكن بالنسبة إليه كان هناك أيضاً شيء مبهم بشأن الناس الذين يختفون دون أثر ولا أحد يعرف السبب.

كانت والدة غريتار تبلغ التسعين من عمرها وكفيفة. تكلم

إرلنـدور بإيجـاز إلـى مديـر الـدار الذي وجد صعوبة في اسـتيعاب ما يطلبه منه، وأخبره أن ثيودورا إحدى أقدم نزلائه، كانت عضواً فاعلاً في المجتمع بكل المقاييس، محبوبة وموضع إعجاب الموظفين وكل شخص آخر.

تم اصطحاب إرلندور لرؤية ثيودورا وتقديمه إليها، كانت المرأة العجـوز تجلـس فـي كرسـي مدولب فـي غرفتها، ترتدي عباءة منزلية، كانت مغطاة ببطانية صوفية، ضفائر شـعرها الرمادي الطويل تنسـدل على ظهر الكرسي، كان جسدها مقوساً، يداها هزيلتين ووجهها رقيقاً. لا ممتلـكات شـخصية كثيـرة فـي ذلك المـكان. علّقت صورة مؤطرة لجون ف. كينيدي فوق سـريرها. جلس إرلندور في كرسـي أمامها، نظر إلى عينيها اللتين لم تعد تسـتطيع الرؤية بهما، وقال إنه يريد أن يتكلم عن غريتار. كان سمعها يبدو جيداً وكان ذهنها صافياً. لا تبدو عليهـا أي علامـة دهشـة لكنهـا دخلت مباشـرة فـي صلب الموضوع. اسـتطاع إرلندور أن يعرف أنها من سـكاغافوردور [بلدة عند مضيق بحري شمالي أيسلندا]، عندما تكلمت بلهجة شمالية ثقيلة.

قالت: «لم يكن ابني غريتار رجلاً طيباً، الحقيقة أنه كان بائسـاً كريهـاً، لا أعـرف مـن أيـن جـاء بتلـك الصفات. بائس وضيع يتسـكع مـع كثيـر مـن البائسـين، المجرمين، والمدانيـن المطلوبين. هل عثرتم عليه؟».

قال إرلندور: «لا. لقي أحد أصدقائه حتفه مؤخراً. هولبرغ، ربما سمعت به».

«لا أعرف. لقد قُتل كما تقول؟».

شـعر إرلنـدور بالسـعادة لأول مـرة منـذ وقـت طويل رأى سـبباً للابتسام.

«في منزله. كانا يعملان معاً في الأيام الخوالي، هولبرغ وابنك. في هيئة الموانئ والمنارات».

«آخر مرة رأيت غريتار فيها، وكنت لا أزال أتمتع ببصر معقول آنـذاك، كانـت عندمـا جـاء إلى المنزل لرؤيتي في الصيف الذي شـهد إقامة الاحتفال الوطني، وسرق بعض المال من محفظتي وقطعة فضّة. لم أكتشف اختفاء المال إلا بعد مغادرته. ثم اختفى غريتار نفسه، كأنه سُرق أيضاً، هل تعرف من سرقه؟».

قال إرلندور: «لا. هل تعرفين ما الذي كان يفعله قبل أن يختفي؟ من كان على اتصال معه؟».

قالـت المـرأة العجـوز: «لا أعـرف أبـداً مـا كان غريتـار يفعلـه. أخبرتكم بهذا في ذلك الوقت».

«هل كنت تعرفين أنه يلتقط صوراً؟».

«نعم. كان يلتقط صوراً، كان دائماً يلتقط تلك الصور، لا أدري السبب، قال لي مرة إن الصور مرايا الزمن، لكنني لم أفهم عمّا كان يتحدث».

«ألم تكن تلك ثقافة رفيعة المستوى بالنسبة إلى غريتار؟».

«لم أسمعه أبداً يتكلم بتلك الطريقة».

كان آخر عنوان له في بيرغستاداستريتي [منطقة] حيث استأجر غرفة.

«هل تعرفين ما حلّ بمقتنياته، آلة التصوير والأفلام، هل تعرفين ذلك؟».

قالـت ثيـودورا: «ربمـا ابنتـي كلارا تعرف، كانـت تنظّف غرفته، ربما تخلصت من كل تلك النفايات، على ما أظن».

نهض إرلندور وتبعت حركاته برأسـها. شـكرها على مسـاعدتها،

قـال إنهـا كانـت مفيـدة للغاية وأراد أن يمدحها على مظهرها الحسـن وصفـاء ذهنهـا، لكنـه لـم يفعـل، لـم يـرد أن يعاملها بفوقيـة. نظر إلى الجـدار فـوق سـريرها إلـى صـورة كينيـدي ولـم يتمكّن من منع نفسـه عن سؤالها.

قال وهو ينظر إلى عينيها الكفيفتين: «لماذا تعلّقين صورة كينيدي فوق سريرك؟».

تنهّـدت ثيـودورا: «آه، كنـت معجبـة جـداً به عندما كان على قيد الحياة».

21

كانـت الجثـث ملقـاةً جنبـاً إلى جنب على طاولات معدنية باردة في المشرحة في بارونستيغور [منطقة]. حاول إرلندور إبعاد تفكيره عن الطريقـة التـي كان قـد جمـع فيهـا الأب والابنة معاً جثتين. كان قد تم إجراء تشريح واختبارات على جثة هولبرغ آنذاك، لكنها كانت بحاجة إلى المزيد من الدراسات التي ستركز على أمراض وراثية وعلى علاقته بأودور. لاحظ إرلندور أن أصابع الجثة كانت سوداء. لا بد أن أحداً أخذ البصمات بعد موته. كانت جثة أودور ملفوفة بقماش كفن أبيض على طاولة إلى جانب هولبرغ. لم يكن أحد قد مسها بعد.

لم يكن إرلندور يعرف أخصائي علم الأمراض ولم يسبق له أن رآه مـن قبـل. كان طويـلاً، ويـداه كبيرتيـن. كان يضع قفازاً بلاسـتيكياً رقيقاً، يرتدي مئزراً أبيضَ فوق رداء أخضر مربوط من الخلف، وبنطالاً أخضـر مـن القمـاش نفسـه. كان يضـع كمّامـة على فمـه ويعتمر قبعة بلاستيكية زرقاء على رأسه وينتعل حذاءً أبيضَ.

كان إرلنـدور قـد ذهـب مـراراً إلى المشـرحة من قبل، لكنه رغم ذلك، يشعر بالغثيان كلما وُجِد هناك. كانت رائحة الموت تملأ رئتيه وتستقر في ملابسه، رائحة الفورمالين [محلول الفورمالديهايد المائي] والمعقّمات والجثث المخيفة المفتوحة. كانت مصابيح نيون سـاطعة تتدلـى مـن السـقف، تلقـي بضـوء أبيض صافٍ فـي الغرفة الخالية من النوافـذ. كانـت هنـاك قطـع آجر بيضـاء كبيرة على الأرض، والجدران مكسـوة بالآجـر جزئيـاً، والنصـف الأعلى منهـا مدهون بطلاء مطاطي

أبيـض، كانـت تسـتند إليهـا طـاولات تحمل مجاهر ومعـدّات أبحاث أخـرى. إلـى جانـب الجـدران عـدّة خزائـن، بعضهـا بأبـواب زجاجية تكشف عن أدوات وقوارير يجهل إرلندور محتوياتها. على كل حال، كان يفهم حقاً وظيفة المشارط، الملاقط والمناشير المصفوفة بشكل أنيق على طاولة معدّات طويلة.

لاحـظ إرلنـدور بطاقـة عطـر تتدلى من مصباح نيون فوق إحدى طاولتي التشريح، ظهرت عليها فتاة ترتدي بيكني أحمر، وتجري على شاطئ رملي أبيض. وُضِعَت مسجلة على إحدى الطاولتين وعدّة شرائط إلى جانبها. كانت تصدح منها موسـيقى كلاسـيكية لمالر [غوسـتاف، ملحن وقائد أوركسترا نمساوي]، كما ظنّ إرلندور. كانت علبة غداء الأخصائي بعلم الأمراض على طاولة إلى جانب أحد المجاهر.

قال أخصائي علم الأمراض: «لم يعد يصدر عنها أي رائحة منذ وقـت طويـل، لكـن جسـدها لا يزال بحـال جيدة»، ونظر إلى إرلندور الـذي كان يقـف إلـى جانـب البـاب متـردداً في دخـول حجرة الموت والتشريح المضاءة بأنوار ساطعة.

قال إرلندور من دون أن يرفع نظره عن الكفن الأبيض: «ها؟». كانـت هنـاك نبـرة توقّـع جـذل في صوت أخصائـي علم الأمراض لم يفهمها.

قـال أخصائـي علـم الأمـراض بإيمـاءة إلى بطاقـة العطر: «أعني الفتاة بالبيكني. يجب أن آتي ببطاقة جديدة. ربما لسـت معتاداً على الرائحـة أبـداً. ادخـل، لا تخـف، إنه مجرد لحم». لوّح بالسـكين فوق جثـة هولبـرغ. «لا روح، لا حيـاة، وإنمـا مجـرد جثـة مـن اللحم. هل تعتقد بالأشباح؟».

قال إرلندور مجدداً: «ها؟».

«هل تظن أن روحيهما تراقبنا؟ هل تظن أنهما تحومان في أرجاء الغرفة هنا؟ أم تظن أنهما قد استقرتا في جسدين آخرين؟ جرى تقمصهما. هل تعتقد بالحياة بعد الموت؟».

ردّ إرلندور: «لا، لا أعتقد».

«مات هذا الرجل نتيجة ضربة قوية على الرأس ثقبت فروة رأسه، حطّمت جمجمته وشقّت دماغه. يبدو لي أن الشخص الذي وجّه الضربة إلى رأسه كان يقف بمواجهته. ليس مستبعداً أنهما كانا ينظران إلى عينيّ بعضهما. المهاجم على الأرجح أيمن، لأن الجرح على الجانب الأيسر. وهو بحال جسدية جيدة، يافع أو في منتصف العمر على الأكثر، ولا يمكن أن تكون امرأة، إلا إذا كانت تقوم بعمل يدوي. يبدو أن الضربة قضت عليه مباشرة، لا بد أنه قد رأى النفق والأضواء الساطعة».

قال إرلندور: «يبدو على الأرجح أنه قد سلك الطريق الآخر».

«حسنٌ. الأمعاء خاوية تقريباً، فيها بقايا بيض وقهوة، والمستقيم ممتلئ، كان يعاني من إمساك. ليس أمراً غريباً في مثل هذا العمر. لم يكن أحد قد طالب بالجثة، كما فهمت، لهذا تقدمنا بطلب للحصول على إذن للاستفادة منها لأغراض تعليمية. ما هو شعورك حيال ذلك؟».

«إذاً سيكون أكثر فائدة ميتاً مما كان عليه حياً».

نظر أخصائي علم الأمراض إلى إرلندور، مشى إلى طاولة، وأمسك قطعة لحم حمراء من صينية معدنية ورفعها بيده.

قال: «لا يمكنني تحديد ما إذا كان الناس طيبين أو أشراراً. قد يكون هذا ببساطة قلب قدّيس. ما يجب أن نكتشفه، إذا كنت قد فهمتك بشكل صحيح، هو ما إذا كان يضخ دماً فاسداً».

نظر إرلندور بدهشة إلى أخصائي علم الأمراض، وهو يحمل قلب هولبرغ ويفحصه. راقبه يمسك العضلة الميتة كأن ذلك شيئاً مألوفاً تماماً في الحياة.

تابع أخصائي علم الأمراض قائلاً: «إنه قلب قوي، كان باستطاعته أن ينبض لسنوات عديدة أخرى، ويجعل صاحبه يتجاوز المئة».

أعاد أخصائي علم الأمراض القلب إلى الصينية المعدنية.

«هناك شيء مثير جداً للاهتمام في هولبرغ هذا، على الرغم من أنني لم أفحصه على وجه الخصوص في ما يتعلق بذلك الأمر. سترغب على الأرجح في أن أفعل ذلك. كانت لديه أعراض متنوعة غير ظاهرة لمرض محدد، عثرت على ورم صغير في دماغه، ورم حميد كان سيتعبه قليلاً، وهناك طفحٌ ظاهرٌ على جلده، خاصة تحت ذراعيه».

قال إرلندور: «طفحٌ ظاهرٌ؟».

«طفحٌ ظاهرٌ هو الاسم في الكتب، تبدو مثل بقع قهوة، هل تعرف شيئاً عن ذلك؟».

«لا شيء على الإطلاق».

«سأعثر بالتأكيد على المزيد من الأعراض عندما أعاينه عن كثب».

«كان هناك حديث عن طفحٍ ظاهرٍ على الفتاة. كانت تعاني من ورم دماغي خبيث. هل تعرف نوع المرض؟».

«لا يمكنني قول شيء عنه بعد».

«هل نتكلم عن مرض وراثي؟».

«لا أدري».

ذهب أخصائي علم الأمراض إلى الطاولة التي تحمل أودور.

سأل: «هل سمعت قصة أينشتاين [صاحب نظرية النسبية]؟».

قال إرلندور: «أينشتاين؟».

«ألبرت أينشتاين».

«أي قصة؟».

«قصة عجيبة حقاً. توماس هارفي [الطبيب الذي قام بتشريح جثة أينشتاين]؟ ألم تسمع به أبداً؟ أخصائي علم الأمراض».

«لا».

تابع أخصائي علم الأمراض كلامه: «كان أينشتاين قائماً على عمله عندما توفي. فقام بتشريح جثته أخصائي علم أمراض، وكان رجلاً فضولياً. ولأن المُتوفى كان أينشتاين لم يتمكّن من مقاومة الإغراء ففتح رأسه ونظر إلى الدماغ. وفعل أكثر من ذلك. سرق دماغ أينشتاين».

لم يقل إرلندور شيئاً. لم يكن يفقه شيئاً مما كان أخصائي علم الأمراض يتكلم عنه.

«أخذه إلى منزله. كان لديه ذلك الحافز الغريب للحصول على أشياء يمتلكها بعض الناس، خاصة إذا كانوا أشخاصاً مشهورين. فقد هارفي عمله عندما اكتُشفت السرقة، وبمرور السنوات أصبح شخصاً غامضاً، وأسطورة حقاً، شاعت كل أنواع القصص عنه، كان يحتفظ بالدماغ في منزله دائماً ولا أعرف كيف أفلت بذلك. كان أقرباء أينشتاين يحاولون دائماً استعادة الدماغ منه، لكن عبثاً ومن دون جدوى. أخيراً في شيخوخته تصالح مع أقرباء أينشتاين وقرّر إعادة الدماغ إليهم. وضعه في صندوق سيارته وقادها عبر أميركا إلى حفيدته في كاليفورنيا».

«هل هذه حقيقة؟».

«حقيقة مثل ضوء النهار».

سأل إرلندور: «لماذا تخبرني بهذا؟».

رفع أخصائي علم الأمراض الملاءة عن جثة الطفلة ونظر تحتها.

قال وقد اختفت نظرة عدم المبالاة عن وجهه: «دماغها مفقود».

«ماذا؟».

قال أخصائي علم الأمراض: «الدماغ ليس موجوداً في مكانه».

22

لم يفهم إرلندور مباشرة ما قاله أخصائي علم الأمراض، نظر إليه كأنه لم يسمعه، لم يدرك ما تكلم عنه، للحظة نظر إلى الأسفل إلى الجثة، ثم رفع بصره بسرعة مجدداً عندما رأى عظمة من يد صغيرة تبرز من تحت الملاءة. لم يظن أن باستطاعته تحمّل مشهد ما كان يوجد تحتها. لم يرغب في معرفة ما آلت إليه رفاة الفتاة الدنيوية. كما لم يرغب في أن تعاوده تلك الصورة كلَّما فكّر فيها.

قال أخصائي علم الأمراض: «لقد تم تشريحها من قبل».

تأوه إرلندور: «هل الدماغ مفقود؟».

«خضعت لتشريح من قبل».

«نعم، في مستشفى كيفلافيك».

«متى توفيت؟».

قال إرلندور: «1968».

«وإذا كنت قد فهمت بشكل صحيح، كان هولبرغ والدها، لكنهما لم يعيشا معاً».

«من والداها؟».

«لم يكن للفتاة سوى والدتها».

تابع أخصائي علم الأمراض كلامه: «هل تم الحصول على إذن باستخدام أعضائها لأغراض البحث العلمي؟ هل تعرف شيئاً عن ذلك؟ هل منحت الأم ذلك الإذن؟».

قال إرلندور: «لم تفعل ذلك».

«ربمـا أُخـذ دون إذنهـا. مـن كان يعتنـي بهـا عندمـا توفيت؟ من كان طبيبها؟».

قـال إرلنـدور إنـه فرانـك. أطبـق الصمـت علـى أخصائـي علـم الأمراض بعض الوقت.

«يسعني القول إن مثل تلك الحوادث مألوفة بالنسبة إليّ. يُسأل الأقرباء أحياناً إن كان ممكناً نزع الأعضاء لأغراض البحث العلمي. يُسألون باسم العلم، بالطبع لأننا نحتاج إلى تلك الأعضاء للأبحاث. أعرف حالات مشابهة، فعندما لا يوجد أقرباء من الدرجة الأولى، يتم نـزع أعضـاء للأبحـاث قبـل دفن الجثة. لكنني لا أعرف حالات كثيرة لسرقة أعضاء رغم استشارة الأقرباء».

تابع إرلندور تساؤله: «كيف يعقل أن الدماغ مفقود؟».

«تم نشر الرأس نصفين وانتُزع الدماغ قطعة واحدة».

«لا، أعني...».

تابـع أخصائـي علـم الأمـراض كلامـه: «عمـل دقيـق. قـام بـه شخص ماهر. لقد قطع النخاع الشوكي، والعنق من الخلف، وأخرج الدماغ».

قـال إرلنـدور: «أعـرف أن الدمـاغ فُحـص للتأكد من وجود ورم فيه. هل تعني أنهم لم يعيدوه إلى مكانه؟».

قـال أخصائـي علـم الأمـراض وهـو يغطـي الجثـة: «هـذا أحـد التفسيرات. إذا نزعوا الدماغ لفحصه سيكون صعباً عليهم إعادته في وقت مناسب لموعد الجنازة. كان يجب معالجته».

«معالجته؟».

«لجعله أفضل حالاً للعمل عليه. إنه يفسد مثل الجبن. تستغرق معالجة الأدمغة بعض الوقت».

«ألم يكن كافياً أخذ بعض العينات؟».

قال أخصائي علم الأمراض: «لا أدري، كل ما أعرفه هو أن الدماغ ليس في مكانه، مما يجعل من الصعب تحديد سبب الوفاة. ربما يمكننا فعل ذلك بإجراء اختبارات الحمض النووي الريبي على العظام. قد يخبرنا ذلك شيئاً».

فوجئ فرانك، وارتسمت على وجهه أمارات الدهشة عندما فتح الباب ورأى إرلندور واقفاً على الدرجات مجدداً تحت المطر الغزير.

قال إرلندور من دون أي استهلال: «لقد أخرجنا جثة الفتاة والدماغ مفقود. هل تعرف شيئاً عن ذلك؟».

قال الطبيب وهو يصطحب إرلندور إلى مكتبه: «أخرجتم جثتها؟ الدماغ؟ ماذا تعني أن الدماغ مفقود؟».

«ما أقوله. لقد تم انتزاع الدماغ، ربما لمعرفة سبب الوفاة، لكن لم تتم إعادته. كنت طبيبها، هل تعرف ما حدث؟ هل تعرف شيئاً عن الأمر؟».

«كنت طبيبها العام، كما أظن أنني شرحت لك في آخر مرة التقينا. كانت تحت إشراف مستشفى كيفلافيك والأطباء هناك».

«الشخص الذي قام بالتشريح مات. حصلنا على نسخة من تقرير أخصائي علم الأمراض المقتضب جداً والذي لا يذكر سوى ورم دماغي. ألم يكن كافياً أخذ عينات منه؟ هل كانوا مضطرين إلى نزع الدماغ كله؟».

هزّ الطبيب فرانك كتفيه لامبالياً. «لست واثقاً من ذلك». تردّد لحظة، ثم سأل: «هل هناك أعضاء أخرى مفقودة؟».

قال إرلندور: «أعضاء أخرى؟».

«إضافة إلى الدماغ، هل كان الوحيد المفقود؟».

«ماذا تعني؟».

«لا شيء آخر مفقود؟».

«لا أظن ذلك، لم يذكر أخصائي علم الأمراض أي شيء. ما الذي ترمي إليه؟».

نظر فرانك إلى إرلندور، مستغرقاً في تفكير عميق. «لا أظن أنك سمعت أحداً يذكر مدينة المرطبانات من قبل، أليس كذلك؟».

«أي مدينة مرطبانات؟».

«إنها مغلقة الآن، كما أظن، لكن ليس منذ وقت طويل في الواقع. كانت الغرفة تدعى مدينة المرطبانات».

«أي غرفة؟».

«في الطابق الأعلى في بارونستيغور، حيث يحتفظون بالأعضاء».

«تابع».

«كانوا يحتفظون بها في فورمالين ضمن مرطبانات زجاجية. كل أنواع الأعضاء التي يتم إرسالها إلى هناك من المستشفيات، للتدريس في كلية الطب. كانت تُخزّن في غرفة يدعوها طلاب الطب مدينة المرطبانات. أحشاء محفوظة، قلوب، أكباد، أطراف وأدمغة أيضاً».

«من المستشفيات؟».

«يموت الناس في مستشفيات، يتم تشريح جثثهم وفحص الأعضاء، لا يتم إعادتها دائماً، ويحتفظون ببعضها لأغراض تعليمية. في أحد الأوقات كان يتم تخزين الأعضاء في مدينة المرطبانات».

«لماذا تخبرني بذلك؟».

«قـد لا يبقـى الدمـاغ مفقـوداً إلـى الأبد. ربمـا لا يزال في مدينة المرطبانـات. العينـات التـي يتـم الاحتفاظ بهـا لأغراض تعليمية تُوثّق وتُصنّـف. مثـلاً، إذا أردت معرفـة مـكان الدمـاغ، هناك فرصة أمامك، ما زال باستطاعتك معرفة شيء عنه».

«لم أسمع أبداً عن هذا من قبل. هل تؤخذ الأعضاء من دون إذن، أم أنهم يحصلون على موافقة الأقرباء... ما هو الإجراء المتّبع؟».

هـزّ الطبيـب كتفيـه. «هـل تريـد الحقيقـة؟ لا أدري، عـادة الأمر منـوط بأمـور أخـرى، الأعضـاء مهمة للغاية للتعليم الطبي. تمتلك كل المستشفيات التعليمية مجموعات كبيرة من الأعضاء. كنت قد سمعت أن بعـض الأطبـاء الباحثيـن فـي المجال الطبي، يمتلكون مجموعاتهم الخاصة، لكن لا يمكنني تأكيد صحة ذلك».

«جامعو أعضاء؟».

«هناك مثل هؤلاء الناس».

«مـاذا حـدث لمدينـة المرطبانـات... تلـك؟ إذا لم تعد موجودة الآن».

«لا أدري».

«إذاً تظن أن الدماغ قد انتهى به الحال في ذلك المكان محفوظاً في فورمالين؟».

«بسهولة متناهية. لماذا أخرجت جثة الفتاة من القبر؟».

تنهّـد إرلنـدور: «ربمـا كانـت غلطـة، ربمـا القضيـة كلهـا غلطـة كبيرة».

23

عرفت إيلينبورغ عنوان كلارا، شقيقة غريتار. لم يثمر بحثها عن ضحية هولبرغ الأخرى، امرأة هوسافيك كما دعاها إرلندور، عن أي نتيجة. كل النساء اللواتي قابلتهن عبّرن عن رد الفعل نفسه: دهشة كبيرة وحقيقية تبعها اهتمام حماسي، اضطرت معه إيلينبورغ إلى الاستفادة من كل ما تعلّمته لتفادي الخوض في كل تفاصيل القضية. كانت تعرف أنها مهما شدّدت وأفراد الشرطة الآخرين الذين يبحثون عن المرأة على مدى حساسية القضية وعدم إمكانية مناقشتها مع أي شخص، إلا أن ذلك لن يمنع الإشاعات من الانتشار مثل النار في الهشيم مع حلول المساء.

استقبلت كلارا إيلينبورغ عند باب شقتها الأنيقة في ضاحية بريدهولت في مقاطعة سيلافيرفي، هي امرأة نحيلة في الخمسينيات من عمرها، شعرها داكن، ترتدي جينزاً وكنزة زرقاء. كانت تدخّن لفافة تبغ.

قالت كلارا عندما عرّفتها إيلينبورغ على نفسها ودعتها إلى الدخول، بكل ودّ واهتمام: «هل تكلمت إلى أمي؟».

قالت إيلينبورغ: «كان ذلك إرلندور الذي يعمل معي».

قالت كلارا: «قالت إنه لم يكن على ما يرام»، مشت أمام إيلينبورغ إلى غرفة الجلوس وطلبت إليها الجلوس. «تلاحظ دائماً أشياء لا يمكن فهمها».

لم تجبها إيلينبورغ.

قالت: «أنا لا أعمل اليوم»، كأنها تفسّر سبب وجودها في المنزل عند منتصف النهار، تدخّن لفائف تبغ. قالت إنها تعمل في وكالة سفر. كان زوجها في العمل، وقد طار الولدان من العش؛ قالت بفخر إن الابنة تدرس الطب، ثم أطفأت لفافة التبغ قبل أن تخرج أخرى وتشعلها. سعلت إيلينبورغ بلباقة، لكن كلارا لم تعر انتباهاً لذلك.

قالت كلارا كأنها تريد أن توقف نفسها عن ثرثرةٍ ليست ذات معنى: «قرأت عن هولبرغ في الصحف. قالت أمي إن الرجل سأل عن غريتار. كنا أخاً وأختاً غير شقيقين، نسيت أمي أن تخبره بذلك، نحن من الأم نفسها، توفي كلا والدينا قبل وقت طويل».

قالت إيلينبورغ: «لم نكن نعرف ذلك».

«هل تريدين رؤية الأشياء التي أخرجتها من شقة غريتار؟».

قالت إيلينبورغ: «إذا كنتِ لا تمانعين؟».

«كان جحراً قذراً ذاك الذي يعيش فيه. هل عثرتم عليه؟».

نظرت كلارا إلى إيلينبورغ وابتلعت بتعطّش الدخان إلى رئتيها.

قالت إيلينبورغ: «لم نعثر عليه، ولا أظن أننا نبحث عنه بشكل خاص». سعلت بلباقة مرة أخرى. «لقد مرّ أكثر من ربع قرن على اختفائه، لهذا...».

قاطعتها كلارا، وهي تنفث سحابة كثيفة من الدخان: «ليست لدي أي فكرة عمّا حدث، لم نكن على اتصال دائم، كان أكبر مني كثيراً، أنانياً، ومثيراً للمتاعب في الواقع. لا تستطيعين انتزاع كلمة منه، وكان يشتم أمي ويسرق من كلتينا إذا سنحت له الفرصة. ثم رحل عن المنزل».

سألت إيلينبورغ: «إذاً لم تتعرفي إلى هولبرغ؟».

«لا».

أضافت: «أو إيليدي».

«من إيليدي؟».

«لا عليك».

«لـم أعـرف الأشـخاص الذيـن كان يخرج غريتـار معهم. عندما اختفى اتصل بي شـخص يدعى ماريون بريم، واصطحبني إلى حيث كان يعيش. كان جحراً قذراً، رائحة مقززة في الغرفة، فالأرضية مغطاة بالقـاذورات، ورؤوس الأغنـام التـي لم ينهِ تناولها، واللفت المهروس العفن الذي كان يقتات عليه».

سـألت إيلينبـورغ: «ماريـون؟». لـم تكن تعمـل في إدارة البحث الجنائي منذ وقت طويل لتعرف الاسم.

«نعم، كان ذلك اسمه».

«هل تتذكرين آلة تصوير بين مقتنيات أخيك؟».

«كانـت الشـيء الوحيـد فـي الغرفة بحال سـليمة، أخذتها لكنني لم أسـتخدمها أبداً، كانت الشـرطة تظن أنها مسـروقة، احتفظت بها فـي غرفـة المـؤن فـي القبـو. هـل تريدين رؤيتها؟ هـل أتيت من أجل آلة التصوير؟».

سألت إيلينبورغ: «هل يمكنني إلقاء نظرة عليها؟».

وقفـت كلارا. طلبـت إلـى إيلينبـورغ الانتظـار لحظة، وذهبت إلى المطبـخ لتجلـب حلقـة مفاتيـح. خرجتـا إلـى الممر ثم نزلتـا إلى القبو. فتحـت كلارا البـاب وتقدمـت نحـو غرفة المؤن، أنارت الضوء، وذهبت لتفتح أحد الأبواب. في الداخل كانت أشياء قديمة مكدّسة في كل مكان؛ كراسٍ قابلة للطي، وأكياس نوم، معدّات تزلج وأدوات تخييم. لاحظت إيلينبورغ جهاز تدليك قدمين أزرق وآلة صنع مشروبات صودا.

قالـت كلارا بعـد أن شـقت طريقهـا إلـى الداخل، تجاوزت تلك الفوضى، وأصبحت في منتصف غرفة المؤن: «لقد وضعتها في علبة هنا». انحنت والتقطت علبة بنية صغيرة من الورق المقوّى. «وضعت كل مقتنيـات غريتـار فـي هـذه العلبـة، لم يكن يمتلك شـيئاً سـوى آلة التصوير تلك». فتحت العلبة وكانت على وشك إفراغها عندما أوقفتها إيلينبورغ.

قالت وهي تمدّ يديها لتأخذها: «لا تُخرجي أي شيء من العلبة». أضافت كأنها تشـرح لها: «لا تعرفين أبداً أهمية المحتويات بالنسـبة إلينا».

سـلّمتها كلارا العلبة وتعبيرٌ بالإرباك يظهر على وجهها. فتحتها إيلينبـورغ؛ كانـت تحـوي ثـلاث بطاقـات ورقية مهترئـة، مطواة، بضع قطع نقدية وآلة تصوير - كوداك انستاماتيك بحجم الجيب - تذكرت إيلينبورغ أنها كانت هدية عيد ميلاد أو تعميد شائعة قبل عدّة سنوات. لم تكن شيئاً جديراً بالملاحظة بالنسبة إلى شخص يحترف التصوير، لكنهـا كانـت بالتأكيـد تفـي بالغـرض. لم تـرَ أي أفلام في العلبة. كان إرلندور قد طلب إليها أن تتفقد بشكل خاص إن كان غريتار قد ترك خلفه أي أفلام. أخرجت منديلاً وشغلت آلة التصوير رأت أنه لا يوجد فيلم فيها. لم تكن هناك صور في العلبة أيضاً.

قالـت كلارا وهـي تشـير إلـى داخـل غرفـة المـؤن: «توجـد كل أنواع الصواني والسوائل هنا. أظن أنه كان يظهّر الصور بنفسه. هناك بعـض ورق التصويـر أيضـاً. لا بـد أنهـا عديمـة الجـدوى الآن، أليس كذلك؟».

قالت إيلينبورغ: «يجب أن آخذ ذلك أيضاً»، وعادت كلارا إلى داخل الفوضى.

سألت إيلينبورغ: «هل تعرفين إن كان يحتفظ بأصل الأفلام، أو هل رأيت أياً منها في شقته؟».

قالت كلارا وهي تنحني لإخراج الصواني: «لا، لا شيء».

«هل تعرفين أين يمكن أن يكون قد احتفظ بها؟».

«لا».

«إذاً هل تعرفين سر اهتمامه بالتصوير؟».

قالت كلارا: «حسنٌ، كان يستمتع به، على ما أظن».

«أعني الموضوعات: هل رأيتِ أياً من صوره؟».

قالت غير واثقة ما إذا كانت تكرّر كلامها: «لا، لم يعرض علي شيئاً أبداً. كما قلت، لم نكن على اتصال دائم، لا أعرف أين توجد صوره، كان غريتار متسكعاً شريراً»، ثم هزّت كتفيها لامبالية، كأنها قرّرت أنه لا يمكن قول أشياء مفيدة طيلة الوقت.

قالت إيلينبورغ: «أودّ أخذ هذه العلبة معي، آمل أنكِ لا تمانعين، سيتم إعادتها خلال وقت قصير».

سألت كلارا وهي تُظهر لأول مرة اهتماماً بتحقيق الشرطة والأسئلة عن أخيها: «ما الذي يجري؟. هل تعرفون أين غريتار؟».

شدّدت إيلينبورغ وهي تحاول أن تبدّد كل الشكوك: «لا. لم يظهر شيء جديد. لا شيء».

كان اسما المرأتين اللتين كانتا مع كولبرون ليلة اعتدى عليها هولبرغ موجودين في وثائق تحقيق الشرطة. وكان إرلندور قد أطلق بحثاً عنهما وتبين أن كلتيهما من كيفلافيك، لكن أياً منهما لم تعد تقيم هناك.

كانت إحداهما قد تزوجت أميركياً من قاعدة الناتو، بعد وقت

قصيـر مـن الحادثـة، وتقيـم فـي الولايـات المتحدة. أمّـا الأخرى فقد انتقلت من كيفلافيك إلى ستايكيشـولمور [بلدة غربي أيسـلندا] بعد خمـس سـنوات مـن ذلـك. تسـاءل إرلنـدور إن كان يجـب أن يمضي اليوم كله في رحلة غرباً إلى ستايكيشـولمور أو أن يتصل بها ويأمل أن يكون ذلك كافياً.

كانت لغة إرلندور الإنكليزية ضعيفة لهذا طلب إلى سيغوردور أولـي أن يعثـر علـى عنـوان المـرأة فـي أميركا. تكلم إلى زوجها الذي أخبره أنها توفيت قبل خمس عشـرة سـنةً بداء السـرطان، ودُفنت في أميركا.

اتصـل إرلنـدور بستايكيشـولمور، ولـم يجد صعوبة في الوصول إلـى المـرأة الثانيـة. اتصـل أولاً بمنزلها وقيل له إنها في العمل. كانت ممرضة في مستشفى هناك.

أصغت المرأة إلى أسئلة إرلندور، لكنها أسفت لأنها لم تستطيع مساعدته، لم يكن باستطاعتها مساعدة الشرطة في ذلك الوقت؛ لأن شيئاً لم يتغيّر.

قـال إرلنـدور: «لقـد قُتـل هولبـرغ، ونظـن أن لذلك علاقة بتلك الحادثة».

قـال الصـوت عبـر الهاتـف: «رأيـت ذلك في الأخبار. كان اسـم المـرأة آغنـس، حـاول إرلنـدور تصوّر شـكلها من صوتهـا. في البداية تخيل امرأة قوية حازمة في السـتينيات من عمرها، بدينة لأنها كانت تلهث. ثم لاحظ سـعالها بسـبب التدخين، فتغيرت صورة آغنس في ذهنـه وتحولـت إلـى امـرأة نحيلة مثل مدمـة، جلدها أصفر ومتغضن. كانت تسعل بصوت بشع أجش بفواصل منتظمة.

سأل إرلندور: «هل تتذكرين تلك الليلة في كيفلافيك؟».

قالت آغنس: «ذهبت إلى المنزل قبل ذلك».

«كان هناك ثلاثة رجال معكن».

«ذهبت إلى المنزل مع رجل يدعى غريتار، أخبرت الشرطة بهذا في ذلك الوقت، وجدت أنه من غير المريح أن أتكلم عن الأمر».

قال إرلندور وهو يقلّب التقارير أمامه: «لم أعرف أنك قد ذهبت إلى المنزل مع غريتار».

«أخبرتهم بذلك عندما طرحوا علي السؤال نفسه قبل كل تلك السنوات». سعلت مجدداً لكنها حاولت أن توفّر على إرلندور الأصوات التي تخرج من حلقها. «آسفة. لم أتمكن أبداً من الإقلاع عن التدخين اللعين، فشلت كل محاولاتي للإقلاع عن التدخين، أما غريتار، لم أره أبداً بعد ذلك».

«كيف تعرّفت وكولبرون إلى بعضكما؟».

«عملنا معاً. كان ذلك قبل أن أدرس التمريض، كنا نعمل في متجر في كيفلافيك أغلق أبوابه منذ وقت طويل. كانت تلك أول مرة، والوحيدة التي نخرج فيها إلى مكان معاً. أمرٌ مفهوم».

«هل صدّقت كولبرون عندما تكلمت عن اغتصاب؟».

«لم أسمع عن ذلك حتى ظهرت الشرطة فجأة أمام منزلي وبدأت تسألني عن تلك الليلة. لا يمكن أن أتخيل أنها قد تكذب بشأن شيء كهذا. كانت كولبرون محترمة جداً، كانت صادقة جداً في كل ما تفعله، رغم أنها كانت ضعيفة قليلاً، مرهفة وحسّاسة، لم تكن شخصية قوية. قد يكون قول ذلك أمراً غير مستحب، لكنها لم تكن من النوع المحب للمرح، إذا كنت تعرف ما أعني. لم تكن حياتها مليئة بالإثارة».

توقفت آغنس عن الكلام وانتظر إرلندور أن تبدأ مجدداً.

«لم تكن مغرمة بالخروج وكنت مضطرة إلى أن أتملّقها لتخرج

معي ومع صديقتي هيلغا في تلك الأمسية. انتقلت هيلغا إلى أميركا، لكنها قضت هناك قبل عدّة سنوات، ربما تعرف ذلك. كانت كولبرون متحفّظة جداً وتحب العزلة، وأردت فعل شيء من أجلها. وافقت على الذهاب إلى الحفل الراقص، ثم ذهبت معنا إلى شقة هيلغا بعد ذلك، لكنهـا أرادت أن تعـود إلـى منزلهـا بعـد وقت قصير من ذلك. غادرت قبلهـا لهـذا لا أعـرف حقـاً مـا حـدث هناك. لم تذهب إلى العمل يوم الاثنيـن، وأتذكـر أننـي اتصلـت هاتفيـاً بها، لكنها لم تجب. بعد بضعة أيـام جـاءت الشـرطة لتسـأل عـن كولبرون. لـم أعـرف بماذا يجب أن أفكّـر، لـم ألاحـظ شـيئاً يوحـي أن هولبـرغ لم يكن طبيعياً آنذاك، كان لطيفاً جداً، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح. تفاجأت كثيراً عندما بدأت الشرطة تتكلم عن اغتصاب».

قـال إرلنـدور: «الواضـح أنـه تـرك انطباعاً جيـداً، أظن أنه يمكن وصفه برجل يحترم السيدات».

«أتذكر أنه جاء إلى المتجر».

«هو؟ هولبرغ؟».

«نعم، هولبرغ. أظن أنهم جلسوا معنا تلك الليلة لذلك السبب. ذكـر إنـه كان محاسـباً مـن ريكيافيـك، لكـن تلك كانـت مجرد كذبة، أليس كذلك؟».

«كانـوا جميعـاً يعملـون لصالح هيئة الموانئ والمنارات. أي نوع من المتاجر عملتنّ فيه؟».

«متجر ألبسة، كنا نبيع ثياباً نسائية، ملابس داخلية أيضاً».

«وجاء إلى المتجر؟».

«نعم. قبل يوم. كان ذلك نهار الجمعة. كان يجب أن استعرض كل هـذا فـي ذلـك الوقـت ومـا زلـت أتذكره جيداً. قال إنه يبحث عن

شيء لزوجته، ساعدته وعندما التقينا في الحفل الراقص تصرّف كأننا نعرف بعضنا».

«هـل اتصلـت بكولبـرون بعـد الحادثة؟ هل تكلمتِ معها بشـأن ما حدث؟».

«لم تعد إلى المتجر أبداً ولم أعرف ما حدث حتى بدأت الشرطة تستجوبني. لم أكن أعرفها جيداً، حاولت الاتصال بها عدّة مرات عندما انقطعـت عـن العمـل، ذهبـت إلـى حيث كانت تعيش مـرة، لكنني لم أجدها هناك، لم أرغب في التدخل كثيراً، كانت من النوع الغامض. ثم جاءت شقيقتها وقالت إن كولبرون قد استقالت من وظيفتها، سمعت أنهـا توفيـت بعـد بضع سـنوات، بحلـول ذلك الوقت كنت قد انتقلت إلى ستايكيشولمور. هل كان ذلك انتحاراً؟ ذلك ما سمعته».

قال إرلندور: «لقد توفيت»، وشكر آغنس بتهذيب لأنها تكلمت معه.

تحوّلـت أفـكاره إلـى رجـل يدعـى سـفين كان يقرأ عنه. نجا من عاصفة في موسفلشيدي. لا يبدو أن معاناة وموت رفاقه قد أثرتا كثيراً علـى سـفين. كان الرحّالـة الأفضـل تـزوّداً بالمعـدّات، والوحيد الذي وصل إلى الحضارة سـليماً معافى، أول شـيء فعله بعد أن اعتنوا به في أقرب مزرعة إلى البراح هو ارتداء مزلاجين والاسـتمتاع بالتزلج على بحيرة قريبة.

في الوقت نفسه كان رفاقه يتجمّدون حتى الموت في البراح.

بعد ذلك لم يعد أحد يدعوه سوى سفين عديم الروح.

24

لـم يكـن البحـث عـن تلك المرأة من هوسـافيك قد أثمر شـيئاً. عندما جلس سيغوردور أولي وإيلينبورغ عند حلول المساء في مكتب إرلندور لمناقشة الأمر قبل الذهاب إلى المنزل. قال سيغوردور أولي إنـه لـم يكـن متفاجئـاً، وإنهـم لـن يعثـروا أبداً على تلـك المرأة بتلك الطريقـة. فسـأله إرلنـدور بتذمـر إن كان يعـرف طريقـة أفضـل، هـزّ رأسه.

قالت إيلينبورغ وهي تحدّق إلى إرلندور: «لا أشعر أننا نبحث عن قاتل هولبرغ، كأننا نبحث عن شيء مختلف تماماً لا أعرف ما هو؛ لقد أخرجَت جثة الفتاة من القبر، وليسـت لدي أي فكرة عن السـبب، لقـد بـدأت البحـث عـن رجل اختفـى قبل جيل، والذي لا أرى أي علاقة له بالقضية. لا أظن أننا نطرح على أنفسـنا السـؤال الواضـح: هـل كان القاتـل شـخصاً مقرّبـاً مـن هولبرغ أو غريباً عنه، هل اقتحم شـقته بنية السـرقة. شـخصياً أظن أن ذلك هو التفسـير الأكثر ترجيحاً، أظن أننا يجب أن نكثّف البحث عن ذلك الشخص المدمن الذي يرتدي السـترة العسـكرية الخضراء. لم نقم بأي جهد بهذا الخصوص».

قال سيغوردور أولي: «ربما كان شخصاً يدفع له هولبرغ مقابل خدماته. مع كل تلك الأفلام الخلاعية في حاسوبه، هناك فرصة جيدة للظنّ أنه كان يدفع مقابل الجنس».

جلـس إرلنـدور يتحمـل الانتقـاد صامتاً ويحدّق إلى جحره. كان

يعرف أن معظم ما قالته إيلينبورغ كان صحيحاً. ربما لم يكن حكمه حصيفاً نتيجة قلقه على إيفا ليند. لم يكن يعرف مكانها، أو حالها، كان يطاردها أشخاص يريدون إلحاق الأذى بها، ولم يكن باستطاعته مساعدتها، لم يخبر أيّاً من سيغوردور أولي أو إيلينبورغ ما كشفه له أخصائي علم الأمراض.

قال: «لدينا الملاحظة. ليست مصادفة أننا عثرنا عليها مع الجثة».

فُتح الباب فجأة وأطلّ الطبيب الشرعي برأسه. قال: «سأذهب. أردت فقط أن أقول لكم إنهم لا يزالون يفحصون آلة التصوير وسيتصلون بكم حالما يجدون شيئاً يستحق الإبلاغ عنه».

أغلق الباب خلفه من دون أن يودّعهم.

قال إرلندور: «ربما كانت القشور تُلهينا عن اللب، ربما وجدنا حلاً بسيطاً للقضية، ربما كان الفاعل معتوهاً ما، لكن ربما، وهذا ما أظن، للجريمة جذور أعمق بكثير مما ندرك. ربما ليس هناك شيء بسيط بشأنها، ربما يكمن التفسير في شخصية هولبرغ وما فعله في ماضيه».

توقف إرلندور قليلاً ثم قال: «والملاحظة. أنا هو. ماذا تريدان أن تفعلا بشأنها؟».

قال سيغوردور أولي وهو يرسم علامتي استفهام بأصابعه: «قد تكون من صديق ما، أو زميل عمل. لم نعمل كثيراً على تلك الاحتمالات. لا أدري إلى أين يقودنا هذا البحث عن نساء عجائز، لا أعرف سبيلاً لسؤالهن إن كن قد تعرّضن لاغتصاب دون أن أتلقى ضربة على الرأس بشوبك [مرقاق عجين]».

قالت إيلينبورغ: «ألم يكذب إيليدي بذلك الشكل من قبل في حياته؟ أليس ذلك بالضبط ما يريده؟ يريد أن يجعلنا نبدو كأغبياء؟ هل فكّرت في ذلك؟».

قال إرلندور كأنه لا يستطيع الإصغاء إلى ذلك الإزعاج لمدة أطول: «آه، بالله عليكما، لقد قادنا التحقيق في هذا الاتجاه، سيكون من الخطأ ألا نحقق في الأدلّة التي نمتلكها، بغض النظر عن مصدرها. أعرف أن الجرائم الأيسلندية ليست معقّدة، لكن هناك شيئاً في هذه الجريمة لا يتناسب مع ذلك، إذا أردتما ربطها فقط بالصدفة. لا أظن أنه عمل وحشي دون تخطيط».

رنّ الهاتف على مكتب إرلندور. أجاب، أصغى السمع قليلاً، ثم أومأ وقال شكراً قبل أن يعيد سمّاعة الهاتف إلى مكانها. كانت شكوكه قد تأكّدت.

قال وهو ينظر إلى إيلينبورغ وسيغوردور أولي: «الطب الشرعي، استُخدمت آلة تصوير غريتار لالتقاط صورة قبر أودور في المقبرة. التقطنا صورة باستخدام آلة التصوير تلك وظهرت خدوش من النوع نفسه عليها. لهذا نعرف الآن أن هناك على الأقل احتمالاً قوياً أن يكون غريتار التقط الصورة. ربما استخدم شخص آخر آلة تصويره، لكن الاحتمال الأول أكثر ترجيحاً».

سأل سيغوردور أولي وهو ينظر إلى الساعة: «وبماذا يفيدنا ذلك؟». كان قد دعا بيرغثورا إلى تناول الطعام خارج المنزل تلك الأمسية وكان ينوي التعويض عن عدم لباقته في عيد ميلاده.

«مثلاً، يخبرنا أن غريتار كان يعرف أن أودور هي ابنة هولبرغ، لم يكن كثير من الناس يعرفون ذلك، ويخبرنا أيضاً أن غريتار رأى سبباً خاصاً، أولاً، لتحديد مكان القبر، ثانياً، لالتقاط صورة له. هل فعل

ذلـك بنـاءً علـى طلـب هولبـرغ؟ هل فعل ذلك نكاية به؟ هل لاختفاء غريتـار صلـة بالصـورة؟ إذا كان الأمـر كذلك، كيف؟ ماذا كان غريتار يريد من الصورة؟ لماذا عثرنا عليها مخفية في طاولة هولبرغ؟ ما نوع الشخص الذي يلتقط صوراً لقبور أطفال؟».

راقبت إيلينبورغ وسيغوردور أولي إرلندور يطرح تلك الأسئلة، لاحظا كيف أن صوته تحول إلى همس بالكاد يسمعانه وكأنه اختفى داخل نفسه، في مكان ناءٍ وبعيد. وضع يده على صدره ومرّرها عليه بشكل عفوي، ربما من دون أن يدرك ما كان يفعله. نظر أحدهما إلى الآخر لكنهما لم يجرؤا على سؤاله.

قال إرلندور مجدداً: «أي نوع من الأشخاص يلتقط صوراً لقبور أطفال؟».

في وقت لاحق من تلك الأمسـية عرف إرلندور الرجل الذي كان قـد أرسـل محصّلـي الديـون إلـى إيفا لينـد. تلقى معلومات من شعبة الممنوعات التي كان لديها ملف كبير عنه، واكتشف أنه كان يتـردد علـى حانـة اسـمها نابليون، في مركـز المدينة. ذهب إرلندور إلى هناك وجلس قبالة الرجل. كان اسمه إيدي ويبدو في الأربعين من عمره، ممتلئاً وأصلع. أما أسنانه القليلة المتبقية فكانت صفراء اللون.

قال إيدي عندما جلس مع إرلندور: «هل كنت تتوقع أن تحظى إيفا بمعاملة خاصة لأنك شـرطي؟». بدا أنه عرف مباشـرة من يكون إرلندور، رغم أنهما لم يلتقيا أبداً من قبل. انتاب إرلندور شـعور أنه كان يتوقع مجيئه.

سـأل إرلنـدور: «هـل عثـرت عليهـا؟»، ونظـر في أرجـاء الغرفة المعتمـة إلـى عـدد مـن قليلي الحظ الجالسـين إلـى طاولات وتصدر

عنهم إشارات عصبية. فجأة أصبح لاسم الحانة أهمية في ذهنه.

قـال إيـدي: «أنـت تفهـم أننـي صديقها. أمنحها مـا تريده، أحياناً تدفـع إلـيّ. أحيانـاً يسـتغرق الأمـر وقتاً طويلاً، الرجـل الذي حطّمت ركبته يحييك».

«تقاعد بسببك».

قال إيدي وهو يشير إلى أرجاء الغرفة: «من الصعب العثور على أشخاص جديرين بالاحترام».

«كم تدين لك؟».

«إيفا؟ بمئتي ألف. ولا تدين لي وحدي».

«هل يمكننا عقد صفقة؟».

«كما تشاء».

أخرج إرلندور 20.000 كرونا، والتي كان قد حصل عليها من آلة صـرف نقـود فـي طريقـه إلى هناك، ووضعها على الطاولة. أخذ إيدي المال، عدّه بحرص ووضعه في جيبه.

«لا يمكنني إعطاءك المزيد قبل أسبوع أو نحو ذلك».

«ذلك رائع».

ألقى إيدي نظرة متفحّصة على إرلندور.

قال: «كنت أظن أنك ستتحفني ببعض الكلام».

قال إرلندور: «عمَّ؟».

قـال إيـدي: «أعـرف مكانهـا، لكنـك لـن تتمكّـن مـن إنقـاذ إيفا أبداً».

عرف إرلندور عنوان المنزل، كان قد ذهب إلى ذلك النوع من

المنازل من قبل للهدف نفسه. كانت إيفا ليند في منزلٍ تستلقي على فراش محاط بأشـخاص آخرين. كان بعضهم بمثل عمرها، وآخرون أكبـر سـناً منهـا بكثيـر. كان المنـزل مفتوحاً، والعقبـة الوحيدة لدخوله كانـت رجـلاً قـدّر إرلنـدور أن عمـره يقارب العشـرين سـنة، التقى به فـي المدخـل يلـوّح بذراعيـه، دفعـه إرلنـدور بقـوة إلى الجـدار ورماه خارجاً. كان مصباح كهربائي يتدلى من سقف إحدى الغرف، انحنى فوق إيفا وحاول إيقاظها، كان تنفسها منتظماً وعادياً، وضربات قلبها سريعة قليلاً. هزّها وصفعها بلطف على خدّها سرعان ما فتحت إيفا عينيها.

قالـت: «جـدّي»، وأغلقـت عينيهـا مجدداً. حملهـا بين يديه إلى خـارج الغرفـة، متوخيـاً الحـذر كـي لا يطأ الأجسـاد التي ترقد سـاكنة دون حـراك علـى الأرض. لـم يعـرف إن كانـوا مسـتيقظين أو نائمين. فتحت عينيها مجدداً.

همسـت: «إنها هنا»، لكن إرلندور لم يعرف عما كانت تتكلم، وتابع السير بإيفا إلى سيارته. كلما أسرع في إخراجها من ذلك المكان الموبوء، كان أفضل. أنزلها على قدميها ليفتح باب السيارة فاستندت إليه.

سألت: «هل عثرت عليها؟».

«أعثـر علـى مـن؟ مـا الذي تتكلمين عنه؟». وضعها على المقعد الأمامي، شـدّ إليها حزام الأمان، جلس في مقعد السـائق وكان على وشك أن ينطلق مبتعداً.

سألت إيفا ليند من دون أن تفتح عينيها: «هل هي معك؟».

صرخ إرلندور: «من، تباً؟».

قالت إيفا ليند: «العروس. الفتاة من غاردابير. كنت أستلقي إلى جانبها».

عـاد إرلنـدور فـوراً إلـى ذلـك المنزل، وحَمل فتـاة غاردابير إلى سـيارته وألقاهـا علـى المقعـد الخلفـي. وقـاد السـيارة بكلتيهمـا إلـى شقته.

25

استيقظ إرلندور أخيراً على رنين الهاتف، ظل يدوي في رأسه حتى فتح عينيه ونظر في أرجاء المكان المحيط به. كان قد نام على الكرسي في غرفة الجلوس. معطفه وقبعته على الأريكة. كان الظلام حالكاً في الشقة. وقف إرلندور على قدميه ببطء وتساءل إن كان سيرتدي الملابس نفسها ليوم آخر. لم يتذكر آخر مرة بدّل فيها ملابسه. نظر إلى غرفة النوم قبل أن يجيب على المكالمة، ورأى الفتاتين تستلقيان على سريره حيث وضعهما قبل ليلة. أغلق الباب.

قال سيغوردور أولي عندما أجاب إرلندور أخيراً عليه: «البصمات على آلة التصوير تتطابق مع تلك الموجودة على الصورة». كان عليه أن يكرّر الجملة مرتين قبل أن يدرك إرلندور ما كان يتكلم عنه.

«هل تعني بصمات غريتار؟».

«نعم، بصمات غريتار».

قال إرلندور: «وهل كانت بصمات هولبرغ على الصورة أيضاً؟ ما الذي كانا يرميان إليه بحق السماء؟».

قال سيغوردور أولي: «أربكني ذلك».

«عفواً؟».

«لا شيء. يمكننا أن نفترض أن غريتار التقط الصورة وقدّمها إلى هولبرغ أو وجدها بنفسه». سأل سيغوردور أولي: «سنتابع البحث عن امرأة هوسافيك اليوم، أليس كذلك؟ ليست لديك أي أدلّة جديدة؟».

قال إرلندور: «نعم، ولا».

«أنا في طريقي إلى غرافارفوغر. كدنا ننتهي من استجواب النساء في ريكيافيك. هل سنرسل شخصاً إلى هوسافيك عندما ننتهي من عملنا هنا؟».

قال إرلندور: «نعم»، وأغلق سماعة الهاتف. كانت إيفا ليند في المطبخ، بعدما استيقظت على رنين الهاتف. كانت لا تزال ترتدي ملابسها، كما هي حال الفتاة من غاردابير.

ذهبت إيفا ليند إلى المرحاض دون أن تنبس ببنت شفة، وما لبث أن سمعها تتقيأ بعنف. ذهب إلى المطبخ وحضّر بعض القهوة المرّة، الحل الوحيد الذي يعرفه مناسباً لمثل هذه الحال، جلس إلى طاولة المطبخ وانتظر ابنته لتخرج. مرّ بعض الوقت، ملأ فنجانين. خرجت إيفا ليند أخيراً بعد أن مسحت وجهها. نظر إرلندور إلى جسدها الهزيل وإلى حالها المزرية.

قالت إيفا ليند بصوت أجش عندما جلست مع إرلندور: «كنت أعرف أنها تتعاطى ممنوعات أحياناً، لكنني التقيتها بمحض الصدفة».

سأل إرلندور: «ماذا حدث لك؟».

كانت تفهم ما يعنيه والدها. فنظرت إليه.

قالت: «أنا أحاول، لكن الأمر صعب».

«جاء رجلان إلى هنا يسألان عنك، كان كلامهما بذيئاً. أعطيت شخصاً يدعى إيدي بعض النقود التي تدينين بها له، هو من أخبرني عن مكان ذلك المنزل».

«إيدي رجل طيب».

«هل ستتابعين محاولة الإقلاع عن تعاطيك؟».

«هـل يجـب أن أُقلـع؟». حدّقـت إيفـا لينـد إلـى الأسـفل إلـى الأرض.

«لا أدري».

«أنا خائفة جداً من الفشل».

«ربما تحاولين تحقيق شيء محدد».

رفعـت إيفـا لينـد بصرهـا إلـى والدهـا. قالـت: «أنـت مثير لعين للشفقة».

«أنا!».

«نعم، أنت».

صرخ إرلندور: «قولي لي بماذا يجب أن أفكّر؟ هل تسـتطيعين الاستمرار مع هذا الإشفاق الذي لا ينتهي على ذاتك؟ تصبحين فاشلة لعينة أحياناً. هل تشـعرين حقاً براحة كبيرة مع أصحابك هؤلاء؟ ألا تظنين أن هناك شيئاً أفضل لك؟ أي حق تمتلكينه لتعبثي بحياتك على ذلك النحو؟ هل تظنين حقاً أن الوضع رهيب جداً بالنسبة إليك؟ هل تظنين حقاً أن أحداً في العالم لا يشـعر بالسـوء مثلك؟ أنا أحقق في وفاة طفلة لم يمتد بها العمر لتبلغ الخامسة، مرضت وتوفيت. المرض قضى عليها ولم يتمكّن أحد من فهمه. كان طول كفنها ثلاث أقدام. هـل تسـمعين مـا أقـول؟ أي حـق تمتلكينه لتنعمـي بالحياة؟ قولي لي ذلك!».

كان إرلنـدور يصـرخ. وقـف وضـرب بيـده طاولـة المطبخ بقوة جعلـت الفنجانيـن يقفـزان عنهـا. وعندمـا رأى ذلـك أمسـك بواحـدٍ منهمـا ورمـاه علـى الجـدار خلـف إيفا ليند، استشـاط غضباً، وللحظة فقد السيطرة على نفسه فقلب الطاولة رأساً على عقب، أوقع كل شيء عن رفوف المطبخ، وارتطمت القدور والكؤوس بالجدران والأرض.

جلست إيفا ليند وقد امتلأت عيناها دموعاً ساكنة في كرسيها، تراقب والدها وقد جن جنونه.

أخيراً هدأ غضب إرلندور، استدار إلى إيفا ليند، رأى كتفيها ترتعشان وهي تخفي وجهها بين يديها. نظر إلى ابنته، إلى شعرها المتسخ، ذراعيها النحيلتين، معصميها اللتين كانتا أثخن قليلاً من أصابعه، وجسدها الهزيل الذي يرتعش. كانت حافية القدمين وظهرت أوساخ تحت أظفارها. تقدم منها حاول إبعاد يديها عن وجهها، لكنها لم تسمح له، أراد أن يعتذر إليها، أراد أن يحتضنها بين ذراعيه، لكنه لم يفعل أياً من ذلك.

بدلاً من ذلك، جلس على الأرض إلى جانبها، رنّ الهاتف لكنه لم يجب عليه، لم يكن هناك ما يدل على وجود الفتاة الأخرى في غرفة النوم، توقف الهاتف عن الرنين، وأطبق الصمت على الشقة مجدداً، كان الصوت الوحيد هو نشيج إيفا ليند. كان إرلندور يعرف أنه ليس أباً مثالياً، ويمكن بسهولة أن ينطبق ما كان يقوله لابنته على نفسه. عندما تكلم كان غاضباً من نفسه مثلما كان غاضباً من إيفا ليند. كان نفسياً، يصبّ غضبه على ابنته لينفِّس عن ذاته، لكن ربما كان لما قاله بعض التأثير عليها. لم يكن قد رأى إيفا ليند تبكي منذ كانت في الثانية من عمرها.

أخيراً أبعدت إيفا ليند يديها عن وجهها، سحبت شهيقاً ومسحت وجهها. قالت: «كان والدها».

قال إرلندور: «والدها؟».

قالت إيفا ليند: «كان وحشاً، كان والدها، بدأ يتحسّسها عندما بدأ ثدياها يكبران وتمادى أكثر فأكثر، لم يتمكّن من إبعاد يديه عنها في حفل زفافها، أخذها إلى غرفة خاوية في المنزل. قال لها إنها

تبدو مثيرة جداً بفستان زفافها، وإنه لا يستطيع السيطرة على نفسه، لم يتحمّل فكرة مغادرتها منزله، بدأ يداعبها، صُعقت».

تأوه إرلندور: «يا لهم من قوم!».

«كنت أعرف أنها تتعاطى الممنوعات أحياناً، كما طلبت مني تأمين بعضها منها. هربت وذهبت لرؤية إيدي، كانت تنام في ذلك المكان منذ ذلك الوقت».

توقفت إيفا ليند، لكنها قالت بعد ذلك: «أظن أن والدتها كانت تعرف بذلك منذ البداية، ولكنها لم تفعل شيئاً، كان المنزل مغرياً جداً، عدد كبير من السيارات».

«ألا ترغب الفتاة في الذهاب إلى الشرطة؟».

«ياه!».

«ماذا؟».

«خوض كل ذلك الهراء ليحكم عليه بالسجن ثلاثة شهور مع وقف التنفيذ، إذا صدّقها أحد؟ بالله عليك!».

«ماذا ستفعل؟».

«ستعود إلى عريسها. أظن أنه يعجبها».

«ألقت باللوم على نفسها إذاً، أليس كذلك؟».

«لا تعرف ما تفكر فيه».

«لأنها كتبت ماذا كنت قد فعلت؟. تلقي باللوم على نفسها».

«ليس مفاجئاً أن تشعر أنها فاشلة».

«يبدو دائماً أن الفاسدين اللعينين هم أسعد الناس. يبتسمون للعالم كأن شيئاً لم يحدث لضمائرهم اللعينة».

قالت إيفا ليند: «لا تتكلم معي بتلك الطريقة مجدداً. لا تتكلم معي بتلك الطريقة أبداً».

سأل إرلندور: «هل تدينين لأشخاص آخرين غير إيدي؟».

«عدد قليل. لكن إيدي هو المشكلة الرئيسة».

رنّ الهاتف مجدداً. تحرّكت فتاة غاردابير في غرفة النوم وجلست، نظرت حولها وخرجت من السرير. تساءل إرلندور: هل يجب أن يزعج نفسه بالرد؟ هل يجب أن يزعج نفسه بالذهاب إلى العمل؟ هل يجب أن يمضي اليوم مع إيفا ليند؟ أن يبقى بصحبتها، ربما يقنعها بالذهاب معه إلى الطبيب ليلقي نظرةً على الجنين، إذا سُمِّي جنيناً. أن يكتشفا إذا كان كل شيء على ما يرام. أراد الوقوف إلى جانبها.

لكن الهاتف رفض أن يتوقف عن الرنين. كانت الفتاة قد خرجت إلى الرواق وجالت بنظرها في أرجاء المنزل بارتباك. نادت لتتأكد إن كان هناك أحد في الشقة. ردّت إيفا ليند أنهما في المطبخ. وقف إرلندور، التقى الفتاة عند باب المطبخ ورحّب بها. لم يتلقَ رداً. كانت كلتاهما قد نامتا بملابسهما مثل إرلندور. جالت الفتاة ببصرها في أرجاء المطبخ الذي كان إرلندور قد حطّمه، ثم نظرت إليه شزراً.

ردّ إرلندور على الهاتف أخيراً.

«كيف كانت الرائحة في شقة هولبرغ؟». استغرق الأمر من إرلندور بعض الوقت ليدرك أنه كان صوت ماريون بريم.

كرّر إرلندور: «الرائحة؟».

كرّر ماريون بريم: «كيف كانت الرائحة في شقته؟».

قال إرلندور: «كانت رائحة قبو كريهة، رائحة رطوبة، نتنة، لا أدري، مثل رائحة خيول؟».

قال ماريون بريم: «لا، ليست رائحة خيول. كنت أقرأ عن نوردورمايري. تكلمت إلى سبّاك صديق لي وأرشدني إلى سبّاك

آخر. لقد تكلمت إلى كثير من السبّاكين».

«لماذا السبّاكين؟».

«مثير جداً للاهتمام، ذلك العمل كله. لم تخبرني بشأن البصمات على الصورة». لاحظ إرلندور لهجة اتهام في صوت ماريون.

قال إرلندور: «لا. لم أتطرق إلى ذلك».

«سمعت عن غريتار وهولبرغ، كان غريتار يعرف أن الفتاة ابنة هولبرغ، ربما كان يعرف شيئاً آخر».

بقي إرلندور صامتاً.

قال أخيراً: «ماذا تعني؟».

سأل ماريون بريم: «هل تعرف أهم شيء في نوردورمايري؟».

قال إرلندور وهو يجد صعوبة في ملاحقة سلسلة أفكار ماريون: «لا».

«الواضح أنني غفلت عنه في ذلك الوقت».

«ما هو؟».

توقف ماريون للحظة كأنه يوحي بأهمية كلماته. «نوردورمايري. المستنقع الشمالي».

«و...؟».

«المنازل مبنية على أرض سبخة».

26

تفاجأ سيغوردور أولي لأن المرأة التي فتحت الباب كانت تعرف طبيعة عمله قبل أن يشرحها لها. كان يقف على سلالم كثيرة أخرى، ولكن هذه المرة في مبنى سكني مؤلف من ثلاثة طوابق في غرافارفوغر. كان قد قدّم نفسه وعلى وشك أن يشرح لها سبب وجوده، عندما دعته إلى الدخول، وأضافت أنها كانت تتوقع زيارته.

كان الوقت لا يزال مبكراً. في الخارج كانت السماء ملبّدة بالغيوم، والمطر ينهمر رذاذاً، وعتمة الخريف تنتشر فوق المدينة لتؤكّد أن الشتاء سيحل قريباً، وسيصبح الجو أكثر ظلمة وبرداً. عبر محطات إذاعية، قال أشخاص إن هذا الفصل هو الفصل الماطر الأسوأ منذ عقود.

عرضت المرأة أن تأخذ معطفه، سلّمها سيغوردور أولي إياه فعلّقته في خزانة للملابس. خرج رجل من عمر المرأة من مطبخهما الصغير وحيّاه مصافحاً. ناهز كلاهما السبعين من العمر، كانا يرتديان نوعاً من الثياب الفضفاضة والجوارب البيضاء كأنهما كانا في طريقهما إلى ممارسة رياضة المشي. لاحظَ أنه قاطعهما عندما كانا يتناولان قهوة الصباح.

كانت الشقة صغيرة جداً لكنها مؤثثة جيداً، مع حمام ومطبخ صغيرين، وغرفة جلوس وغرفة نوم واسعة. كان الجو حاراً جداً داخل الشقة. قَبِل سيغوردور أولي عرضاً بتناول القهوة، وطلب كوباً من الماء أيضاً. كان حلقه قد جفّ مباشرة. تبادلوا بضع كلمات بشأن الطقس

حتى لم يعد سيغوردور أولي يطيق الانتظار وقتاً أطول.

قال وهو يرتشف القهوة التي كانت خفيفة وكان طعمها كريهاً: «يبدو أنكما كنتما تتوقعان مجيئي».

قالت: «حسنٌ، لا يتكلم أحد عن شيء سوى المرأة المسكينة التي تبحثون عنها».

نظر سيغوردور أولي إليها دون أي انفعال.

قالت المرأة كأنها ليست بحاجة إلى شرح شيء واضح تماماً: «كل شخص من هوسافيك. لم نتكلّم عن أي شيء آخر منذ بدأتم البحث عنها. لدينا نادٍ كبير جداً للناس من هوسافيك هنا في المدينة. أنا واثقة أن الجميع يعرفون أنك تبحث عن تلك المرأة».

سأل سيغوردور أولي: «إذاً إنه حديث البلدة؟».

«كان ثلاثة من أصدقائي من الشمال الذين يعيشون الآن هنا قد اتصلوا بي الليلة الماضية، وكنت قد تلقيت هذا الصباح اتصالاً من هوسافيك. سمعت أقاويل كثيرةً عن هذا الأمر منذ ذلك الوقت».

«هل توصلتم إلى أي استنتاجات؟».

قالت وهي تنظر إلى زوجها: «ليس عدلاً. ما فعله ذلك الرجل لها؟».

لم تحاول إخفاء فضولها، أو حبها للاستطلاع. كان سيغوردور أولي مشمئزاً من مدى تلهّفها لمعرفة التفاصيل وحاول بشكل فطري أن ينتبه إلى كلماته.

قالت: «إنها مسألة تتعلق بعمل عنيف. نبحث عن الضحية، لكنكما تعرفان ذلك على الأرجح الآن».

«آه، نعم. لكن لماذا؟ ماذا فعل لها؟ ولماذا الآن؟ أظن، أو نظن»، ونظرت إلى زوجها الذي كان يجلس صامتاً يتابع حديثهما،

«أنه من الغريب أن تحظى قضيةٌ بهذه الأهمية بعد كل تلك السنين. سمعت أنها تعرضت لاغتصاب. هل ذلك صحيح؟».

قال سيغوردور أولي: «بكل أسف لا يمكنني كشف أي تفاصيل تتعلق بالتحقيق.وقد لا يكون هذا مهماً. لا أظن أنكما يجب أن تثيرا جلبة كبيرة بهذا الخصوص عندما تتكلمان إلى أشخاص آخرين. هل هناك شيء يمكنكما إطلاعي عليه قد يكون مفيداً؟».

نظر الزوجان إلى بعضهما.

قالت مندهشة: «نثير جلبة كبيرة بهذا الخصوص؟ نحن لا نثير أي جلبة على الإطلاق. هل تظن أننا نثير أي جلبة بهذا الخصوص يا إيفي؟». نظرت إلى زوجها الذي كان يبدو غير واثق من طريقة الرد. قالت بحدّة وهي تبدو متفاجئة: «هيا، أجبني!».

«لا، لا أقول ذلك، هذا ليس صحيحاً».

رنّ هاتف سيغوردور أولي الخلوي. لم يكن يضعه في جيبه مثل إرلندور، وإنما في حاملة أنيقة معلّقة بالحزام حول بنطاله المشدود بإحكام على خصره. طلب سيغوردور أولي إلى الزوجين أن يعذراه، وقف وأجاب على الهاتف. كان إرلندور.

سأل: «هل يمكنك لقائي في شقة هولبرغ؟».

قال سيغوردور أولي: «ما الذي يجري؟».

قال إرلندور: «المزيد من البحث»، وأنهى المكالمة.

عندما وصل سيغوردور إلى نوردورمايري، كان إرلندور وإيلينبورغ قد سبقاه إلى هناك. كان إرلندور يقف عند الباب المؤدي إلى القبو يدخّن لفافة تبغ. كانت إيلينبورغ داخل الشقة، التقى بهما سيغوردور أولي وكانت إيلينبورغ تنقّل رأسها من مكان إلى آخر وتتابع تنشقّها للهواء وكأنها تتقصى رائحة معينة. نظر إلى إرلندور الذي هزّ

كتفيه ورمى بلفافة تبغه إلى الحديقة ودخلا الشقة معاً.

سأل إرلندور سيغوردور أولي: «ما نوع الرائحة التي تنبعث هنا؟»، وبدأ سيغوردور أولي يشمُّ الهواء مثل إيلينبورغ. انتقلوا من غرفة إلى أخرى وأنوفهم تشمُّ الرائحة، ما عدا إرلندور الذي لم تكن حاسة الشم لديه جيدة بعد عدّة سنوات من التدخين.

قالت إيلينبورغ: «عندما جئت إلى هذا المكان أول مرة، كنت أظن أن أشخاصاً يعملون مع الخيول، يعيشون في المبنى أو في هذه الشقة. ذكّرتني الرائحة بالخيول، بالحدوات، بالسروج، وذلك النوع من الأشياء. روث خيول، وإسطبلات. كانت الرائحة نفسها موجودة في أول شقة اشتريتها وزوجي. لكن لم يكن أي هاوٍ للخيول يقيم فيها. كانت مزيجاً من الأوساخ والرطوبة. كان الماء يتسرب من المشعّات إلى السجادة والأرضية الخشبية طيلة سنوات، ولم يفعل أحد شيئاً حيال ذلك. أغلقنا الحمّام الإضافي أيضاً لكن السبّاكين فعلوا ذلك بطريقة سيئة جداً، فقد حشوا قشاً في الحفرة ووضعوا طبقة رقيقة من الإسمنت فوقها. لهذا كانت هناك دائماً رائحة صرف صحي تخرج من الحفرة».

قال إرلندور: «ماذا يعني ذلك؟».

«أظن أنها الرائحة نفسها، عدا أنها أسوأ هنا. رطوبة وأوساخ وجرذان الصرف الصحي».

قال إرلندور، غير واثق إن كانا يعرفان الاسم: «اجتمعت بماريون بريم، قرأ ماريون الكثير عن نوردورمايري وتوصل إلى نتيجة مفادها أنها كانت مستنقعاً».

تبادل إيلينبورغ وسيغوردور أولي النظرات.

تابع إرلندور قائلاً: «كانت نوردورمايري قرية منفصلة وسط

ريكيافيك. بُنيت منازلها خلال أو بعد الحرب. كانت أيسلندا قد أصبحت جمهورية، وتمت تسمية الشوارع تيمناً بأبطال مثل غونارسبراوت وسكيغجاغاتا. شريحة عريضةٌ من المجتمع سكنت هنا، تتراوح بين ميسوري الحال والأثرياء وبين أولئك الذين بالكاد يمتلكون قرشاً؛ ولهذا يستأجرون شقق قبو رخيصة مثل هذه. كان كثير من الناس مثل هولبرغ يعيشون في نوردورمايري، رغم أن معظمهم كانوا أكثر تحضّراً منه، والعديد منهم يعيشون بالتحديد في هذا النوع من شقق القبو. أخبرني ماريون كل هذا».

توقف إرلندور قليلاً.

«إحدى ميزات نوردورمايري الأخرى هي شقق القبو. أصلاً لم تكن فيها أي شقق قبو، لكن المالكين قاموا بتجهيزها، أضافوا إليها مطابخ وجدران، وغرفاً، وجعلوها أماكن يمكن العيش فيها. سابقاً كانت تلك الأقبية الأماكن التي تتمّ فيها بعض الأعمال المنزلية. ماذا كان ماريون يدعوها؟ منازل مكتفية ذاتياً. هل تعرفان ما يعنيه ذلك؟».

هزّ كلاهما رأسه.

قال إرلندور وهو يعرف تماماً أنهما سيكرهانه لقوله ذلك: «أنتما يافعان بالطبع. كانت الأقبية غرفاً للفتيات، كن خادمات في منازل أشخاص أثرياء، كانت غرفهن في جحور مثل هذه. كانت هناك غرفة للغسيل أيضاً، غرفة لتحضير الهاغيس مثلاً [وجبة أيسلندية من قلب وكبد خروف مفرومين مع البصل] أو أي وجبات أخرى، غرفة مؤن، حمّام وما إلى ذلك».

قال سيغوردور أولي متهكّماً: «لا تنس أنه مستنقع».

قالت إيلينبورغ: «هل تحاول إخبارنا شيئاً مهماً؟».

قال إرلندور: «تحت هذه الأقبية توجد أساسات...».

قال سيغوردور أولي لإيلينبورغ: «هذا أمر استثنائي تماماً».

تابع إرلندور دون أن يدع تعليقات سيغوردور أولي تزعجه: «... مثل كل المنازل الأخرى. إذا تكّلمتما إلى سبّاك، كما فعل ماريون بريم...».

قال سيغوردور أولي: «ما كل هذا الهراء من ماريون بريم؟».

«... ستكتشفان أن السبّاك كان يُستدعى إلى نوردورمايري لمعالجة بعض المشاكل المزمنة في منازل بنيت على أرض سبخة. فيجد أن أرضية المنازل تغور ببطء بحيث تظهر مع مرور السنين الطبقة الإسمنتية التي تشكّل أساسات لها».

لاحظ إرلندور أنهما توقفا عن الابتسام آنذاك.

«في مجال البناء يدعى ذلك خطأً مخفياً ومن الصعب معرفة طريقة التعامل مع هذا النوع من الأخطاء. عندما تغور المنازل تضغط على أنابيب الصرف الصحي التي تتحطم تحت الأرض، قبل أن يلاحظ صاحب المنزل الأمر، يقوم الضغط بتفريغ مياه المرحاض إلى الأساسات، قد يستمر الأمر على ذلك المنوال عقوداً، لأن الرائحة لا تنفذ من الإسمنت، لكن روائح الرطوبة تملأ المكان لأن المياه الساخنة التي تتدفق في العديد من المنازل القديمة متصلة بأنبوب الصرف الصحي، وتتسرب إلى القبو عندما تتحطم الأنابيب، ويصبح القبو حاراً، ويصل البخار إلى السطح، ليغلّف الأرضية الخشبية».

كان إرلندور يحظى بكامل اهتمامهما آنذاك.

قال سيغوردور أولي: «وماريون أخبرك بكل ذلك؟».

تابع إرلندور قائلاً: «لإصلاح المشكلة يجب أن تفكّك ألواح الأرضية، وتحفر إلى الأساسات لاستبدال الأنابيب. قال السبّاكون

لماريون إنهم عندما يحفرون الأرضية أحياناً لا يجدون شيئاً تحتها. في بعض الأماكن، القاعدة رقيقة جداً ويوجد تحتها جيب هوائي. وبسبب المستنقعات والأرض السبخة تغور نصف ياردة، وربما ياردة بأكملها».

نظر سيغوردور أولي وإيلينبورغ إلى بعضهما.

سألت إيلينبورغ وهي تضرب الأرض بإحدى قدميها: «إذاً هناك تجويف تحت الأرضية هنا؟».

ابتسم إرلندور.

«جاء ماريون بسبّاك إلى هذا المنزل في السنة نفسها التي أُقيم فيها الاحتفال الوطني. يتذكر الجميع تلك السنة، وقد تذكّر السبّاك مجيئه إلى هنا بسبب كثرة الرطوبة في الأرضية».

سأل سيغوردور أولي: «ما الذي تحاول أن تخبرنا به؟».

«فكّك آنذاك السبّاك ألواح الأرضية هنا، القاعدة ليست سميكة جداً، هناك تجويف تحت العديد من الأماكن، يتذكّر السبّاك العمل بوضوح تام لأنه صُدم عندما لم يسمح له هولبرغ بإنهائه».

«لماذا؟».

«فكّك ألواح الأرضية وأصلح الأنبوب، ثم رماه هولبرغ خارجاً، وقال إنه سيُنهي العمل بنفسه. وفعل ذلك».

وقفوا صامتين حتى لم يعد بإمكان سيغوردور أولي أن يقاوم الإغراء لوقت أطول.

قال: «ماريون بريم؟ ماريون بريم!» قال الاسم مراراً وتكراراً كأنه يجاهد ليفهم الأمر، كان إرلندور محقاً، كان صغيراً عندما خدم ماريون بريم في سلك الشرطة. كرّر الاسم كأنه أحجية، ثم توقف فجأة وبدا مستغرقاً في التفكير قبل أن يسأل أخيراً.

«انتظـر لحظـة، مـن ماريـون هذا؟ ما هذا الاســم على كل حال؟ هل هو رجل أم امرأة؟».

نظر سيغوردور أولي إلى إرلندور مستفسراً.

أجـاب إرلنـدور: «أنـا أتسـاءل عـن ذلك أحيانـاً»، وأخرج هاتفه الخلوي.

27

بدأ أفراد فريق الطب الشرعي بتفكيك ألواح الأرضية الخشبية في كل غرف الشقة، المطبخ والحمام والمختلى، كان قد استغرق الأمر يوماً كاملاً للحصول على الإذن الضروري للعملية، وكان إرلندور قد ناقش قضيته في اجتماع مع قائد الشرطة الذي وافق بتردد، على تفكيك أرضية شقة هولبرغ؛ وقد مُنحت القضية صفة الاستعجال بسبب جريمة القتل التي كانت قد وقعت في المبنى.

قال إرلندور إن ذلك البحث ربما يقود إلى معرفة قاتل هولبرغ، وأشار ضمناً إلى أن غريتار ربما لا يزال على قيد الحياة، وقد يكون هو المجرم. إن الشرطة ستستفيد بشكل مضاعف من تلك العملية. إذا كان حدس ماريون بريم صحيحاً، سيتبين أن غريتار مشتبه به ويحل ذلك لغز اختفاء شخص منذ أكثر من ربع قرن.

طلبوا شاحنات ذات سعة كبيرة لنقل أثاث منزل هولبرغ، ما عدا القطع الثابتة ومحتوياتها. كان الظلام قد بدأ يخيم عندما تراجعت شاحنة نحو المنزل، وبعد ذلك بوقت قصير، توقف إلى جانبها جرّار يحمل مثقباً يعمل بواسطة الهواء المضغوط. تجمّع فريق من خبراء الطب الشرعي هناك وانضم إليهم المزيد من المحققين، لم يكن ممكناً رؤية السكان في أي مكان.

كان المطر ينهمر طيلة النهار، كما في الأيام السابقة، لكنه كان آنذاك مجرد رذاذ خفيف يترقرق في نسيم الخريف البارد ويستقر على وجه إرلندور الذي يقف جانباً، ولفافة تبغ بين أصابعه. كان سيغوردور

أولـي وإيلينبـورغ يقفـان معـه وكان حشـدٌ قد تجمّـع أمام المنزل لكنه بـدا متـردداً فـي الاقتـراب منـه، كان يضـم مراسـلين، مصوّرين تابعين لمحطـات تلفـزة وصحفييـن. وكانت سـيارات من كل الأحجام عليها شعارات شركات الصحف ومحطات التلفزة تنتشر في كل مكان في الحي. تساءل إرلندور الذي كان قد حظر كل اتصال بوسائل الإعلام، إن كان يجب إبعادهم.

سـرعان ما تم تفريغ شـقة هولبرغ. بقيت الشـاحنة الضخمة في السـاحة الأمامية بينما تتم مناقشـة قرار ما يجب فعله بقطع الأثاث، أخيراً أمر إرلندور أن تُرسل إلى مخزن الشرطة، راقب إرلندور إخراج الحُصر والسـجاجيد من الشـقة وتحميلها في الشـاحنة التي صلصلت بعد ذلك وخرجت من الشارع.

حيّا رئيس فريق الطب الشرعي إرلندور بمصافحته، كان يقارب الخمسـين سـنةً، يدعى راغنار، كان بديناً وذا شـعرٍ أسـود لم يسـرّحه، تلقى تعليمه في بريطانيا، ولا يقرأ سـوى روايات بريطانية وهو مولع بشكل خاص بمسلسلات الشرطة البريطانية على التلفاز.

سأل وهو ينظر إلى حشود وسائل الإعلام: «ما هذا الهراء الذي جعلتنا نتورط به الآن؟». كانت هناك نبرة دعابة في صوته، كان يظنّ أن تفكيك أرضية منزلٍ بحثا عن جثة هو أمرٌ رائع.

سأل إرلندور: «كيف يبدو الأمر؟».

قال راغنار: «كل أرضيات الغرف يغطيها طلاءٌ كثيف من أنواع طلاء السـفن، لكننا لا نعرف إذا عُبث بها يوماً ما أم لا، وإذا طرقنا على هذه الأرضيات بمطرقةٍ، نلاحظ ارتداد الصدى، لأن فراغاً تحتها. أما إسمنت المبنى فهو جيد، بحيث لا نجد اهتراءً في مركباته القلوية. لكـن هنـاك الكثيـر مـن بقـع الرطوبة على الأرضية. ألا يسـتطيع ذلك

السبّاك الذي اتصلت به أن يساعدنا؟».

«إنـه فـي دار متقاعديـن فـي أكوريـري [بلدة] ويقول إنه لن يعود إلـى الجنـوب فـي حياتـه، زوّدنـا بتحديد دقيق جداً للمكان حيث فتح الأرضية».

«نقوم أيضاً بتمرير آلة تصوير على طول أنبوب الصرف الصحي، ننظر إلى الأنبوب، نرى إن كان بحال سليمة، لنكتشف إن كان بإمكاننا رؤية الإصلاح القديم».

سأل إرلندور بإيماءة نحو الجرّار: «هل تحتاجون حقاً إلى مثقب بهذا الحجم؟».

«ليسـت لـدي أي فكـرة، لدينـا مثاقـب كهربائيـة أصغر، لكنها لا تستطيع اختراق أرضيات رطبة. لدينا مثاقب أصغر تعمل بواسطة الهواء المضغـوط، وإذا عثرنـا علـى تجويـف يمكننا حفر القاعدة وإدخال آلة التصوير الصغيرة عبرها كما يفعلون لفحص أنابيب الصرف الصحي المتضررة».

«آمل أن يفي ذلك بالغرض، لا نريد أن نضطر إلى تدمير المنزل كله».

قال رئيس فريق الطب الشـرعي: «تنتشـر رائحة كريهة في ذلك المكان على كل حال»، ومشيا نحو القبو. كان ثلاثة من خبراء الطب الشـرعي يرتـدون سـراويل رقيقـة بيضـاء، يضعون قفازات بلاسـتيكية ويحملـون مطـارق، يتنقلـون فـي أرجاء الشـقة، يطرقون على الأرضية الصخرية ويضعون علامات بأقلام تخطيط زرقاء حيث يشعرون بوجود تجويف.

قال إرلندور: «وفقاً لمكتب مسّاحي المباني تم تحويل القبو إلى شقة في العام 1959. اشتراها هولبرغ في العام 1962 وربما انتقل إليها

مباشرة. أقامَ هنا منذ ذلك الوقت».

جاء أحد أفراد فريق الطب الشرعي إليهما وحيّا إرلندور. كانت لديه مجموعة من مخططات المبنى، واحدة لكل طابق.

«المراحيض وسط كل طابق. تنزل أنابيب الصرف الصحي من الطوابق العليا، وتدخل في الأساسات حيث يوجد مرحاض القبو. كان موجوداً أساساً في القبو قبل تحويله، ويمكنكما أن تتخيلا أنه تم تصميم الشقة حوله. يتصل المرحاض بأنبوب الصرف الصحي في الحمّام، ثم يمتد شرقاً عبر جزء من غرفة الجلوس، تحت غرفة النوم وصولاً إلى الشارع».

قال رئيس فريق الطب الشرعي: «البحث ليس محصوراً بأنبوب الصرف الصحي».

«لا، لكننا وضعنا آلة تصوير في مصرف المياه من الشارع. أخبروني للتو أن الأنبوب مكسور عند دخوله غرفة النوم، وفكّرنا أن نُلقي نظرة هناك أولاً. إنه في مكان مشابه للموقع الذي فُتحت فيه الأرضية».

أومأ راغنار ونظر إلى إرلندور الذي هزّ كتفيه كأن ما يقوم به فريق الطب الشرعي ليس من شأنه.

قال رئيس فريق الطب الشرعي: «لا يمكن أن يكون كسراً قديماً جداً، لا بد أن الرائحة تأتي من هناك. هل تظن أن هذا الرجل مدفون في أساسات المبنى منذ أكثر من 25 سنة؟».

قال إرلندور: «لقد اختفى منذ ذلك التاريخ، على الأقل».

اندمجت كلماتهما بضجيج الطرق الذي أخذ يتردد صداه بين الجدران. أخرج خبير الطب الشرعي واقية أذن من علبة سوداء بحجم حقيبة صغيرة ووضعها على أذنيه، ثم التقط أحد المثاقب

الكهربائية الصغيرة ووصله بمقبس. ضغط على مفتاح التشـغيل عدّة مرات ليختبرها ثم دفع ريشة المثقب في الأرضية وبدأ يحطّمها. كان الضجيج مزعجاً، فوضع باقي أفراد فريق الطب الشرعي واقيات آذان أيضاً. لم يحرز تقدماً كبيراً، وبالكاد تأثر الإسمنت الصلب، تخلى عن المحاولة وهزّ رأسه.

قال وغبار ناعم يغطي وجهه: «يجب أن نشغّل الجرّار، أحضروا المثقب الذي يعمل بواسطة الهواء المضغوط إلى هنا، كما أننا نحتاج إلـى أقنعـة. أي معتـوه لعيـن خـرج بهـذه الفكرة على كل حال؟»، قال ذلك وهو يبصق على الأرض.

قال رئيس فريق الطب الشرعي: «كان صعباً على هولبرغ استخدام مثقب يعمل بواسطة الهواء المضغوط تحت جنح الظلام».

قـال إرلنـدور: «لـم يكـن بحاجـة إلى فعل أي شـيء تحت جنح الظلام. حفر السبّاك الثقب في الأرضية من أجله».

«هل تظن أنه وضعه تحت حفرة المرحاض؟».

«سنرى ذلك، ربما كان بحاجة إلى ترميم الأساسات، ربما الأمر كله ينطوي على سوء فهم».

خرج إرلندور ليتنشّق هواءً نقياً. كان سيغوردور أولي وإيلينبورغ يجلسان في السيارة يتناولان شطائر سجق اشتراها سيغوردور أولي من كشـك قريب، كانت شـطيرة سـجق تنتظر إرلندور على لوحة القيادة، التهمها على عجل.

سألت إيلينبورغ إرلندور: «إذا عثرنا على جثة غريتار هنا، بماذا سيفيدنا ذلك؟»، ومسحت فمها.

قـال إرلنـدور وهـو مسـتغرق بالتفكيـر: «أتمنى لـو كنت أعرف، أتمنى فحسب لو كنت أعرف».

في تلك اللحظة جاء كبير المشرفين مسرعاً نحوهم، طرق على النافذة، ثم فتح الباب وطلب إلى إرلندور أن يأتي معه للحظة. خرج سيغوردور أولي وإيلينبورغ من السيارة أيضاً. كان اسم كبير المشرفين هرولفور، وكان في إجازة مرضية خلال النهار، لكنه بدا معافى تماماً آنذاك. كان بديناً جداً والملابس التي يرتديها لا تخفي ذلك، كان من النوع الكسول، ونادراً ما يقدم أي مساهمة للتحقيقات. كان يأخذ إجازة مرضية عدّة أسابيع كل سنة.

سأل والغضبُ بادٍ عليه: «لماذا لم يتم الاتصال بي بشأن هذه العمليات؟».

قال إرلندور: «أنت مريض».

قال هرولفور: «هراء، لا تظن أن باستطاعتك إدارة القسم كما تشاء، أنا مديرك، يجب أن تتكلم معي بشأن هذا النوع من العمليات قبل أن تضع أفكارك الغبية اللعينة موضع التنفيذ!».

كرّر إرلندور وهو يتظاهر بالدهشة: «مهلاً، كنت أظن أنك مريض».

همّس هرولفور: «وكيف خطر لك أن تخدع قائد الشرطة بمثل تلك الطريقة؟ كيف خطر لك أن رجلاً تحت الأرضية هنا؟ ليس لديك شيء تمضي به قدماً، لا شيء على الإطلاق ما عدا بعض الهراء عن أساسات منزل ورائحة. هل جُننت؟».

مشى سيغوردور أولي بتردد إليهما.

قال وهو يحمل الهاتف الذي كان إرلندور قد تركه خلفه في السيارة: «هناك امرأة أظن أنك يجب أن تتكلم إليها، الأمر شخصي، إنها قلقة جداً».

استدار هرولفور إلى سيغوردور أولي وطلب إليه أن يغرب عن

وجهه ويتركهما وحدهما.

لم يتزحزح سيغوردور أولي. قال: «يجب أن تتكلم معها فوراً يا إرلندور».

صرخ هرولفور وهو يضرب بقدمه الأرض: «ما معنى هذا؟ تتصرف كأنني غير موجود! هل هذه مؤامرة لعينة؟ إرلندور، إذا كنا سنحطم أساسات منازل الناس لأن رائحتها كريهة، عندها لن نفعل شيئاً سوى تحطيم المنازل. هذا سخيف تماماً! هذا مضحك».

قال إرلندور بهدوء شديد: «خرج ماريون بريم بهذه الفكرة المثيرة للاهتمام، وظننت أنها تستحق التثبّت من صحتها، ظنّ قائد الشرطة ذلك أيضاً، اعذرني لأنني لم أتصل بك، لكنني سعيد لرؤيتك واقفاً على قدميك. ويجب أن أقول حقاً يا هرولفور أنك تبدو أنيقاً بشكل استثنائي. أرجوك اسمح لي».

مشى إرلندور حتى تجاوز هرلفور، الذي حدّق إليه وإلى سيغوردور أولي، وكان مستعداً لقول شيء، لكنه لم يعرف ما يجب أن يقوله.

قال إرلندور: «خطرت لي فكرة، كان يجب أن أفعل ذلك منذ وقت طويل».

قال سيغوردور أولي: «»ماذا؟».

«اتصل بهيئة الموانئ والمنارات وأتبيّن إن كانوا يعرفون إذا أقام هولبرغ في هوسافيك أم في مكان آخر في بداية الستينيات».

«حسنٌ. إليك، تكلم إلى هذه المرأة».

قال إرلندور وهو يمسك الهاتف: «أي امرأة؟ لا أعرف أي امرأة».

«لقد حوّلوا اتصالها إلى هاتفك الخلوي، كانت تسأل عنك في

المكتب، قالوا لها إنك مشغول، لكنها أصرّت على الكلام معك».

في تلك اللحظة بدأ المثقب الذي يعمل بواسطة الهواء المضغوط على الجرّار بالعمل، صدَر صوت يصمّ الآذان من القبو، ورأوا سحابة كثيفة من الغبار تخرج منه، كانت الشرطة قد غطّت كل النوافذ لهذا لم يعد أحد يستطيع رؤية شيء في الداخل. كان الجميع عدا عامل المثقب قد خرجوا من هناك ووقفوا بعيداً، ينتظرون. نظروا إلى ساعاتهم وبدا أنهم يتناقشون في الوقت المتأخر لعملهم، كانوا يعرفون أن ليس باستطاعتهم الاستمرار بإصدار تلك الضوضاء كل الليل وسط منطقة سكنية، كان عليهم أن يتوقفوا ويتابعوا في صباح اليوم التالي أو عليهم أن يتخذوا إجراءً آخر.

أسرع إرلندور إلى السيارة يحمل هاتفه وأغلق الباب دون الضوضاء. تعرف على الصوت مباشرة.

قالت إيلين، حالما سمعت صوت إرلندور على الهاتف: «إنه هنا». كانت تبدو غاضبة جداً.

قال إرلندور: «اهدأي إيلين. عمن تتكلمين؟».

تحول صوتها إلى همس: «إنه يقف أمام المنزل تحت المطر يحدّق إليّ».

«من إيلين؟ هل أنتِ في المنزل؟ في كيفلافيك؟».

«لا أعرف متى جاء، ولا أعرف منذ متى يقف هناك، لقد رأيته صُدفة. لم يريدوا تحويل مكالمتي إليك».

«لا أفهم جيداً عمن تتكلمين إيلين؟».

«الرجل بالطبع، إنه ذلك الوحش، أنا واثقة من ذلك».

«من؟».

«ذلك المتوحش الذي اعتدى على كولبرون؟».

«كولبرون؟ ما الذي تتكلمين عنه؟».

«أعرف أن هذا غير معقول، لكنه يقف هنا بشحمه ولحمه».

«هل اختلطت عليك الأمور؟».

«لا تقل إن الأمور قد اختلطت علي، لا تقل ذلك! أعرف بالضبط ما أقوله».

«أي رجل ذاك الذي اعتدى على كولبرون؟».

«حسنٌ، هولبرغ!». همسَت إيلين عبر الهاتف. «إنه يقف خارج منزلي».

لم يقل إرلندور شيئاً.

همست إيلين: «هل أنت هناك؟ ما الذي ستفعله؟».

قال إرلندور مشدّداً على كلامه: «إيلين، لا يمكن أن يكون هولبرغ، لقد مات هولبرغ، لا بد أنه شخص آخر».

«لا تتكلم معي كأنني طفلة، إنه يقف في الخارج تحت المطر محدقاً إليّ، ذلك الوحش».

28

انقطع الاتصال وأدار إرلندور المحرك. راقبه سيغوردور أولي وإيلينبورغ يقود سيارته إلى الخلف ويختفي في آخر الشارع. نظرا إلى بعضهما وهزّا أكتافهما كأنهما تخلّيا عن محاولة استكشاف ما يقوم به منذ وقت طويل.

قبل مغادرة إرلندور اتصل بشرطة كيفلافيك وطلب إليهم الذهاب إلى منزل إيلين لإلقاء القبض على رجل في الجوار يرتدي معطفاً أزرق، جينزاً وينتعل حذاء أبيض، كانت إيلين قد وصفت الرجل. طلب إلى الرقيب عدم تشغيل صفّارات الإنذار أو الأضواء، والاقتراب بهدوء قدر المستطاع من الرجل كي لا يفزع منهم.

قال إرلندور في قرارة نفسه وهو يغلق هاتفه: «رجل عجوز غبي».

قاد سيارته إلى خارج ريكيافيك بأسرع ما يستطيع، عِبر هافنارفوردور وصولاً إلى طريق كيفلافيك. كانت حركة السير مزدحمة والرؤية ضعيفة، لكنه ناور بين السيارات وصعد على جزيرة مرورية ليتجاوز مركبات أخرى. تجاهل كل الإشارات الضوئية ووصل إلى كيفلافيك في نصف ساعة. ساعده على ذلك أن إدارة البحث الجنائي كانت قد زوّدت موظفيها أخيراً بأضواء شرطة زرقاء يمكن أن يضعوها على سطوح سياراتهم العادية في حالات الضرورة، كان قد ضحك في ذلك الوقت، تذكّر برنامجاً للشرطة على التلفاز يشرح كيفية استعمال

هذه الأضواء وفكّر أنه سيكون سخيفاً قيادة سيارة عليها ضوء متقطّع في ريكيافيك.

كانت سيارتا شرطة تقفان خارج منزل إيلين عندما اقترب منه، كانت إيلين تنتظره في الداخل مع ثلاثة أفراد شرطة، قالت إن الرجل قد اختفى في الظلام قبل أن تظهر سيارتا الشرطة أمام المنزل بقليل. أشارت إلى حيث كان يقف والاتجاه الذي هرب منه، لكن الشرطة لم تجد أي أثر له. كان أفراد الشرطة محتارين كيف يتعاملون مع إيلين، التي رفضت إخبارهم بهوية الرجل ولماذا اعتبرته خطيراً؛ فقد كان واضحاً أن جريمته الوحيدة هي الوقوف خارج منزلها تحت المطر. عندما طرحوا أسئلتهم على إرلندور، قال لهم إن للرجل علاقة بتحقيق في جريمة قتل في ريكيافيك. طلب إليهم إبلاغ شرطة ريكيافيك اعتقال أي شخص تتطابق مواصفاته مع الرجل.

كانت إيلين قلقة قليلاً، ورأى إرلندور أن أفضل قرار هو تكليف أفراد شرطة بمراقبة منزلها بأسرع وقت ممكن، تدبّر ذلك دون جهد كبير. قالوا إن لديهم أشياء يفعلونها أهم من ترصّد أشباح من ابتكار مخيلة امرأة عجوز، رغم أنهم تأكدوا أن إيلين لم تسمعهم يقولون ذلك.

قالت لإرلندور عندما أصبحا وحدهما في المنزل: «أقسم إنني رأيته في الخارج، لا أدري كيف، لكنه هو!».

نظر إرلندور إليها وسمع ما كانت تقوله، وأدرك أنها كانت تعني ذلك بكل جدّية، كان يعرف أنها تشعر بتوتر شديد مؤخراً.

«لا يبدو هذا منطقياً إيلين. هولبرغ ميت، رأيته في المشرحة». توقف قليلاً ليفكّر، ثم أضاف: «رأيت قلبه».

نظرت إيلين إليه. «تظن أنني مجنونة، تظن أنني أتخيل كل هذا.

تظن أنها طريقة لأحظى بالاهتمام لأنني...».

قاطعها إرلندور: «هولبرغ ميت، بماذا يجب أن أفكر؟».

قالت إيلين: «إذاً كانت صورة طبق الأصل عنه».

«صفي هذا الرجل لي بمزيدٍ من التفصيل».

وقفت إيلين، ذهبت إلى نافذة غرفة الجلوس وأشارت إلى المطر في الخارج.

«كان يقف هناك، إلى جانب الدرب الذي يؤدي إلى الشارع بين المنازل، يقف ساكناً دون حراك وينظر نحوي، لا أعرف إن كان قد رآني، حاولت الاختباء منه، كنت أقرأ ونهضت عندما بدأ الظلام يخيم في غرفة الجلوس، وعلى وشك إنارة الضوء عندما نظرت صدفة عبر النافذة. كان رأسه مكشوفاً، وبدا أنه لا يهتم إطلاقاً للبلل رغم المطر. إلا أنه كان يبدو بطريقة ما بعيداً أميالاً عديدة».

فكّرت إيلين للحظة. «كان شعره أسود ويبدو في الأربعين من عمره. متوسط الطول».

قال إرلندور: «إيلين. الظلام حالك في الخارج والمطر غزير، لا ترين بوضوح ما يوجد خارج النافذة، الدرب ليس مضاءً، تضعين نظارة. هل تقولين لي إن...».

«لم يكن الظلام قد خيّم آنذاك ولم أركض إلى الهاتف لأتصل بك مباشرة. ألقيت نظرة متفحّصة على الرجل من هذه النافذة ومن نافذة المطبخ، استغرق الأمر مني بعض الوقت لأدرك أنه هولبرغ، أو أنه شخص يشبهه. الدرب ليس مضاءً، لكن هناك حركة سير معقولة في الشارع؛ وكلما مرّت سيارة، كانت تضيئه وأتمكّن من رؤية وجهه بوضوح».

«كيف يمكنكِ أن تكوني واثقة إلى هذا الحد؟».

قالت إيلين: «كان صورةً عن هولبرغ لكنه أصغر سناً، ليس الرجل العجوز في الصورة التي ظهرت في الصحف».

«هل رأيت هولبرغ عندما كان أصغر سناً؟».

«نعم، رأيته. تم استدعاء كولبرون إلى إدارة البحث الجنائي مرة، دون سابق إنذار. قالوا لها إنهم بحاجة إلى إيضاحات أكثر تفصيلاً بشأن جزء من إفادتها، كان كل ذلك كذباً. كان يتولّى قضيتها شخص يدعى ماريون بريم. ما هذا الاسم؟ ماريون بريم؟ قالوا لكولبرون إن عليها الذهاب إلى ريكيافيك، طلبت إليّ الذهاب معها وفعلت ذلك. كان لديها موعد، وأتذكر أنه كان في الصباح. ذهبنا إلى هناك وقابلنا ماريون ذاك وقادنا إلى غرفة. جلسنا هناك لبعض الوقت عندما فُتح الباب فجأة ودخل هولبرغ. كان ماريون يقف خلفه عند الباب».

توقفت إيلين عن الكلام.

سأل إرلندور: «وماذا حدث؟».

«أصيبت شقيقتي بانهيار، كان هولبرغ يبتسم، وأشار نحونا بلسانه بشكل فاحش، وأمسكت شقيقي بي كأنها تغرق، كانت تتنفس بصعوبة. بدأ هولبرغ يضحك وأُصيبت كولبرون بنوبة عصبية، ضاقت عيناها، بدأت ترغي من فمها ووقعت على الأرض. أخرج ماريون هولبرغ؛ وكانت تلك أول وآخر مرة رأيت فيها ذلك الوحش ولن أنسى أبداً وجهه القبيح».

«ورأيت ذلك الوجه نفسه خارج نافذتك الليلة؟».

أومأت إيلين إيجاباً.

«ذُعرتُ، أُقرّ بذلك، وبالطبع لا يمكن أن يكون هولبرغ نفسه، لكن الرجل كان يشبهه تماماً».

تساءل إرلندور إن كان يجب أن يخبر إيلين بسلسلة أفكاره آنذاك.

أمعـن التفكيـر فـي مـا يمكـن أن يخبرهـا به، وما إذا كان هناك أي أمر يمكن أن يقوله ويكون له أساس من الحقيقة. جلسا صامتين بينما كان يقلّب الأمر. كان الوقت متأخراً في المسـاء وتحولت أفكار إرلندور إلى إيفا ليند. شعر بالألم في صدره مجدداً، ضرب بيده على صدره وكأن ذلك يزيله.

سألت إيلين: «هل أنت بخير؟».

قال إرلندور: «كنا نعمل على شيء مؤخراً، لكن ليس لدي دليل على أنه سيوصلنا إلى أي شيء، لكن ما حدث هنا يدعم النظرية التي نعمل على التحقّق منها. إذا كانت لهولبرغ ضحية أخرى، إذا اغتصب امـرأة أخـرى، هنـاك فرصـة أن تكـون قـد أنجبت طفلاً منه، تماماً كما حدث مع كولبرون. كنت أتساءل عن ذلك الاحتمال بسبب الملاحظة التي وجدناها مع جثة هولبرغ. محتملٌ أن لديه ابناً. إذا وقع الاغتصاب قبل العام 1964 سيكون اليوم ذلك الابن في الأربعين من عمره تقريباً. وربما كان هو الذي يقف خارج منزلك هنا الليلة».

نظرت إيلين إلى إرلندور، مشدوهة.

«ابن هولبرغ؟ هل ذلك ممكن؟».

«قلتِ إنه كان صورة طبق الأصل عنه».

«نعم، لكن...».

«أقلّـب الأمـر مـن كل وجوهـه فـي ذهني. فـي مكان ما من هذه القضية هناك حلقة مفقودة وأظن أن هذا الرجل قد يكون هي».

«لكن لماذا؟ ما الذي يفعله هنا؟».

«ألا تظنين أن ذلك واضح؟».

«ما هو الواضح؟».

قال إرلندور: «أنتِ خالة أخته»، وراقب ملامح إيلين تتغير بينما

كانت تستوعب تدريجياً ما كان إرلندور يعنيه.

قالت: «كانت أودور أخته. لكن كيف عرف بشأني؟ كيف عرف أين أعيش؟ كيف استطاع ربط هولبرغ بي؟ لم يكن هناك شيء عن ماضيه في الصحف، لا دليل على الاغتصاب أو على إنجابه لابنة، لم يكن أحد يعرف عن أودور. كيف يعرف ذلك الرجل من أنا؟».

«ربما سيخبرنا بذلك عندما نعثر عليه».

«هل هو قاتل هولبرغ، هل تظن ذلك؟».

قال إرلندور: «أنتِ تسألينني الآن إن كان قتل والده».

فكّرت إيلين، ثم قالت: «يا إلهي».

قال إرلندور: «لا أدري. إذا رأيته في الخارج مجدداً، اتصلي بي».

وقفت إيلين ومشت إلى النافذة التي تطل على الدرب؛ كأنها تتوقع رؤيته هناك مجدداً.

«أعرف أنني كنت بحال هستيرية نوعاً ما عندما اتصلت بك، وقلت إن هولبرغ كان هنا لأنني شعرت للحظة أنه قد يكون هو، كانت رؤيته صدمة فظيعة، لكنني لم أشعر بالخوف، كنت أشعر بالغضب أكثر من أي شيء شعور آخر، لكن أحسست حزناً دفيناً في صدر ذاك الرجل، من الطريقة التي كان يقف بها، والطريقة التي كان يحني رأسه بها. فكّرت في قرارة نفسي أنه يشعر أنه ليس على ما يرام، لا يمكن أن يشعر أنه على ما يرام. هل كان على اتصال بوالده؟ هل تعرف؟».

قال إرلندور: «لا أعرف بالتأكيد إن كان موجوداً فعلاً، ما رأيته يدعم نظرية واحدة. ليست لدينا خيوط تقودنا إلى ذلك الرجل، لا توجد أي صور له في شقة هولبرغ إذا كان ذلك ما تعنيه. لكن شخصاً

اتصل فعلاً بهولبرغ عدّة مرات قبل وقت قصير من مقتله، وكان قلقاً من تلك المكالمات، لا نعرف أي شيء غير ذلك».

أخرج إرلندور هاتفه الخلوي وطلب إلى إيلين أن تعذره للحظة.

صرخ سيغوردور أولي بصوت بدا الغضب فيه واضحاً: «ما هذه الورطة التي أوقعتنا فيها الآن؟ لقد ضربوا أنبوب الصرف الصحي وكان مليئاً بحشرات قذرة، ملايين الحشرات الصغيرة المقرفة تحت الأرضية. هذا مقرف. أين أنت بحق السماء؟».

«كيفلافيك. ألم يجدوا أي علامة تشير إلى غريتار؟».

قال سيغوردور أولي: «لا، ليست هناك أي علامة عن غريتار اللعين»، وأغلق الهاتف.

قالت إيلين: «هناك شيء آخر أيها المفتش، أدركت ذلك عندما قلت إنه قريب أودور. أعرف الآن أنني كنت على حق، لم أفهم الأمر حينئذٍ، لكن كانت هناك نظرة أخرى على وجهه ظننت أنني لن أراها مجدداً، كان وجهاً من الماضي لن أنساه أبداً».

قال إرلندور: «ماذا كان ذلك؟».

«لهذا لم أشعر بالخوف منه، لم أدرك ذلك في البداية، ذكّرني بأودور أيضاً، كان هناك شيء فيه ذكّرني بأودور».

29

أعـاد سـيغوردور أولـي هاتفه الخلـوي إلى الحاملة على حزامه، ومشى عائداً إلى المنزل. كان في الداخل مع عدد من أفراد الشرطة الآخريـن عندمـا اختـرق المثقـب الـذي يعمـل عبر الهـواء المضغوط القاعـدة، فانبعثـت رائحـة كريهـة جـداً لدرجة أنه كاد يتقيأ. أسـرع إلى الباب مثل كل شخص آخر كان في الداخل، وظنّ أنه سيخرج ما في جوفـه قبـل أن يخـرج إلـى الهـواء المنعش. عندما عـادوا إلى الداخل كانوا يضعون نظارات وكمّاماتٍ فوق أنوفهم وأفواههم، لكن الرائحة الكريهة كانت لا تزال تتسلل إليهم.

وسّـع عامـل المثقـب الحفـرة فـوق أنبـوب الصـرف الصحـي المكسـور، كان العمل قد أصبح سـهلاً بعد أن تجاوز الأرضية، يبدو أن فترةً طويلةً قد مضت على بقاء الأنبوب مكسوراً، لذلك تجمعت الفضـلات علـى مسـاحة كبيـرة تحت الأرضيـة، كان هناك بخار ظاهر للعيان تقريباً يخرج من الحفرة، أضاء بمصباحٍ حفرة القاذورات، فرأى أن التراب قد غار نصف ياردة على الأقل تحت قاعدة الأرضية.

كانت حفرة القاذورات مثل صندوق كبير تتجمع عليه حشرات سـوداء صغيرة. قفز إلى الخلف عندما رأى نوعاً من الكائنات يندفع متجاوزاً شعاع الضوء.

صـرخ وهـو يخـرج مـن القبو بخطوات سـريعة: «احذروا! هناك جـرذان تحـت ذلـك الشـيء اللعيـن. أغلقـوا الحفـرة واسـتدعوا فرقة مكافحة الحشرات، لنتوقف هنا، أوقفوا كل شيء حالاً!».

لم يعترض أحد. نشـر أحد أفراد الفريق الطبي ملاءة بلاسـتيكية فـوق الحفـرة علـى الأرضيـة وأصبـح القبـو خالياً بومضـة عين. مزّق سـيغوردور أولـي كمّامتـه عندمـا خـرج من القبو واستنشـق ملء رئتيه من الهواء المنعش، فعلوا جميعاً الشيء نفسه.

فـي طريـق عودتـه إلـى المنزل من كيفلافيك، سـمع إرلندور عن تقدم التحقيق في نوردورمايري. تم استدعاء موظف من فرقة مكافحة الحشرات، لكن الشرطة لن تفعل شيئاً حتى صبيحة اليوم التالي، بعد أن يتم القضاء على كل كائن حي في الأساسات. كان سيغوردور أولي قـد ذهـب إلـى منزلـه، ومـا كاد يخرجُ من الحمام حتى اتصل إرلندور بـه للحصـول علـى آخـر المعلومـات. كانـت إيلينبورغ قـد ذهبت إلى منزلها أيضاً. كما تم وضع حارس خارج شـقة هولبرغ في أثناء قيام موظف فرقة مكافحة الحشـرات بعمله. ووقفت سـيارتا شـرطة خارج المنزل طيلة الليل.

التقت إيفا ليند والدها عند الباب عندما وصل إلى المنزل. كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً. كانت عروس غاردابير قد غادرت المـكان، قبـل أن تذهـب كانـت قـد أخبرت إيفا ليند أنها سـتتكلم إلى زوجها لتكتشف ماهية شعوره، لم تكن واثقة إن كانت ستخبره بالسبب الحقيقـي لهروبهـا مـن حفـل زفافهمـا. حثّتها إيفا ليند على فعل ذلك، وقالـت إنهـا يجـب ألا تتسـتر علـى والدهـا الوغـد وأن آخـر ما يجب عليها القيام به هو التستر عليه.

جلسـا في غرفة الجلوس، أخبر إرلندور إيفا ليند كل ما وصل إليه التحقيق في جريمة القتل، فعل ذلك ليحظى على الأقل بنوع من الفهم للقضية كما يراها هو، وصورة أوضح لما كان يحدث في خلال

الأيام القليلة الماضية. أخبرها كل شيء تقريباً، من اللحظة التي عثروا بها على جثة هولبرغ في القبو، الرائحة في شقته، الملاحظة، الصورة القديمة في الدرج، الأفلام الخلاعية في حاسوبه، النقش على شاهدة القبر، كولبرون وشقيقتها إيلين، أودور وسبب موتها غير المعروف، الأحلام التي تراوده، إيليدي في السجن واختفاء غريتار، ماريون بريم، البحث عن ضحية هولبرغ الأخرى، والرجل أمام منزل إيلين والذي يبدو كأنّه ابن هولبرغ. حاول أن يقدم شرحاً منهجياً ويناقش مع نفسه نظريات وتساؤلات مختلفة، حتى وصل إلى طريق مسدود وتوقف عن الكلام.

لم يخبر إيفا ليند أن الدماغ كان مفقوداً من جسد الطفلة، لم يكن قد بدأ يفهم بعد كيف يمكن أن يحدث ذلك.

استمعت إيفا ليند إليه دون أن تقاطعه ولاحظت كيف كان إرلندور يفرك صدره عندما يتكلم. شعرت كم أثرت فيه قضية هولبرغ، كان باستطاعتها أن تشعر بنوع من الاستسلام لم تعهده فيه أبداً من قبل، شعرت بحزنه عندما تحدث عن الفتاة الصغيرة، كان الأمر كأنه ينسحب إلى داخل نفسه، صوته يصبح أكثر هدوءاً بينما يصبح هو أكثر بعداً.

سألت إيفا ليند: «هل أودور هي الفتاة التي أخبرتني عنها عندما كنت تصرخ علي هذا الصباح؟».

قال إرلندور: «لا أدري، ربما كانت هبة إلهية لوالدتها، لقد تضاعفت محبتها لابنتها بعد موتها. آسف إذا كنت قد جرحتك، لم أكن أقصد ذلك، لكن عندما رأيت الطريقة التي تعيشين بها، عندما رأيت موقفك بعدم المبالاة وافتقارك لاحترام الذات، عندما رأيت الدمار، وكل ما تفعلينه لنفسك، ثم شاهدت الكفن الصغير يخرج من

باطن الأرض، لم أعد عندها أفهم شيئاً على الإطلاق، لا يمكنني أن أفهم ما يحدث وأريد أن...».

أطبق الصمت على إرلندور.

أنهت إيفا ليند الجملة بدلاً عنه: «تضربني ضرباً مبرّحاً».

«لا أعرف ما أريد فعله، ربما كان من الأفضل ألا أفعل شيئاً، ربما من الأفضل أيضاً أن أترك الأمور تأخذ مجراها، أنسى العمل كله. أبدأ فعل شيء محسوس. لماذا سأرغب في التورط بكل هذا؟ كل هذا الهراء. أتكلم إلى أشخاص مثل إيليدي. أعقد صفقات مع تافهين مثل إيدي. أرى أشخاصاً مثل هولبرغ يفلتون بفعلتهم. أقرأ تقارير اغتصاب، أنقّب في أساسات منزل مليئة بالحشرات والقاذورات، أنبش أكفاناً صغيرة».

ضرب إرلندور صدره بقوة أكبر.

«أتظن أن ذلك لن يؤثر عليك؟ أتعتقد أنك قوي بما يكفي لتتحمل أشياء من ذلك النوع؟ أتظن أن باستطاعتك اكتساب مناعة ضد ذلك بمرور السنين ويمكنك مشاهدة كل القذارة من بعيد كأنها ليست من شأنك، وتحاول الحفاظ على رباطة جأشك؟ لكن ليست هناك أي مسافة، وليست هناك أي مناعة، لا أحد قوي بما يكفي، يلازمك الاشمئزاز كأنه شبح شرير في ذهنك، لا يتركك بسلام حتى تعتقد أن القذارة هي الحياة نفسها وتنسى كيف يعيش الناس العاديون. هذه قضيتك؛ مثل ذلك الأمر، مثل شبح شرير تم إطلاقه ليعيث فساداً في ذهنك ولا يتركك إلا مُقعداً».

أطلق إرلندور تنهيدة عميقة. «إنه مستنقع واحد كبير لعين».

توقف عن الكلام وجلست إيفا ليند بصمت معه.

مرّ بعض الوقت على تلك الحال حتى نهضت، جلست إلى

جانب والدها، وضعت ذراعها حوله وأسندت رأسها على صدره، كان باستطاعتها سماع قلبه يخفق بإيقاع منتظم، مثل ساعة تدق بصوت خافت، وغفت أخيراً وابتسامة قانعة ترتسم على وجهها.

30

نحو الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي اجتمع فريقا الطب الشرعي والبحث الجنائي أمام منزل هولبرغ، قبل أن يبزغ فجر ذلك الصباح. كانت السماء مظلمة والمطر منهمراً. أبلغت النشرة الجوية في محطات الإذاعة أن المطر في ريكيافيك يقترب من المعدل القياسي الذي سُجِّل في تشرين الثاني من العام 1926.

انتهوا من تنظيف أنبوب الصرف الصحي ولم يجدوا شيئاً حياً في الأساسات. كان قد تم توسيع الحفرة في قاعدة المنزل بحيث يتمكّن رجلان من النزول عبرها معاً. كان مالكو الشقق في الطوابق العليا يقفون معاً خارج باب القبو. كانوا قد اتصلوا بسبّاك لإصلاح الأنبوب وينتظرون استدعاءه حالما تمنحهم الشرطة الإذن.

سرعان ما تبين أن المنطقة الخاوية حول أنبوب الصرف الصحي كانت صغيرة نسبياً. كانت مساحتها تقارب الثلاث ياردات مربعة ومحصورة لأن التراب في الأسفل لم يكن قد غار بعيداً عن قاعدة الأرضية. اهترأ الأنبوب من المكان القديم نفسه، كان الإصلاح القديم ظاهراً للعيان، وهناك نوع من الحصى تحت الأنبوب مختلف عن ذلك الموجود حوله. ناقش فنيو فريق الطب الشرعي إمكانية توسيع الحفرة أكثر، ونبش الحصى من الأساسات وإفراغها في الخارج كي يستطيعوا رؤية كل ما يوجد تحت قاعدة الأرضية. بعد النقاش قرّروا أن القاعدة قد تنكسر إذا تم إفراغ ما يوجد تحتها بشكل كامل، لهذا اعتمدوا طريقة أفضل وأكثر تطوراً من الناحية التقنية، حفروا ثقوباً

عبر الأرضية هنا وهناك، وقاموا بإدخال آلة تصوير صغيرة عبرها إلى الأساسات.

راقب سيغوردور أولي ما يجري عندما بدأوا يحفرون ثقوباً في الأرضية، ثم جاؤوا بشاشتين كانتا متصلتين بآلتي التصوير اللتين كان فريق الطب الشرعي يستخدمهما، كانت آلتا التصوير مثل أنبوبين مع ضوء من الأمام يمكن تمريرهما عبر الثقوب وتحريكهما بالتحكم عن بعد، كما تم حفر ثقوب في الأرضية، حيث توجد على ما يبدو تجويفات تحتها، مُرّرَت آلتا التصوير إلى الداخل وشُغِّلت الشاشتان. ظهرت الصورة بالأبيض والأسود وبدت سيئة للغاية بالنسبة إلى سيغوردور أولي الذي يمتلك مجموعة ألمانية كلفتها نصف مليون كرونا.

وصل إرلندور إلى القبو عندما بدأوا السبر باستخدام آلتي التصوير، وبعد ذلك بوقت قصير ظهرت إيلينبورغ في المكان. لاحظ سيغوردور أولي أن إرلندور كان قد حلق ذقنه وارتدى ملابس نظيفة تبدو كأنها قد كُويَت.

سأل إرلندور: «هل ظهر شيء؟»، وأشعل لفافة تبغ مما أثار انزعاج سيغوردور أولي.

قال سيغوردور أولي: «سيُجرون سبراً باستخدام آلتي تصوير. يمكننا مراقبة ما يجري عبر الشاشة».

قال إرلندور وهو يبتلع الدخان: «لا يوجد شيء في الصرف الصحي؟».

«حشرات وجرذان، لا يوجد شيء آخر».

قالت إيلينبورغ وهي تُخرج منديلاً معطّراً كانت تحمله في حقيبة يدها: «الرائحة كريهة هنا». عرض إرلندور عليها لفافة تبغ، لكنها رفضت.

قال إرلندور: «ربما استخدم هولبرغ الحفرة التي حفرها السبّاك ليضع غريتار تحت الأرضية، لا بد أنه لاحظ أن هناك تجويفاً تحت قاعدة الأرضية، وربما نقل الحصى الموجودة هناك بعد أن وضع غريتار في المكان الذي أراده».

تجمّعوا حول الشاشة لكنهم لم يميّزوا شيئاً مما كانوا يشاهدونه. كان ضوء صغير متوهج يتحرك جيئة وذهاباً، إلى الأعلى والأسفل وإلى كلا الجانبين. أحياناً كانوا يظنون أن باستطاعتهم رؤية محيط قاعدة الأرضية وأحياناً كانوا يرون الحصى. لأن الأرض غارت بدرجات متفاوتة. في بعض الأماكن كانت تصل إلى القاعدة، بينما في مكان آخر توجد فجوة تصل إلى ثلاثة أقدام.

وقفوا وقتاً طويلاً يراقبون آلتي التصوير. كانت هناك ضوضاء في القبو لأن فريق الطب الشرعي كان يحفر باستمرار ثقوباً جديدة. وسرعان ما فقد إرلندور صبره وخرج من المكان، تبعته إيلينبورغ بسرعة ثم سيغوردور أولي، جلسوا جميعاً في سيارة إرلندور. كان قد أخبرهما في الليلة الماضية عن سبب رحلته المفاجئة إلى كيفلافيك، لكن لم تسنح لهم الفرصة لمناقشة الأمر بالتفصيل.

«بالطبع هذا يتناسب مع الرسالة التي وجدناها في نوردورمايري، وإذا كان الرجل الذي رأته إيلين في كيفلافيك يشبه هولبرغ، فإن ذلك يتوافق مع النظرية بشأن ابنه الثاني».

قال سيغوردور أولي: «ربما لم يكن هولبرغ قد أنجب ولداً بعد الاغتصاب، ليس لدينا دليل يدعم هذه النظرية، عدا أن إيليدي يعرف بعلاقة هولبرغ بامرأة أخرى، هذا كل ما لدينا. إضافة إلى ذلك، إيليدي معتوه».

قالت إيلينبورغ: «لم يذكر أحد من الذين تكلمنا إليهم أن لهولبرغ ابناً».

قـال سـيغوردور أولـي: «لـم يعرف أحد مـن الذين تكلمنا إليهم من هو هولبرغ، ذلك هو القصد. كان منعزلاً، لا يختلط سوى ببعض زمـلاء العمـل، يحمّـل أفلامـاً خلاعية من الإنترنت، يخرج مع مغفّلين مثل إيليدي وغريتار، لا يوجد أحد يعرف شيئاً عن الرجل».

قال إرلندور: «ما أتساءل عنه هو الآتي: إذا افترضنا أن لهولبرغ ابناً، كيف عرف بشـأن إيلين، خالة أودور؟ ألا يعني ذلك أنه يعرف أيضـاً بـأن أودور هـي أختـه؟ إذا كان يعـرف بشـأن إيليـن، أفترض أنه يعرف بشأن كولبرون والاغتصاب أيضاً. علماً أن وسائل الإعلام لم تذكر شيئاً عن تفاصيل التحقيق. من أين حصل على معلوماته؟».

قال سـيغوردور أولي: «ألا يعقل أن يكون قد حصل عليها من هولبرغ قبل أن يقضي عليه بضربة قاتلة؟ أليس ذلك محتملاً؟».

قالت إيلينبورغ: «ربما عذّبه ليجعله يعترف».

قال إرلندور: «أولاً، لا نعرف إن كان هذا الرجل موجوداً حقاً. كانـت إيليـن منفعلـة جـداً عندما رأتـه. على افتراض أنه موجود فعلاً، ليسـت لدينا أي فكرة عن قتله لهولبرغ، ولا حتى إذا كان يعرف أن والـده موجـود، نظـراً لولادتـه فـي مثل تلك الظـروف، بعد اغتصاب. قال إيليدي إن هناك امرأة قبل كولبرون لقيت المعاملة نفسها، وربما أسـوأ. هذا إذا حملت نتيجة تلك العلاقة، أشـك في أن الأم سـتكون متلهفة جداً لتفصح عن اسم الأب، لم تبلّغ الشرطة بما حدث، ليس في ملفاتنا أي شيء عن حالات اغتصاب أخرى قام بها هولبرغ. لا يزال يتوجب علينا أن نعثر على تلك المرأة، إذا كانت موجودة...».

قال سيغوردور أولي: «ونحن ندمر أساسات منزل بحثاً عن رجل ربما لا علاقة له بالقضية».

قالت إيلينبورغ: «ربما غريتار ليس تحت الأساسات هنا».

قال إرلندور: «كيف ذلك؟».

قال سيغوردور أولي: «هل تقصدين أنه ربما لا يزال على قيد الحياة؟».

قالت إيلينبورغ: «كان يعرف كل شيء عن هولبرغ، كما أظن، هو يعرف بشأن الطفلة، وإلا لما التقط صورة لقبرها. كان يعرف بالتأكيد كيف جاءت إلى العالم. إذا كان لهولبرغ ولد آخر، ابن، لا بد أنه كان يعرف ذلك أيضاً».

نظر إرلندور وسيغوردور أولي إليها باهتمام متزايد.

تابعت: «ربما لا يزال غريتار موجوداً، وعلى اتصال بالابن. قد يفسر ذلك كيف يعرف الابن بشأن إيلين وأودور».

قال سيغوردور أولي: «لكن غريتار اختفى قبل 25 سنة مضت، ولم يسمع أحد عنه شيئاً منذ ذلك الوقت».

قالت إيلينبورغ: «اختفى لا يعني بالضرورة أنه مات».

شرع إرلندور بالقول: «إذاً لهذا...»، لكن إيلينبورغ قاطعته.

«لا أظن أننا سنعثر عليه هنا. لماذا لا نقرُّ باحتمال أن غريتار لا يزال على قيد الحياة؟ لم يتم العثور على جثته أبداً، ربما غادر البلاد، ربما كان كافياً بالنسبة إليه الانتقال إلى الريف، لم يكن أحد يهتم بذلك أبداً. لم يفتقده أحد».

قال إرلندور: «لا أتذكر أي حال مشابهة».

سأل سيغوردور أولي: «عن ماذا؟».

«شخص مفقود يعود بعد جيل كامل، بعد أن مات أناسٌ كثيرون في أيسلندا كان يعرفهم ويعرفونه. لم يعد أحد بعد مدة غياب لأكثر من 25 سنة. أبداً».

31

ترك إرلندور زملاءه في نوردورمايري وذهب إلى بارونستيغور للقاء أخصائي علم الأمراض. كان الطبيب قد أنهى تشريح هولبرغ وغطّى الجثة عندما قابله إرلندور. لم تكن ممكنة رؤية جثة أودور.

سأل أخصائي علم الأمراض مباشرة عندما دخل إرلندور عليه: «هل وجدتم دماغ الفتاة؟».

قال إرلندور: «لا».

«تكلمت إلى أستاذة، صديقة قديمة من الجامعة، وشرحت الأمر لها؛ آمل أن يكون ذلك مناسباً، ولم تتفاجأ باكتشافنا الصغير. تلك القصة القديمة لهالدور لاكزنس [مؤلف أيسلندي حصل على جائزة نوبل للآداب للعام 1955]، هل قرأتها؟».

قال إرلندور: «القصة عن نبوخذ نصّر؟ لقد خطرت ببالي في الأيام الأخيرة؟».

«ألا تدعى تلك القصة زنبق؟ لقد مرّ وقت طويل منذ قرأتها، تحدثت عن بعض طلاب الطب الذين ينبشون الجثث من القبور ويضعون حجارة داخل الأكفان، وذلك ما حدث أساساً. لم يكن أحد يحتفظ بأي سجلات عن ذلك في الأيام الخوالي، كما تصف القصة تماماً، كان يتم تشريح جثث الأشخاص الذين يموتون في المستشفى، إلا إذا كان ذلك محظوراً، وبالطبع كان التشريح لأهداف تعليمية، أحياناً كانوا ينتزعون عينات من جسد الميت، من أعضاء كاملة إلى أنسجة ثانوية، ثم يتم وضع ما تبقّى من الجسد داخل كفن

ويُدفن بشكل لائق، هذه الأيام الأمر مختلف، لا يتم إجراء التشريح إلا بعد الحصول على موافقة الأقرباء، ويتم انتزاع الأعضاء لأغراض تعليمية وبحثية فقط عند توفر شروط معينة. لا أظن أن شيئاً يُسرق هذه الأيام».

«لا تظن ذلك؟».

هزّ أخصائي علم الأمراض كتفيه.

قال إرلندور: «نحن لا نتكلم عن نقل أعضاء، أليس كذلك؟».

«هذه قضية مختلفة تماماً، الناس مستعدون عادة لمساعدة آخرين إذا كانت مسألة حياة أو موت».

«وأين بنك الأعضاء؟».

قال أخصائي علم الأمراض: «هناك آلاف العينات في هذا المبنى وحده، هنا في بارونستيغور. الجزء الأكبر منها هي مجموعة دونغال، أكبر بنك للعينات الإحيائية [البيولوجية] في أيسلندا».

سأل إرلندور: «هل يمكنك أن تُريني إياها؟ هل هناك سجل للأشخاص الذين يتم أخذ العينات منهم؟».

«الأمر موثق تماماً، كنت قد تأكّدت من عيناتنا بنفسي لكنني لم أجد شيئاً».

«أين هي؟».

«يجب أن تتكلم إلى الأستاذة وتسمع ما ستقوله. أظن أن هناك بعض السجلات في الجامعة».

سأل إرلندور: «لماذا لم تخبرني بذلك مباشرة؟. عندما اكتشفت أنه قد تم انتزاع الدماغ؟ هل كنت تعرف بهذا الخصوص؟».

«تكلم إليها وعد إلي. ربما أكون قد أخبرتك أشياء كثيرة الآن».

«هل سجلات المجموعة في الجامعة؟».

قال أخصائي علم الأمراض: «نعم، وفقاً لما أعرفه»، وزوّده باسم الأستاذة وطلب إليه أن يسمح له بمتابعة عمله.

قال إرلندور: «إذاً أنت تعرف بشأن مدينة المرطبانات».

قال أخصائي علم الأمراض: «كانوا يطلقون على إحدى الغرف هنا مدينة المرطبانات. إنها مغلقة الآن، لا تسألني ماذا حدث للمرطبانات، لأنه ليست لدي أدنى فكرة».

«هل تجد أن التكلم عن هذا أمرٌ غير مريح؟».

«ألا يمكنك أن تكتفي بذلك؟».

«ماذا؟».

«كفى».

كانت الأستاذة هانا، عميدة كلية الطب في جامعة أيسلندا، تحدّق عبر الطاولة، إلى إرلندور كأنه كان ورماً سرطانياً يجب إزالته من مكتبها بأسرع وقت ممكن. كانت إلى حدّ ما أصغر سناً من إرلندور لكنها حازمة، تتكلم وتجيب بسرعة، وتعطي انطباعاً أنها لا يمكن أن تتحمل أي هراء أو استطراد غير ضروري. طلبت إلى إرلندور بفظاظة أن يدخل في صلب الموضوع مباشرةً، عندما شرع في إلقاء خطاب طويل بشأن أسباب مجيئه إلى مكتبها. ابتسم إرلندور لنفسه، كانت قد أعجبته مباشرة، وأدرك أنهما سيتشاجران قبل أن ينتهي اجتماعهما. كانت ترتدي بذلة داكنة، ممتلئة الجسم، لا تضع زينة، قصيرة، شعرها أشقر، كانت يداها ناعمتين، وتعبير وجهها رزيناً ووقوراً. كان إرلندور يتمنّى رؤيتها تبتسم، لم تتحقق أمنيته.

كان قد أزعجها خلال محاضرة كانت تشارك فيها، طرق على الباب ليسأل عنها كأنه ضلّ طريقه. تقدمت نحو الباب وطلبت إليه بلطف أن ينتظر حتى تنتهي المحاضرة، وقف إرلندور في الممر، كأنه تلميذ لم يؤدِ فروضه المدرسية، ربع ساعة قبل أن يُفتح الباب. خرجت هانا إلى الممر بخطوات واسعة، وتجاوزت إرلندور وطلبت إليه أن يتبعها. تكبّد مشقة ليفعل ذلك. كانت تمشي خطوتين مقابل كل خطوة منه.

قالت وهي تمشي مسرعة، تلتفت قليلاً كأنها تتأكد بنفسها أن إرلندور يستطيع اللحاق بها: «لا أفهم ما تريده إدارة البحث الجنائي مني».

قال إرلندور وهو يلهث: «ستعرفين ذلك».

قالت هانا وهي تدله على مكتبها: «آمل ذلك طبعاً».

عندما أخبرها إرلندور بما يقوم به جلست وفكّرت في الأمر وقتاً طويلاً. تابع إرلندور وصفه لما حدث لأودور ووالدتها والتشريح والتشخيص والدماغ الذي تم انتزاعه.

سألت أخيراً: «أي مستشفى قلت إن الفتاة دخلته؟».

«كيفلافيك. كيف تحصلون على أعضاء بشرية للتدريس؟».

حدّقت هانا إلى إرلندور.

«لا أعرف إلام ترمي».

قال إرلندور: «تستخدمون أعضاء بشرية لأغراض تعليمية، عينات إحيائية كما أظن أنهم يطلقون عليها. لست خبيراً، لكن السؤال بسيط جداً، من أين تحصلون عليها؟».

قالت: «لست مخوّلةً للإجابة عن أي سؤال بهذا الموضوع»،

وبدأت تقلّب بعض الأوراق الموجودة على مكتبها كأنها مشغولة جداً ولا يمكنها إيلاء اهتمام كافٍ بإرلندور.

قـال إرلنـدور: «مهـمٌ جـداً بالنسـبة إلينـا في الشـرطة، أن نعرف إذا كان الدمـاغ لا يـزال موجـوداً. مـن المحتمـل أن يكـون ذلـك فـي سجلاتكم. وربّما خضع للدراسة في ذلك الوقت ولم تتم إعادته إلى مكانه الطبيعي، ربما هناك تفسـير بسـيط جداً لذلك. اسـتغرق فحص الـورم بعـض الوقـت وكان يجـب دفن الجثة، الجامعة والمستشـفيات همـا المكانـان الأكثـر ترجيحـاً لتخزيـن الأعضـاء. يمكنـك الجلوس هنـاك بوجهـك الجامـد، كمـا يمكنني القيام ببعض الإجراءات التي قد تسـبب إزعاجـاً لـك، للجامعة وللمستشـفيات. فكّـري فقط كم يمكن أن تكون وسـائل الإعلام متعبة، ولدي بالصدفة بعض الأصدقاء في الصحف».

ألقت هانا نظرة طويلة على إرلندور، الذي حدّق إليها بالمثل.

قالت أخيراً: «الغراب يموت جوعاً إذا جلس».

أنهى إرلندور المثل: «لكنه يجيد الطيران».

«كانـت تلـك حقـاً القاعـدة الوحيـدة في هـذا المجال، لكنني لا أسـتطيع إخبـارك شـيئاً، كمـا يمكنـك أن تتخيـل، هذه قضايا حسّاسـة جداً».

قـال إرلنـدور: «أنـا لا أحقـق في الأمر باعتباره عملاً إجرامياً. لا أعرف حتى إن كان ذلك ينطوي على سرقة عضو بشري. ما تفعلونه بالموتى ليس من شأني، إذا بقي ضمن حدود معقولة».

أصبح تعبير وجه هانا أكثر جموداً.

«إذا كان هذا ما تتطلبه احتياجات مهنة الطب، أنا واثق أنه عمل يمكن تبريره من قبل بعض الناس. أنا بحاجة إلى معرفة مكان عضو

محدد من شخص محدد لدراسته مجدداً، وإذا استطعنا اقتفاء تاريخه من وقت انتزاعه حتى اليوم الحالي، سأكون ممتناً جداً لذلك. هذه معلومات سرية لغاية في نفس يعقوب».

«أي نوع من المعلومات السرية؟».

«لا يمكن أن أسمح ببقاء الوضع على هذه الحال مدة أطول. يجب أن نسترجع العضو إذا كان ذلك ممكناً. ما كنت أتساءل عنه هو: لماذا لم يكن كافياً أخذ عينة؟ ولماذا انتُزِع العضو كله».

قالت هانا بعد تفكير: «بالطبع لا أعرف بالتحديد القضية التي تشير إليها، لكن القوانين السارية المفعول الآن بشأن عمليات التشريح أكثر تشدُّداً مما كان سائداً في السابق. إذا كانت هذه القضية من الستينيات قد يكون ذلك حدث، ولا أستبعد ذلك. تقول إنه تم تشريح جثة الفتاة رغم إرادة والدتها، ليست هذه أول حال من نوعها. اليوم، يُطلب إلى الأقارب بعد الوفاة مباشرة الإذن لتشريح الجثة. يمكنني القول إن رغباتهم تُحترم ما عدا بعض الحالات الاستثنائية، قد ينطبق ذلك على تلك القضية، وفاة طفل أبشع شيء يمكن للمرء أن يتعامل معه. لا توصف المأساة التي تعصف بالناس الذين يفقدون طفلاً؛ ويمكن لطلب الإذن بتشريح الجثة أن يكون مزعجاً بشكل لا يوصف أيضاً».

توقفت هانا عن الكلام قليلاً.

تابعت: «لدينا بعض هذه الحالات موثّقة في حواسبنا، والباقية في الأرشيف مخزّنة في هذا المبنى. إنهم يحتفظون بسجلات تفصيلية، توجد أكبر مجموعة أعضاء بشرية لصالح المستشفيات في بارونستيغور. تدرك أن جزءاً من التعليم الطبي يتم هنا في الحرم الجامعي، هذا شيء يتم في المستشفيات، إنها الأماكن التي يكتسب

فيها المرء المعرفة الطبية».

قـال إرلنـدور: «لـم يرغـب أخصائي علـم الأمراض في إطلاعي على بنك الأعضاء. طلب مني التحدث إليك أولاً. هل للجامعة أي رأي في المسألة؟».

قالـت هانـا مـن دون أن تجيـب عن سـؤاله: «هيـا بنا. لنرى ماذا يوجد في الحواسب».

وقفت وتبعها إرلندور. استخدمت مفتاحاً لفتح باب غرفة واسعة وأدخلت كلمة سر في لوحة جهاز أمني على الجدار إلى جانب الباب. ذهبت إلى طاولة، وشغّلت حاسوباً، بينما كان إرلندور يُجيل نظره في المكان. لم تكن هناك نوافذ في الغرفة بل صفوفٌ من خزائن ملفات على امتداد الجدران. سألت هانا عن اسم أودور كاملاً وتاريخ وفاتها، وأدخلتهما في الحاسوب.

قالت وهي تستغرق في تفكير عميق وتحدّق إلى الشاشة: «إنها ليست هنا. يعود تاريخ الملفات الحاسوبية إلى العام 1984 فقط. قمنا بتخزين كل البيانات رقمياً منذ تاريخ إنشاء كلية الطب، لكننا لم نتجاوز ذلك في سجلاتنا بعد».

قال إرلندور: «إنها في خزائن الملفات إذاً».

قالت هانا وهي تنظر إلى الساعة: «ليس من وقت لدي حقاً لكل هذا، يُفترض أن أكون في مدرّج المحاضرات مجدداً».

ذهبت في اتجاه إرلندور وألقت نظرة سريعة في الأنحاء، مشت بين الخزائن وقرأت لصاقاتها. سحبت درجاً هنا وآخر هناك وتصفّحت بعض الوثائق، لكنها أغلقتها بسرعة مجدداً. لم تكن لدى إرلندور أي فكرة عمّا تضمّه الملفات.

سأل: «هل لديكم سجلات طبية هنا؟».

تأوهت هانا، قالت وهي تغلق درجاً آخر بعنف: «لا تقل لي إنك هنا من قبل لجنة سرية البيانات».

قال إرلندور: «أسأل فقط».

أخرجت هانا تقريراً وقرأت فيه.

قالت: «هناك شيء عن العينات الإحيائية لعام 1968. توجد عدّة أسماء هنا، لا شيء يهمّك». أعادت التقرير إلى الخزانة، أغلقت الدرج وسحبت آخر». قالت: «يوجد المزيد، مهلاً، إنه اسم الفتاة، أودور، واسم والدتها. هذا هو».

قرأت هانا التقرير بسرعة.

قالت كأنها تحدّث نفسها: «انتُزع عضو واحد، أُخذ إلى مستشفى كيفلافيك، إذن أقرب شخص لها... لا يوجد شيء هناك. لا يوجد شيء هنا عن التخلص من العضو».

أغلقت هانا الملف. «لم يعد موجوداً».

سأل إرلندور من دون أن يحاول إخفاء فضوله: «هل لي برؤية ذلك؟».

قالت هانا وهي تعيد الملف إلى الدرج وتغلقه: «لن تعرف شيئاً منه، لقد أخبرتك بما تريد معرفته».

«ماذا يفيد؟ ما الذي تخفينه؟».

قالت هانا: «لا أخفي شيئاً، والآن يجب أن أعود إلى محاضرتي».

قال وهو يمشي نحو الباب: «إذاً سأحصل على مذكرة تفتيش، وأعود في وقت لاحق اليوم، ومن الأفضل أن يكون ذلك التقرير في مكانه».

قالت عندما فتح إرلندور الباب وأوشك على المغادرة: «هل تعد

أن المعلومات الموجودة هنا لن تخرج إلى أي مكان؟».

«لقد قلت لك ذلك، هذه معلومات سرية بالنسبة إليّ».

قالت هانا وهي تفتح الخزانة مجدداً وتسلّمه الملف: «إذاً ألقِ نظرة عليه».

أغلق إرلندور الباب، أمسك بالملف وانغمس بقراءته. أخرجت هانا علبة لفائف تبغ وأشعلت واحدة بينما كانت تنتظر أن ينتهي إرلندور من القراءة. تجاهلت لافتة ممنوع التدخين وسرعان ما امتلأت الغرفة بالدخان.

«من إيدال؟».

«أحد أهم علمائنا في مجال الأبحاث الطبية».

«ما الذي كان هنا ولم ترغبي في أن أراه؟ ألا يمكنني التكلم إلى هذا الرجل؟».

لم تجب هانا.

قال إرلندور: «ما الذي يجري؟».

تنهّدت هانا، وقالت أخيراً: «كنت أعرف أنه يحتفظ ببعض الأعضاء لنفسه».

قال إرلندور: «الرجل يجمع أعضاء؟».

«يحتفظ ببضعة أعضاء، تمثّل مجموعة صغيرة».

«جامع أعضاء؟».

قالت هانا: «هذا كل ما أعرفه».

قال إرلندور: «هل يُعقل أن يكون قد حصل على الدماغ. يُقال هنا إنه حصل على عينة للدراسة. هل هذه مشكلة لك؟».

كرّرت عبر أسنان مصطكة: «إنه أحد علمائنا البارزين».

صرخ إرلندور: «إنه يحتفظ بدماغ طفلة عمرها أربع سنوات على رف موقده!».

قالت: «لا أتوقع منك أن تفهم العمل العلمي».

«ما الذي يجب أن أفهمه بهذا الشأن؟».

صرخت هانا: «ما كان يجب عليَّ أن أسـمح لك بالدخول إلى هنا أبداً».

قال إرلندور: «لقد سمعت ذلك من قبل».

32

عثرت إيلينبورغ على المرأة من هوسافيك.

لا يزال لديها اسمان على لائحتها، لهذا تركت سيغوردور أولي في نوردورمايري مع فريق الطب الشرعي. كان رد فعل المرأة الأولى مألوفاً، وتجلّى بدهشة كبيرة، لكنها مصطنعة نوعاً ما، إذ سبق لها أن سمعت القصة من قبل في مكان آخر، وحتى عدّة مرات، قالت إنها في الحقيقة كانت تتوقع مجيء الشـرطة إليها. رفضت المرأة الثانية، الأخيرة على لائحة إيلينبورغ، التكلم إليها، رفضت السماح لها بدخول منزلهـا. أغلقـت البـاب وهـي تقـول إنهـا لا تعرف مـا كانت إيلينبورغ تتكلم عنه ولا يمكنها مساعدتها.

لكـن المـرأة كانـت متـرددة نوعـاً ما، بدا أنها قد اسـتجمعت كل شـجاعتها لتقـول ذلـك الـكلام وشـعرت إيلينبورغ بأنهـا تمرّنت على ذلـك، كانـت تتصـرف كأنهـا تتوقع الشـرطة، لكن بخلاف الأخريات، لم تكن ترغب في أن تعرف شـيئاً، كل ما كانت تريده هو التخلص من إيلينبورغ بسرعة.

كان باستطاعة إيلينبورغ أن تقول إنها قد عثرت على المرأة التي كانوا يبحثون عنها. ألقت نظرة أخرى على وثائقها. كان اسـم المرأة كاترين، وهي مديرة قسم في مكتبة مدينة ريكيافيك. كان زوجها مدير وكالة إعلان كبيرة. قاربت الستين سنةً، ولديها ثلاثة أولاد، جميعهم ولدوا بين العامين 1958 و1962. كانت قد انتقلت من هوسافيك في العام 1962 وتقيم في ريكيافيك منذ ذلك الوقت.

قرعت إيلينبورغ الجرس مجدداً.

قالـت عندمـا فتحـت كاتريـن الباب مجدداً: «أظن أنكِ يجب أن تتكلمي معي».

نظرت المرأة إليها.

قالت مباشرة بنبرة صوت حادّة بشكل مفاجئ: «ليس هناك شيء يمكنني مساعدتك به. أعرف القضية التي تعملين عليها. لقد سمعت الإشـاعات، لكننـي لا أعـرف عـن أي اغتصـاب، آمـل أن تتمكني من النجاح في ذلك، لا تزعجيني مجدداً».

حاولت إغلاق الباب بوجه إيلينبورغ.

«قـد أقتنـع بذلـك، لكـن مفتشـاً يدعـى إرلندور يحقـق في مقتل هولبـرغ، لـن يقتنـع. فـي المرة التالية التي تفتحين فيها الباب سـيكون واقفاً هنا ولن يغادر، لن يسمح لك بإغلاق الباب في وجهه، يمكنه استدعاؤك إلى المخفر إذا استدعى الأمر ذلك».

قالـت كاتريـن بينمـا كان البـاب يُغلـق: «دعينـي وشـأني مـن فضلك».

قالت إيلينبورغ في قرارة نفسها أتمنى لو أستطيع ذلك. أخرجت هاتفهـا الخلـوي واتصلـت بإرلنـدور، الذي كان يغادر الجامعة آنذاك، شـرحت إيلينبورغ الوضع له، قال إنه سـيكون هناك في خلال عشـر دقائق.

لم يتمكّن إرلندور من رؤية إيلينبورغ في أي مكان خارج منزل كاترين عندما وصل، لكنه تعرّف على سيارتها في ساحة الوقوف. كان منـزلاً كبيـراً مسـتقلاً فـي مقاطعـة فوغار، مؤلفاً مـن طابقين مع مرأب مزدوج، قرع الجرس ولدهشته فتحت إيلينبورغ الباب.

قالت بصوت خافت وهي تدعو إرلندور إلى الدخول: «أظن أنني قد عثرت عليها، خرجت إلي واعتذرت عن تصرفها، قالت إنها تفضّل التحدث إلينا هنا بدلاً من المخفر، كانت قد سمعت قصصاً عن الاغتصاب وتتوقع مجيئنا».

دخلت إيلينبورغ المنزل أمام إرلندور وصولاً إلى غرفة الجلوس حيث كانت كاترين تقف، هزّت رأسها وحاولت أن تبتسم، لكنها لم تتمكّن من ذلك، كانت محتشمة في ملابسها، ترتدي تنّورة رمادية وكنزة بيضاء، كان شعرها بنياً كثيفاً يصل إلى كتفيها، ممشّطاً إلى أحد جانبي رأسها. كانت طويلة، ساقاها رفيعتين وكتفاها صغيرتين، جميلة، تعبير وجهها لطيفاً لكن القلق بادٍ عليه.

نظر إرلندور حوله في أرجاء غرفة الجلوس، الطاغي عليها كتباً مرتّبة على رفوف في خزائن زجاجيةٍ مغلقة. وُضِعت منضدة كتابة جميلة إلى جانب إحدى خزائن الكتب، وأثاث جلدي قديم لكنه بحال جيدة وسط الغرفة، وطاولة صغيرة في إحدى الزوايا، عُلّقت لوحات على الجدران بألوان مائية ضمن إطارات جميلة، تمثّل صوراً لعائلتها، ألقى إرلندور نظرة عن كثب إليها، كانت كل الصور قديمة؛ الفتيان الثلاثة مع والديهم، كان قد تم التقاط أحدثها في أثناء احتفالهم الديني. لم يكن يبدو أنهم قد تخرجوا من مدرسة أو جامعة، أو تزوجوا.

قالت كاترين بنبرة أسف ظاهر عندما رأت إرلندور ينظر حوله: «سنشتري منزلاً أصغر، إنه كبير جداً علينا، هذا المنزل الضخم».

سأل إرلندور.

«زوجك، هل هو في المنزل أيضاً؟».

«لن يعود ألبرت إلى المنزل قبل المساء، إنه في الخارج، آمل

أن ننهي كلامنا عن الأمر قبل أن يعود».

سـألت إيلينبورغ: «ألا يجب أن نجلس؟». اعتذرت كاترين عن فظاظتهـا ودعتهمـا إلـى الجلوس. جلسـت على الأريكة وحيدةً، بينما جلس إرلندور وإيلينبورغ على كرسيين جلديين قبالتها.

سـألت كاتريـن وهـي تنقّـل نظرها بينهمـا: «ما الذي تريدانه مني بالضبـط؟ لا أفهـم كيـف زُجِجـتُ فـي هـذه القضيـة، الرجل ميت، لا شأن لي بذلك أبداً».

قال إرلندور: «كان هولبرغ مغتصباً، اغتصب امرأة في كيفلافيك، ونتيجـة لذلـك أنجبـت ابنـةً، عندمـا بدأنـا نحقق بدقـة أكثر قيل لنا إنه فعل ذلك من قبل، لامرأة من هوسافيك، بعمر الضحية الثانية نفسه، لا نعـرف إذا اغتصـب هولبـرغ غيرهمـا، فـي وقت لاحق، لكن يجب أن نعرف ضحيته من هوسافيك. قُتِلَ هولبرغ في منزله، ولدينا سبب للافتراض أن قتله ربما يكون مرتبطاً بماضيه الخسيس».

لاحظ كل من إرلندور وإيلينبورغ كيف أن كلامه لم يكن له أي تأثير على كاترين، لم تندهش لدى سماعها بشأن حالات الاغتصاب الذي قام به هولبرغ أو عن ابنته، ولم تسأل أياً منهما عن المرأة من كيفلافيك أو عن الفتاة.

قال: «لست مندهشة لسماع ذلك؟».

قالت كاترين: «لا، لماذا سأشعر بالدهشة؟».

سأل إرلندور بعد أن توقف قليلاً عن الكلام: «ماذا يمكنكِ أن تخبرينا عن هولبرغ؟».

قالت كاترين وكأن آخر أثر للمقاومة اختفى من صوتها: «تعرفت عليه فوراً من صوره في الصحف». تحوّلت كلماتها إلى همس وهي

تقول: «رغم أنه قد تغير كثيراً».

قالـت إيلينبـورغ موضّحـة: «لدينـا صورتـه فـي ملفاتنـا، أُخذت الصورة من إجازة قيادة المركبات الثقيلة التي جدّدها مؤخراً، سـائق شاحنة، كان يقودها في كل أرجاء البلاد».

«قال لي في ذلك الوقت إنه كان محامياً في ريكيافيك».

قـال إرلنـدور: «كان يعمـل علـى الأرجـح لصالح هيئـة الموانئ والمنارات في ذلك الوقت».

«كان عمري عشرين سنةً آنذاك، كنت وألبرت قد أنجبنا ولدين عندمـا حـدث ذلـك، بدأنـا نقيـم معـاً عندمـا كنا لا نـزال يافعين، كان ألبـرت يعمـل فـي البحـر، لـم يكـن عملاً ثابتاً، كان يدير متجراً صغيراً كما عمل وكيلاً لشركة تأمين».

سأل إرلندور: «هل يعرف ما حدث؟».

تردّدت كاترين للحظة.

«لا، لم أخبره أبداً، وأفضّل ألا تخبراه الآن».

أطبق الصمت عليهم جميعاً.

سال إرلندور: «ألم تخبري أحداً بما حدث؟».

«لم أخبر أحداً». أطبق الصمت عليهم مجدداً.

انتظر إرلندور وإيلينبورغ.

تنهّـدت وقالـت: «ألقيـت اللـوم على نفسـي في ذلـك. يا إلهي! أعرف أن ذلك لم يكن منصفاً لي، أعرف أنه لم يكن لي يد بذلك. وقع الأمر قبل أربعين سـنةً، ولا أزال أتهم نفسـي رغم أنني لا أُلام على ذلك، أربعون سنة».

انتظرا.

«لا أعـرف مقـدار التفاصيـل التـي تريـدان مني الخوض فيها، ما المهم بالنسـبة إليكما؟ كما قلت، كان ألبرت يعمل في البحر، كنت أسـهر وأمـرح فـي ليلـة مـع بعض الصديقات، والتقينـا هذين الرجلين في الحفل الراقص».

قاطعها إرلندور: «هذان الرجلان؟».

«هولبـرغ وشـخص آخـر كان معـه، لـم أعـرف أبـداً مـا اسـمه، أراني آلة تصوير صغيرة كان يحملها معه، تكلمت معه عن التصوير قليلاً، عادا إلى شـقة صديقتي معنا وتابعنا تناول الشـراب هناك، كنا مجموعة من أربعة صديقات نخرج معاً، كانت اثنتان منا متزوجتين، بعد مرور بعض الوقت قلت إنني أريد أن أغادر وعرض أن يرافقني إلى المنزل».

قالت إيلينبورغ: «هولبرغ؟».

«نعم، هولبرغ. رفضت وودّعت صديقاتي ومشـيت إلى المنزل وحـدي، لـم تكـن المسـافة طويلة سيراً على الأقـدام. عندما وصلت إلـى منزلـي وفتحـت البـاب - كنـا نعيـش في منزل مسـتقل صغير في شارع جديد كانوا يستحدثونه في هوسافيك - كان يقف خلفي فجأة. قال شيئاً لم أسمعه جيداً، ثم دفعني إلى الداخل وأغلق الباب، كنت مشدوهة تماماً، لم أعرف ما إذا كنت أشعر بالخوف أو بالدهشة. كان الشـراب قد أثّر على أحاسيسـي، بالطبع لم أكن أعرف ذلك الرجل أبداً، ولم أكن قد رأيته قبل تلك الليلة أبداً».

سألت إيلينبورغ: «إذاً، لماذا تلومين نفسك؟».

قالت كاترين بعد وقت: «كنت قد تجولت في الحفل الراقص قليلاً، طلبت إليه أن يرقص معي، لا أعرف لماذا فعلت ذلك، كنت قد احتسيت بعض الشراب الذي لم أستطع مقاومته. كنت أمرح مع صديقاتي وتركت

شعري ينسدل قليلاً، كان عملاً غير مسؤول. ثملت».

شرعت إيلينبورغ بالقول: «لكن يجب ألا تلومي نفسك...».

قالت كاترين بنبرة خافتة وهي تنظر إلى إيلينبورغ: «لا شيء تقولينه يمكن أن يغير ذلك أبداً، لهذا لا تقولي لي على من أضع اللوم، لا فائدة ترجى من ذلك».

تابعت بعد أن توقفت عن الكلام قليلاً: «تسكع حولنا في الحفل الراقص، بالتأكيد لم يمنحنا انطباعاً سيئاً، كان مرحاً ويعرف كيف يجعلنا نضحك، كان يمزح معنا ويجعلنا نتفاعل معه، تذكّرت لاحقاً أنه سأل عن ألبرت وعرف أنني كنت في المنزل بمفردي. لكنه فعل ذلك بطريقة لم تجعلني أشك أبداً في ما يضمره في نفسه».

قال إرلندور: «من حيث المبدأ، إنها القصة نفسها عندما هاجم هولبرغ المرأة في كيفلافيك. سمحت له بدخول منزلها، طوعاً، ثم طلب استخدام الهاتف وهاجمها في المطبخ».

«بطريقة ما تحول إلى شخص مختلف تماماً، مقزّز للنفس، الأشياء التي قالها، مزّق المعطف الذي كنت أرتديه، دفعني إلى الداخل ووصفني بألفاظ نابية، أصبح عنيفاً جداً، حاولت أن أتكلم معه، لكن من دون جدوى، وعندما بدأت أصرخ طلباً للنجدة قفز نحوي وأسكتني، ثم سحبني إلى غرفة النوم...».

استجمعت كاترين كل شجاعتها وأخبرتهما بما فعله هولبرغ، بشكل منظّم ومن دون أن تكتم شيئاً، لم تكن قد نسيت شيئاً من تلك الأمسية، على العكس، كانت تتذكر أدق التفاصيل، كانت إفادتها خالية من العواطف، كأنها تقرأ بصوتٍ عالٍ حقائق قاسية من صفحة في كتاب، لم تتكلّم بهذا الإسهاب عن الحادثة من قبل، لكنها كانت

قد أوجدت مسافة لتبقى بعيدة عنها وشعر إرلندور أنها تصف شيئاً حدث لامرأة أخرى، ليس لها شخصياً، في مكان آخر، زمن آخر، وحياة أخرى.

لدى سماعه إحدى جمل إفادتها قطّبَ إرلندور حاجبيه وأطلقت إيلينبورغ لعنة بصوتٍ خافت.

توقفت كاترين عن الكلام.

سألت إيلينبورغ: «لماذا لم تتقدمي بشكوى ضد ذلك الوغد؟».

«كان مثل وحش. هدّدني بالقتل إذا أخبرت أحداً واعتقلته الشرطة، والأسوأ من ذلك قوله إنني إذا تقدمت بشكوى سيدّعي أنني قد طلبت منه لقائي في المنزل وأردت أن أنام معه، لم يستخدم تلك الكلمات تحديداً، لكنني كنت أعرف ما يرمي إليه، كان قوياً جداً، لكنه لم يترك علامة عليّ، تأكد من ذلك، بدأت أفكّر في ذلك لاحقاً، ضربني على وجهي عدّة مرات، لكن ليس بقوة».

«متى حدث ذلك؟».

كان ذلك في العام 1961. أواخر السنة، في الخريف».

«ولم تكن هناك أي تبعات؟ ألم تشاهدي هولبرغ مجدداً أو...».

«لا. لم أره بعد ذلك أبداً، إلى أن رأيت صورته في الصحيفة».

«انتقلت بعيداً عن هوسافيك؟».

«كان ذلك حقاً ما نخطط للقيام به على كل حال، كان ألبرت يضع ذلك نصب عينيه دائماً، لم أعارض الأمر كثيراً بعد ما جرى، الناس في هوسافيك لطفاء والمكان رائع للعيش، لكنني لم أعد إلى

هناك أبداً منذ ذلك الوقت».

قـال إرلنـدور وهـو يومـئ باتجاه صور التعميـد: «أنجبت ولدين قبـل ذلـك، صبييـن كمـا يـدل مظهرهمـا، ثـم أنجبت الولـد الثالث... متى؟».

قالت كاترين: «بعد سنتين».

نظر إرلندور إليها وشعر أنها تكذب لأول مرة منذ بدء حديثهما معها.

33

قالت إيلينبورغ لإرلندور عندما غادرا المنزل وخرجا إلى الشارع: «لماذا توقفت عند ذلك الحد؟».

كانت قد وجدت صعوبة في إخفاء دهشتها عندما شكر إرلندور فجأة كاترين على تعاونها الكبير. قال إنه يعرف مدى صعوبة أن تتحدث عن تلك الأشياء، وأنه سيتأكد أن شيئاً مما كانوا قد تكلموا عنه لن يتسرب إلى آخرين.

قال إرلندور: «ستبدأ بالكذب، إنها محنة كبيرة بالنسبة إليها، سنلتقي بها لاحقاً، يجب أن نتنصت على هاتفها، ونضع سيارة خارج المنزل لنراقب تحركاتها وزوارها، يجب أن نعرف ما يفعله أبناؤها، ونحصل على صور حديثة لهم إذا استطعنا، لكن من دون أن نلفت الانتباه، ويجب أن نحدد عناوين أشخاص كانوا يعرفون كاترين في هوسافيك ويمكنهم أن يتذكروا تلك الليلة، رغم أن ذلك ربما يحتاج إلى قليل من الحظ. طلبت إلى سيغوردور أولي الاتصال بهيئة الموانئ والمنارات في هوسافيك لنرى إن كان باستطاعتهم إخبارنا متى عمل هولبرغ لصالحهم في الهيئة. ربما يكون قد فعل ذلك الآن. احصلي على نسخة من شهادة زواج كاترين وألبرت لنعرف السنة التي تزوجا بها».

كان إرلندور قد أصبح داخل سيارته، تذكر متابعة استجوابه لكاترين. فنادى إيلينبورغ:

«إيلينبورغ، يمكنكِ أن تأتي معي المرة القادمة التي سنتكلم فيها معها».

سـألت إيلينبـورغ، وذهنهـا لا يـزال يفكـر في قصة كاترين: «هل يستطيع أحد فعل ما وصفته لنا؟».

أجاب إرلندور: «مع هولبرغ يبدو أي شيء ممكناً».

قـاد سيارته إلـى نوردورمايـري. كان سـيغوردور أولـي لا يـزال هنـاك، وقـد اتصـل بشـركة الهاتف لرصـد مكالمات هولبرغ في عطلة نهاية الأسـبوع التي لقي فيها مصرعه. كانت اثنتان من شـركة أيسـلندا للنقـل حيـث كان يعمـل، وثـلاث مكالمـات أخرى عبر هواتف عامة: اثنتـان مـن كشـك هاتـف في ليكجارغاتا [شـارع فـي المدينة القديمة في ريكيافيك] وواحدة عبر هاتف مأجور في محطة حافلات هلمور [المحطة المركزية].

«أي شيء آخر؟».

«نعـم، الأفـلام الخلاعيـة فـي حاسـوبه، كان أفـراد فريـق الطب الشرعي قد شاهدوا كثيراً منها وهي مرعبة، مُقرفة تماماً، أسوأ المشاهد التي يمكن العثور عليها عبر الإنترنت، تتضمن حيوانات وأطفالاً. كان ذلك الرجل منحرفاً تماماً، أظن أنهم توقفوا عن رؤيتها».

قال إرلندور: «ربما لم تعد هناك حاجة إلى رؤيتها بعد الآن».

قال سـيغوردور أولي: «إنها تمنحنا صورة صغيرة عن الشـخص التافه المثير للاشمئزاز الذي كان عليه».

قال إرلندور: «هل تعني أنه كان يستحق تهشيم رأسه وقتله؟».

«ماذا تظن أنت؟».

«هل سألت هيئة الموانئ والمنارات عن هولبرغ؟».

«لا».

«إذاً افعل ذلك».

سأل سيغوردور أولي: «هل يلوّح إلينا؟». كانا واقفين أمام منزل

هولبرغ، كان أحد أفراد فريق الطب الشرعي قد خرج من القبو ويقف هناك بسرواله الأبيض يلوّح إليهما أن يأتيا إليه، كأن شيئاً مهماً أثاره. خرجا من السيارة، نزلا إلى القبو حيث أشار تقني فريق الطب الشرعي - الذي كان يحمل أداة تحكم عن بعد - إليهما أن يتقدما إلى إحدى الشاشتين، قال لهما إنها تشغّل آلتي التصوير التي تم إدخالهما في أحد الثقوب في زاوية غرفة الجلوس.

نظرا إلى الشاشة، لكنهما لم يتمكّنا من رؤية شيءٍ يمكن أن يميّزاه. كانت الصورة مليئة بالنقاط، إضاءتها ضعيفة، مشوّشة وباهتة. كان باستطاعتهما رؤية الحصى والجانب السفلي من الأرضية، لكن بخلاف ذلك لم يكن هناك شيء غير اعتيادي، مرّ بعض الوقت حتى نفد صبر التقني.

قال وهو يشير إلى أعلى وسط الشاشة: «إنه هذا الشيء هنا، تحت الأرضية تماماً».

قال إرلندور الذي لم يميّز شيئاً: «ماذا؟».

قال تقني فريق الطب الشرعي: «ألا يمكنكما رؤيته؟».

قال سيغوردور أولي: «ماذا؟».

«الخاتم».

قال إرلندور: «الخاتم؟».

«واضحٌ أننا قد عثرنا على خاتم تحت الأرضية. ألا يمكنكما رؤيته؟».

ركّزا بصريهما على الشاشة حتى ظنّا أنهما يستطيعان تمييز شيء يمكن أن يكون خاتماً، لم يكن واضحاً، كأن شيئاً كان يحجب الرؤية، لم تكن بمقدورهما رؤية أي شيء آخر.

قال سيغوردور أولي: «كأن هناك شيئاً يحجب الرؤية».

قـال التقنـي: «قـد يكـون بلاسـتيكاً عازلاً مثل الذي يسـتخدمونه في البناء». تجمّع أناس كثيرون حول الشاشة لمراقبة ما يجري. تابع قائلاً: «انظروا إلى هذا الشيء هنا، هذا الخط إلى جانب الخاتم، قد يكون إصبعاً، هناك شيء يبرز في الزاوية أظن أننا يجب أن نُلق نظرة متفحّصة عليه».

أمر إرلندور: «اكسروا الأرضية، لنرى ما يوجد هناك».

تحـرك فريـق الطـب الشـرعي إلى العمل مباشـرة، حدّدوا البقعة علـى أرضيـة غرفـة الجلـوس، وبدأوا كسـرها باسـتخدام مثقب الهواء المضغوط، انتشر غبار إسمنتي ناعم في أرجاء القبو ووضع إرلندور وسيغوردور أولي كمّامتين فوق فميهما، وقفا خلف التقنيين، يراقبان الثقب يتسع في الأرضية، كانت قاعدة الأرضية بسماكة سبع أو ثماني بوصات واستغرق حفرها بعض الوقت.

حالما اخترقوا القاعدة، سـرعان ما وسـعوا الثقب، كان الرجال يُبعدون قطع الإسـمنت حالما تنكسـر، وسـرعان ما تمكّنوا من رؤية البلاسـتيك الـذي كانـت آلـة التصويـر قـد كشـفته، نظـر إرلنـدور إلى سيغوردور أولي، الذي أومأ إليه.

أخذ البلاسـتيك يُشـاهد بازدياد، ظنّ إرلندور أنه بلاسـتيك عزل سـميك للأبنيـة، كانـت رؤيـة أي شـيء مـن خلاله مسـتحيلة. كان قد نسي الضوضاء في القبو، الرائحة المقزّزة للنفس والغبار الذي يتطاير في كل مكان. نزع سـيغوردور أولي قناعه ليتمكّن من الرؤية بشـكل أوضـح، انحنـى إلـى الأسـفل ونـادى على فريق الطب الشـرعي الذي كان يكسر الأرضية.

سأل: «هل هذه هي الطريقة التي يفتحون بها قبور الفراعنة في مصر؟»، وخفّ التوتر قليلاً.

قال إرلندور: «أخشى ألا يوجد فرعون في الأسفل هنا».

قال سيغوردور أولي بلهفة: «هل من المعقول أن نعثر على غريتار تحت أرضية منزل هولبرغ؟ بعد خمس وعشرين سنة! سيكون ذلك مثيراً».

قال إرلندور: «كانت والدته على حق».

«والدة غريتار؟».

«كان يبدو كأنه قد سُرق، كما قالت».

«تم لفّه ببلاستيك وإخفاؤه تحت الأرضية».

تمتم إرلندور لنفسه وهو يهزّ رأسه: «ماريون بريم».

وسع أفراد فريق الطب الشرعي الحفرة بمثاقبهم الكهربائية، وانكسرت الأرضية تحت الضغط، وتم توسيع الحفرة حتى أصبح بالإمكان رؤية القطعة البلاستيكية كلها، كانت بطول رجل عادي، ناقش أفراد فريق الطب الشرعي أفضل السبل لفضّ هذه القطعة، قرّروا رفعها من فتحة الأرضية قطعة واحدة، وعدم المساس بها ليتمكّنوا من أخذها إلى المشرحة في بارونستيغور حيث يمكنهم فحصها من دون فقدان أي دليل محتمل.

أحضروا نقّالة كانوا قد جلبوها إلى القبو في الليلة الماضية ووضعوها إلى جانب الحفرة في الأرضية. حاول اثنان منهم رفع القطعة البلاستيكية، لكن تبين أنها ثقيلة جداً، لهذا تقدم شخصان آخران لمساعدتهما. سرعان ما بدأت القطعة تتزحزح وحرّروها مما يحيط بها، رفعوها ووضعوها على النقّالة.

تقدم إرلندور من القطعة، انحنى فوقها وحاول أن يرى عبر البلاستيك. ظنّ أن باستطاعته تمييز وجه متغضّن ومتعفّن، أسنان وجزء من أنف، وقف مجدداً.

قال: «لا يبدو بحال سيئة نظراً إلى مكان وجوده».

سأل سيغوردور أولي وهو ينحني فوق الحفرة: «ما هذا؟».

قال إرلندور: «ماذا؟».

قال سيغوردور أولي: «كل شرائط الأفلام هذه».

اقترب إرلندور أكثر، جثا على ركبتيه ورأى ياردات من شرائط الأفلام المدفونة، منتشرةً في كل مكان، وكأنها نبتت من تحت الحصى والتراب. كان يأمل أن يكون بعضها قد استُخدم.

34

لم تغادر كاترين المنزل بقية النهار، لم يزرها أحد ولم تستخدم الهاتف، عند المساء أوقف رجل سيارته خارج المنزل ودخل يحمل حقيبة متوسطة الحجم، كان ذلك على ما يبدو زوجها ألبرت العائد بعد ظهر ذلك اليوم من رحلة عمل له في ألمانيا.

كان شرطيان في سيارة مدنية يراقبان المنزل، وهاتفها يخضع للتنصّت. كان قد تم التحقّق من مكاني الابنين الأكبر سناً، لكن لم يُعرف أي شيء عن مكان الابن الأصغر، كان مُطلّقاً، يقيم في شقة بضاحية جردي، لكن لم يكن هناك أحد في المنزل، وقفت دورية خارجه، كانت الشرطة تجمع معلومات عن الابن وأرسلت أوصافه إلى مخافرها في كل أرجاء البلاد. حتى ذلك الوقت لم تتوفر معلومات عنه لإصدار بلاغ بشأنه لوسائل الإعلام.

ركن إرلندور سيارته أمام المشرحة في بارونستيغور، كانت جثة الرجل الذي يُعتقد أنه غريتار قد نُقلت إلى هناك، وكان أخصائي علم الأمراض، الشخص نفسه الذي عاين جثتي هولبرغ وأودور، قد نزع البلاستيك عن الجثة، تبين أنها جثة ذكر رأسه متراجع إلى الخلف، فمه مفتوح كأنه يصرخ ألماً، وذراعاه إلى جانب جسده. كان الجلد جافاً ومتغضناً وشاحباً، مع بقع كبيرة متفسّخة منتشرة على جسدٍ عارٍ. بدا أن الرأس قد تعرض لضرر كبير، وأن الشعر كان طويلاً وباهتاً متدلياً على جانبي الوجه.

قال أخصائي علم الأمراض: «نزع أحشاءه».

«ماذا؟».

«الشخص الذي دفنه قام بعمل جيد إذ وضعه داخل كيس حفظه بشكل جيد فجف بشكل تدريجي ولم تُشَمّ له رائحة».

«هل يمكنك معرفة سبب الموت؟».

«كان هناك كيس بلاستيكي فوق رأسه مما يشير إلى أنه ربما مات اختناقاً، لكن يجب أن أُلقي نظرة أفضل عليه، ستعرف المزيد لاحقاً، يستغرق ذلك بعض الوقت. هل تعرف من هو؟ إنه قصير نوعاً ما، هذا الرجل المسكين».

قال إرلندور: «لدي شكوكي».

«هل تكلمت إلى الأستاذة؟».

«امرأة لطيفة».

«أليست كذلك؟».

كان سيغوردور أولي ينتظر إرلندور في المكتب، وعندما وصل توجّه مباشرة إلى فريق الطب الشرعي، كانوا قد استطاعوا تظهير وتكبير عدّة صور من الفيلم الذي تم العثور عليه في شقة هولبرغ، أخبره إرلندور بالحديث الذي أجرياه هو وإيلينبورغ مع كاترين.

كان راغنار، رئيس فريق الطب الشرعي، ينتظرهما في مكتبه مع عدّة شرائط أفلام على مكتبه وبعض الصور المكبّرة. سلّمهما الصور وانكبّوا عليها.

قال راغنار: «لم نتمكّن من تظهير سوى هذه الصور الثلاث، ولا يمكنني في الواقع معرفة ما يظهر فيها، كانت هناك سبعة شرائط من كوداك مع 24 صورة في كل منها، كانت سوداء تماماً، ولم يكن باستطاعتنا معرفة إن كان قد تم استخدامها، لكن من إحداها استطعنا

تكبير المجموعة التي نراها هنا، هل هناك شيء يمكنكما تمييزه؟».

حدّق إرلندور وسيغوردور أولي إلى الصور، كانت كلها بالأبيض والأسود، اثنتان منها متّشحة بالسواد كأن ثقب العدسة لم يُفتح بشكل مناسب؛ والصورتان بحاجة إلى تَعبير وبالتالي غير واضحتين؛ ولهذا لـم يتمكّنـا مـن تمييـز ما فيهما. كانت الصورة الثالثة والأخيرة سـليمة وواضحة بشـكل معقول، ويظهر فيها رجل يلتقط صورته أمام مرآة. كانت آلة التصوير صغيرة ومسـطّحة، مع مكعّب وميض يشـتمل على أربعـة مصابيـح، وضـوء يُبـرز بوضـوح الرجل في المـرآة. كان يرتدي جينزاً وقميصاً وسترة صيفية تصل إلى خصره.

قـال إرلنـدور بنبـرة حنيـن إلى الماضي في صوته: «هل تتذكران مكعّبات الوميض؟».

قال راغنار الذي كان من عمر إرلندور نفسـه: «أتذكرها جيداً». نظر سيغوردور أولي إليهما وهزّ رأسه.

قال إرلندور: «هل ذلك ما يمكن أن تدعوه صورة ذاتية؟».

قـال سـيغوردور أولـي: «مـن الصعب رؤية وجهـه وآلة التصوير تحجبه، لكن أليس من المحتمل أن يكون غريتار نفسه؟».

سأل راغنار: «هل تميّزان البيئة المحيطة، والأشياء القليلة الظاهرة للعيان فيها؟».

فـي الانعـكاس كان باسـتطاعتهم تمييـز جـزء مـن الغرفـة خلف المصـوّر. كانـت باسـتطاعة إرلنـدور رؤيـة ظهـر كرسـي وحتى طاولة صغيرة، السجادة على الأرض وجزء من شيء قد يكون ستارة تصل إلـى الأرض، لكـن غيـر ذلـك كان صعبـاً تمييزه. كان وجه الرجل في المرآة مضاءً بقوة لكن على الجانبين كان الضوء يتلاشى ليتحول إلى ظلام حالك.

حدّقوا إلى الصورة لوقت طويل، بعد جهد كبير بدأ إرلندور يميّز شيئاً في الظلام إلى يسار المصور، والذي ظنّ أنها صورة جانبية لإنسان ظهر فيها أنفه وحاجباه. لم يكن ذلك سوى حدس، لكن كان هناك شيء غير واضح في الضوء، مثل ظلال صغيرة، أثار مخيلته.

سأل إرلندور: «هل يمكننا تكبير هذه المساحة؟»، وحدّق غريتار إلى القسم نفسه لكنه لم يتمكّن من رؤية شيء. أمسك سيغوردور أولي بالصورة ورفعها أمام وجهه، لكنه لم يتمكّن من تمييز ما كان إرلندور يظن أنه يراه.

قال راغنار: «لن يستغرق الأمر سوى ثانية واحدة فقط». تبعاه إلى حيث يوجد فريق الطب الشرعي.

سأل سيغوردور أولي: «هل هناك أي بصمات على الفيلم؟».

قال راغنار: «نعم، مجموعتان، هما نفسهما الموجودتان على صورة المقبرة، غريتار وهولبرغ».

أُدخلت الصورة في جهاز مسح وظهرت على شاشة حاسوب كبيرة، تم تكبير المساحة. ما كان غير واضح في الضوء أصبح نقاطاً لا تعد ولا تحصى تغطي الشاشة. لم يكن باستطاعتهم تمييز أي شيء من الصورة، وحتى إرلندور لم يعد يرى ما كان يظن أنه قد رآه. عمل التقني على لوحة المفاتيح لبعض الوقت، أدخل بعض الأوامر، وتم تصغير وضغط الصورة، تابع عمله، ونظّمت النقاط نفسها معاً حتى بدأت معالم وجه بالظهور تدريجياً، كانت الصورة لا تزال غير واضحة، لكن إرلندور ظنّ أنه تعرّف على هولبرغ فيها.

قال سيغوردور أولي: «أليس ذلك هو الوغد؟».

قال التقني وهو يتابع تنقية الصورة: «يوجد المزيد هنا». سرعان ما ظهرت موجات ذكّرت إرلندور بشعر امرأة، وصورة جانبية أخرى

أقل وضوحاً. حدّق إرلندور إلى الشكل حتى ظنّ أن باستطاعته تمييز هولبرغ جالساً يتحدث إلى امرأة. انتابته حال هلوسة غريبة في اللحظة التي رأى فيها ذلك. كان يودُّ لو يصرخ على المرأة كي تخرج من الشقة، لكن ذلك كان متأخراً جداً. متأخراً عقوداً خَلَت.

رنّ هاتف في الغرفة، لم يتحرك أحدٌ. ظنّ إرلندور أن هاتفاً آخر يرن.

قال سيغوردور أولي لإرلندور: «إنه هاتفك».

استغرق الأمر من إرلندور بعض الوقت، لكنه تمكّن أخيراً من العثور على هاتفه الخلوي وإخراجه من جيب معطفه.

كانت إيلينبورغ على الجانب الآخر.

قالت عندما أجابها أخيراً: «ما الذي ترمي إليه؟».

قال إرلندور: «المغزى، إذا سمحت».

«المغزى؟ لماذا أنت متوتر هكذا؟».

«كنت أعرف أنكِ لن تقولي ببساطة ما ستقولينه».

قالت إيلينبورغ: «إنه بشأن أولاد كاترين، أو رجالها في الواقع، لأنهم جميعاً رجال راشدون الآن».

«ماذا عنهم؟».

«جميعهم رجال لطيفون، على الأرجح، إلا أن أحدهم يعمل في مكان مثير للاهتمام، ظننت أنك يجب أن تعلم بذلك مباشرة. لكن إذا كنت تشعر بأنك متوتر ومشغول جداً ولا يمكنك تحمّل فكرة إجراء دردشة صغيرة، سأتصل بسيغوردور أولي بدلاً منك».

«إيلينبورغ».

«نعم؟».

صرخ إرلندور وهو ينظر إلى سيغوردور أولي: «رباه يا امرأة،

هل ستخبرينني ما تريدين قوله لي؟».

«الابن يعمل في مركز البحوث الوراثية».

«ماذا؟».

«إنه يعمل في مركز البحوث الوراثية».

«أي ابن؟».

«الأصغـر، إنـه يعمـل علـى قاعدة بياناتهـم الجديدة، يعمل على شـجرة وأمراض العائلة، عائلات أيسـلندية وأمراض متوارثة؛ أمراض وراثية، الرجل خبير بالأمراض الوراثية».

35

عـاد إرلنـدور إلـى منزلـه فـي وقـت متأخر من المسـاء. قرّر أن يـزور كاتريـن فـي وقـت مبكّر من صبـاح اليوم التالي ويتحدث إليها عن نظريته. كان يأمل بالعثور على ابنها بعد تحريات صعبة وطويلة تنطوي على خطر أن تعرف وسائل الإعلام القصة، لكنه أراد تفادي ذلك.

لم تكن إيفا ليند في المنزل، رتّبت المطبخ في وقت سابق بعد نوبـة غضـب والدهـا، وضـع إحدى الوجبتين اللتين كان قد اشـتراهما مـن متجـر يفتـح أبوابـه حتى وقت متأخر من الليل في المايكروويف، ثـم ضغـط زر التشـغيل. تذكّـر إرلنـدور مجـيء إيفا لينـد إليه قبل عدّة ليالٍ، عندما كانت تقف إلى جانب المايكروويف، وأخبرته أنها حامل. شعر كأن سنة كاملة قد مضت منذ كانت تجلس هناك قبالته، تستجدي المال وتتفادى الإجابة عن أسئلته، لكن لم تكن قد مرّت سوى بضع ليـالٍ. الكوابيـس لا تـزال تنتابـه، لـم يكن يرى أحلاماً كثيرة ولا يتذكر سوى مقتطفات منها عندما يستيقظ، لكن شعوراً بالانزعاج كان ينتابه عندما يسـتيقظ ولا يسـتطيع التخلص منه. لم يهتم للألم في صدره، الذي أصبح مستمراً، وهو ألم حاد لا يزول بالفرك.

فكّـر بإيفـا لينـد والطفـل وبكولبـرون وأودور وبإيليـن وكاتريـن وأبنائها، بهولبرغ وغريتار وبإيليدي في السـجن وبالفتاة من غاردابير ووالدها، وبنفسـه وولديه، ابنه سـيندري سـنير الذي قلّما يراه، وإيفا التـي كانـت قـد بذلـت جهـداً للعثور عليه، والتي تجادل معها بقسـوة

عندما أخطأت في ما كانت تفعله. كانت على حق. من كان عليه أن يوبخها بذلك الشكل؟

فكّر بأمهات وبنات وبآباء وأبناء، وأمهات وأبناء وآباء وبنات، وبأولاد كانوا قد ولدوا من دون رغبة أحدٍ وبأولاد توفوا في ذلك المجتمع الصغير، أيسلندا، حيث يبدو أن الجميع تربطهم علاقات نسب وقربى بطريقة ما.

إذا كان هولبرغ والد أصغر أبناء كاترين، هل لقي في الواقع مصرعه على يد ابنه؟ هل كان الشاب يعرف أن هولبرغ والده؟ كيف عثر عليه؟ هل أخبرته كاترين؟ متى؟ لماذا؟ هل كان يعرف طيلة الوقت؟ هل كان يعرف عن الاغتصاب؟ هل أخبرته كاترين أن هولبرغ اغتصبها وأنها حملت منه؟ ما نوع ذلك الشعور؟ ماذا سيكون شعورك عندما تكتشف أنك لست الشخص الذي تظنه؟ لست من أنت عليه؟ أن والدك ليس والدك، أنك لست ابنه، وإنما ابن شخص آخر لم تكن تعرف أنه موجود. شخص عنيف، مغتصب.

كيف كان الأمر سيبدو؟ فكّر إرلندور، كيف يمكنك أن تستوعب ذلك؟ هل تخرج وتعثر على والدك وتقتله؟ ثم تكتب: «أنا هو؟».

وإذا لم تكن كاترين قد أخبرت ابنها عن هولبرغ، كيف اكتشف الحقيقة؟ قلّب إرلندور المسألة في ذهنه. كلما فكّر في القضية والخيارات أكثر، تحوّلت أفكاره إلى شجرة الرسائل في غاردابير. لم تكن هناك سوى طريقة واحدة أخرى يمكن للابن أن يعرف من خلالها الحقيقة، وأضمر إرلندور نيّةً في نفسه أن يتحقق منها في اليوم التالي.

وما الذي كان غريتار يعرفه؟ لماذا كان يجب أن يموت؟ هل كان يبتز هولبرغ؟ هل كان يعرف عن حالات الاغتصاب التي قام

بهـا هولبـرغ ويخطـط للإيقـاع به؟ هـل التقط صوراً لهولبرغ؟ من هي المـرأة التـي كانـت تجلـس مع هولبرغ في الصورة؟ متى تم التقاطها؟ اختفى غريتار في صيف السنة التي تم تنظيم الاحتفال الوطني فيها، لهذا لا بد أنه تم التقاطها قبل ذلك، تسـاءل إرلندور إن كانت هناك ضحايا أخرى لهولبرغ لم يبغلّن الشرطة أبداً.

سمع مفتاحاً يدور في القفل فوقف على قدميه. كانت إيفا ليند قد عادت.

قالـت عندمـا رأت إرلنـدور يخـرج مـن المطبـخ: «ذهبـت إلـى غاردابير مع الفتاة. قالت إنها ستقاضي ذلك الوغد على كل السنوات التي أساء معاملتها فيها، أُصيبت والدتها بانهيار عصبي، ثم غادرنا».

«لرؤية الزوج؟».

قالـت إيفـا لينـد وهـي تخلـع حذاءهـا إلى جانب البـاب: «نعم، عـادت إلـى عشـهما الصغيـر المريـح، جُـنّ جنونـه، لكنـه هـدأ عندما سمع السبب».

«كيف تقبّل الأمر؟».

«إنـه رجـل رائـع، عندمـا غـادرت، كان فـي طريقه إلـى غاردابير ليتكلم مع الوغد العجوز».

«حقاً!».

سألت إيفا ليند: «هل تظن أن هناك أي فائدة من مقاضاة ذلك الوغد؟».

«هذه قضايا صعبة، ينكر الرجال كل شـيء، وبطريقة ما يفلتون بفعلتهم. ربما يتوقف الأمر على الأم، وعلى ما تقوله، ربما يجب أن تذهب إلى مركز أزمة الاغتصاب. كيف حالكِ، على كل حال؟».

قالت إيفا ليند: «على أحسن ما يرام».

سأل إرلندور: «هل فكّرت بإجراء صورةً صوتية؟ يمكن أن أذهب معك».

قالت إيفا ليند: «سيحين وقت ذلك».

«حقاً؟».

«نعم».

قال إرلندور: «جيد».

قالت إيفا ليند وهي تضع الوجبة الأخرى في المايكروويف: «ما الذي ترمي إليه على كل حال؟».

قال إرلندور: «لا أفكّر في أي شيء سوى الأطفال هذه الأيام، وشجرة رسائل، وهي نوع من شجرة العائلة؛ يمكن أن تحمل كل أنواع الرسائل الموجهة إلينا، إذا كنا نعرف فقط ما يجب أن نبحث عنه. ما الذي تقوله تلك الأغنية عن حصان الجر؟».

نظرت إيفا ليند إلى والدها، كان يعرف أنها تعرف الكثير عن الموسيقى.

قالت: «هل تعني الحياة مثل حصان جر؟».

قال إرلندور: «رأسه داخل معلف التبن».

«قلبه متجمّد وقاسٍ».

أنهى إرلندور بيت الشعر: «وذهنه شارد في مكان ما». اعتمر قبعته وقال إنه لن يغيب طويلاً.

36

كانت هانا قد حذّرت الطبيب، لهذا لم يتفاجأ لرؤية إرلندور تلك الأمسية. كان الطبيب يقيم في منزل أنيق في الجزء القديم من هافنارفوردور. رحّب بإرلندور عند الباب بكل كياسة ولباقة. كان رجلاً قصيراً، رأسه أصلعَ ككرة بليارد، وبديناً يرتدي عباءة سميكة. موفور الصحة، كما فكّر إرلندور، مع مسحة حمرة أنثوية على وجنتيه. لم يكن هناك ما يدل على عمره الحقيقي، وربما كان في الستين من عمره. صافح إرلندور بيدٍ جافة مثل ورقة ودعاه إلى غرفة الجلوس.

جلس إرلندور على أريكة جلدية كبيرة حمراء قاتمة، ورفض عرضه باحتساء الشراب، جلس الطبيب قبالته وانتظر أن يشرع بالكلام. نظر إرلندور حوله إلى غرفة الجلوس التي كانت فسيحة ومزّينة ببذخ بلوحات وتحف فنية، وسأله إن كان يقيم بمفرده.

قال الطبيب: «لطالما أقيم وحيداً منذ أمد طويل. أنا سعيد جداً بذلك. يُقال إن الرجال الذين يصلون إلى عمري يندمون لأن لا عائلة لديهم ولم ينجبوا أولاداً. يوزّع زملائي صوراً لأحفادهم في مؤتمرات في كل أنحاء العالم، لكن لم يكن لدي أبداً أي اهتمام بإنشاء عائلة. لم يكن لدي أبداً أي اهتمام بالأولاد».

كان لطيفاً، متحدّثاً وودوداً وكأنه يتحدث إلى صديقه الحميم، وكأن اللباقة تقتضي ذلك، لم يتأثر إرلندور بذلك.

قال: «لكنك مهتم بأعضاء في مرطبانات».

لم يسمح الطبيب لإرلندور بدفعه إلى فقدان رباطة جأشه.

قال: «أخبرتني هانا أنك غضبت، لا أعرف سبب غضبك، لا أقوم بأي شيء غير قانوني. نعم، لدي مجموعة صغيرة من الأعضاء، معظمها محفوظ بالفورمالين في مرطبانات زجاجية، أحتفظ بها في المنزل هنا، كنت سأتخلّص منها، لكنني احتفظت بها وقتاً طويلاً. أحتفظ أيضاً بنوع آخر من العينات الإحيائية، عينات أنسجة».

تابع: «لماذا، ربما تتساءل»، لكن إرلندور هزّ رأسه.

قال: «كم عضواً كنت قد سرقت؟ ذلك في الواقع هو السؤال الذي كنت سأطرحه عليك، لكن يمكننا العودة إلى ذلك لاحقاً».

قال الطبيب وهو يربت ببطء على رأسه الأصلع: «لم أسرق أي أعضاء. لا أفهم سبب هذا العداء». سأل وهو يقف: «هل تمانع أن أحتسي قليلاً من الشري [شراب أسباني]؟». انتظر إرلندور بينما ذهب إلى خزانة الشراب وسكب لنفسه كأساً، عرض شراباً على إرلندور الذي رفض، وارتشف الشراب بشفتيه السميكتين. كان واضحاً من تعبير وجهه أنه يستسيغ المذاق.

قال: «لا يتساءل الناس عادة عن هذا، وليس هناك سبب ليفعلوا ذلك أيضاً، كل ميت عديم الفائدة في عالمنا، وتلك هي حال الجسد البشري، لا دخل للعواطف بهذا، الروح ذهبت، لم يبقَ سوى جسد، والجسد فان، يجب أن تنظر إلى الأمر من وجهة نظر طبية، الجسد لا يساوي شيئاً، هل تفهمني؟».

«لكن يبدو واضحاً أنه يساوي شيئاً بالنسبة إليك، أنت تجمع أعضاء بشرية».

تابع الطبيب كلامه: «في دول أخرى، تشتري مستشفيات جامعية أعضاءً لأغراض تعليمية، لكن ذلك ليس معروفاً في أيسلندا. هنا نطلب الإذن لإجراء تشريح لكل جثة بمفردها، وأحياناً نطلب استئصال عضو

رغم أنه قد لا تكون له أي علاقة بالموت. يوافق الناس على الطريقة التي تجري بها الأمور أو يرفضونها، نعمل أساساً على أجساد أشخاص عجائز، لا أحد يسرق أعضاء».

قال إرلندور: «لكن الأمر لم يكن على تلك الحال دائماً».

«لا أعرف كيف كانت الأمور في الأيام الخوالي. بالطبع، لم تكن هناك رقابة مشدّدة على ما يجري آنذاك، أنا ببساطة لا أعرف، لا أعرف لماذا تأخذ موقفاً عدائياً مني. هل تتذكر ذلك التقرير الإخباري من فرنسا؟ مصنع السيارات الذي يستخدم أجساداً بشرية حقيقية بل أطفالاً في اختبارات الاصطدام. يجب أن تأخذ موقفاً عدائياً منهم وليس مني. الأعضاء تُباع وتُشترى في كل أنحاء العالم. يلقى أشخاص حتفهم للحصول على أعضائهم، لا يمكن لأحد أن يقول إن مجموعتي إجرامية».

قال إرلندور: «لكن لماذا؟ ماذا تفعل بها؟».

قال الطبيب وهو يحتسي شرابه: «أبحاث بالطبع، أفحصها عبر استخدام مجهر. ما الذي يفعله جامع أعضاء عادة؟ جامعو الطوابع ينظرون إلى الأختام البريدية، جامعو الكتب ينظرون إلى تواريخ نشرها، يرى رواد الفضاء العالم كلّه من فوق، ويشاهدون أشياء تحيّر العقول، أنا أنظر باستمرار إلى عالمي المجهري».

«إذاً هوايتك هي البحث، ولديك أدوات لدراسة العينات أو الأعضاء التي تمتلكها؟».

«نعم».

«هنا في المنزل».

«نعم. إذا كانت العينات محفوظة جيداً يمكن دراستها دائماً، عندما تحصل على معلومات طبية جديدة أو تودّ إلقاء نظرة على

شـيء معين تصبح تلك العينات مفيدة لأغراض البحث العلمي، بل ممتازة».

توقف الطبيب عن الكلام.

ثم قال بعد ذلك: «أنت تسأل عن أودور».

قال إرلندور مندهشاً: «هل تعرف بشأنها؟».

«تعرف أنها لو لم تخضع لتشريح ولم يتم انتزاع دماغها لما كنتم قـد عرفتـم أبـداً سـبب موتهـا؟ تعرف ذلك؟ بقيـت مدفونة في التراب مدة طويلة، لم تكن ممكنة دراسة الدماغ بفاعلية بعد ثلاثين سنةً في التراب. لهذا، ما تشعر باشمئزاز كبير منه قد ساعدك في الواقع. آمل أن تدرك ذلك».

فكّر الطبيب للحظة.

«هل سـمعت عن لويس السـابع عشـر؟ كان ابن لويس السـادس عشر وماري أنطوانيت، دخل السجن في خلال الثورة الفرنسية، أُعدم عندما كان عمره عشر سنوات. ظهرت قصته في الأخبار قبل سنة أو أكثر. كان علماء فرنسيون قد اكتشفوا أنه قضى في السجن ولم يهرب كما ادّعى بعض الأشخاص. هل تعرف كيف اكتشفوا ذلك؟».

قال إرلندور: «لا أتذكر القصة؟».

«تـم انتـزاع قلبـه وحفظـه فـي فورمالين. عندما اسـتطاعوا إجراء اختبـارات الحمـض النـووي وغيرها، اكتشـفوا أن الأقرباء المزعومين أثبتوا صلاتهم بالعائلة المالكة الفرنسية بطرائق كاذبة، لم يكونوا أقرباء الأمير. هل تعرف متى مات لويس في طفولته؟».

«لا».

«قبـل أكثـر مـن مئتـي سـنة مضـت، في العـام 1795. الفورمالين سائل فريد من نوعه».

استغرق إرلندور في التفكير.

«ماذا تعرف عن أودور؟».

«عدّة أشياء».

«كيف وصلت العينة إليك؟».

«عبر طرف ثالث، لا أظن أنني مهتم بالدخول في التفاصيل».

«من مدينة المرطبانات؟».

«نعم».

«هل منحوك مدينة المرطبانات؟».

«جزء منها. يجب ألا تتكلم معي كأنني مجرم».

«هل عرفت سبب الوفاة؟».

نظر الطبيب إلى إرلندور واحتسى رشفة أخرى من شرابه.

قال: «في الواقع، عرفت. كنت دائماً أكثر ميلاً للبحث العلمي من ممارسة الطب، مع هوسي في جمع الأعضاء، كان باستطاعتي الجمع بين الاثنين معاً، رغم أن ذلك كان على نطاق ضيق بالطبع».

«لا يذكر تقرير الطبيب من كيفلافيك سوى ورم دماغي، من دون أي شرح إضافي».

«رأيت ذلك، التقرير غير مكتمل، ولم يكن أكثر من تقرير أولي. كما أقول، كنت قد نظرت إلى ذلك عن كثب وأظن أن لدي الأجوبة عن بعض أسئلتك».

انحنى إرلندور إلى الأمام في كرسيه. «و؟».

«مرض وراثي يظهر على عدّة عائلات في أيسلندا. كانت قضية معقّدة للغاية، وحتى بعد فحص دقيق، لم أكن واثقاً لوقت طويل، أخيراً فكّرت أن الورم كان مرتبطاً على الأرجح بمرض وراثي، ورم عصبي ليفي، لا أظن أنك قد سمعت بذلك من قبل. في بعض

الحالات لا تظهر أي أعراض، في حالات أخرى قد يموت أشخاص من دون أن تظهر عليهم أي أعراض، هناك أشخاص يحملون المرض من دون أن تظهر عليهم أعراض. من المألوف أن تظهر الأعراض في مرحلة مبكرة، رغم أن ذلك يكون على شكل بقع على الجلد وأورام».

احتسى الطبيب شرابه مجدداً.

«الأشخاص في كيفلافيك لم يصفوا أي شيء من هذا النوع في تقريرهم، لكنني لا أظن أنهم كانوا يعرفون ما يبحثون عنه أيضاً».

«أخبروا الأقرباء بشأن الجلد».

«فعلوا ذلك، حقاً؟ التشخيص لا يكون حاسماً دائماً».

«هل ينتقل هذا المرض من الأب إلى الابنة؟».

«ذلك ممكن، لكن انتقال المورثات لا يقتصر على ذلك، يمكن لكلا الجنسين أن يحملا وينقلا المرض. يُقال إن إحدى المورثات ظهرت في الرجل الفيل [فيلم 1980]. هل شاهدت الفيلم؟».

قال إرلندور: «لا».

«يُصاب بعض الناس بفرط في نمو العظام مما يسبب لهم تشوهاً، كما حدث في تلك الحال الخاصة. في الواقع، هناك آراء تقول بعدم وجود أي علاقة لأورام الأعصاب الليفية بالرجل الفيل. لكن تلك قصة مختلفة».

قاطع إرلندور الطبيب: «لماذا بدأت البحث عن ذلك المرض؟».

قال: «أمراض الدماغ اختصاصي. الفتاة إحدى الحالات المثيرة للاهتمام، قرأت كل التقارير عنها، لم تكن دقيقة، لم يكن الطبيب الذي اعتنى بها بارعاً، وكان يشرب طيلة الوقت، كما قيل لي. لكن ذلك

حدث وانتهى، وقد كتب عن التهاب سـل حاد في مكان واحد فقط في الرأس، وهو التعبير الذي كان يُستخدم أحياناً عند ظهور المرض، كانت تلك النقطة التي انطلقت منها. لم يكن تقرير الطبيب الشرعي من كيفلافيك دقيقاً أيضاً، كما قلنا سابقاً. اكتشفوا الورم وتركوا الأمر على ما كان عليه».

وقف الطبيب واتجه إلى خزانة كبيرة في غرفة الجلوس. أخرج مجلة وسلّمها إلى إرلندور.

«لسـت واثقـاً أنـك سـتفهم كل هـذا، لكننـي كتبـت مقالة علمية صغيرة عن بحثي في مجلة طبية أميركية تحظى باحترام واسع».

سال إرلندور: «هل كتبت مقالة علمية عن أودور؟».

«كانت أودور قد ساعدتنا في محاولتنا فهم المرض، كانت مهمة جداً لي وللبحث الطبي، آمل ألا أكون قد خيّبت ظنّك».

قـال إرلنـدور وهـو لا يـزال يحـاول اسـتيعاب مـا كان الطبيـب قـد أخبـره بـه: «قـد يكـون والـد الفتـاة حاملاً لمورثـة المرض، ونقل المرض إلى ابنته، لو أن لديه ابناً، أليس ممكناً أنه قد ورث المرض أيضاً؟».

قال الطبيب: «قد لا يظهر عليه بالضرورة، لكنه قد يكون حاملاً للمورثة، مثل والده».

«إذاً؟».

«نعم. إذا أنجب ولداً، يمكن أن يُصاب الابن أيضاً بالمرض».

فكّر إرلندور بما كان الطبيب قد قاله.

قال الطبيب: «لكن يجب فعلاً أن تقابل العلماء في مركز البحوث الوراثية. لديهم أجوبة عن الأسئلة الوراثية».

«ماذا؟».

«تكلم إلى مركز البحوث الوراثية، إنه مدينة المرطبانات الجديدة، لديهم الأجوبة، ما الخطب؟ لماذا أنت مندهش جداً؟ هل تعرف أحداً هناك؟».

قال إرلندور: «لا، لكنني سأفعل قريباً».

سأل الطبيب: «هل تودّ رؤية أودور؟».

في البداية لم يفهم إرلندور تلميح الطبيب.

«هل تعني...؟».

«لدي مختبر صغير في الأسفل هنا. يمكنك بكل ترحاب إلقاء نظرة».

تردّد إرلندور.

قال: «حسن».

وقفا، وتبع إرلندور الطبيب نزولاً على درج ضيق، أنار الطبيب ضوءاً وظهر مختبر قديم فيه؛ مجاهر، حواسب، أنابيب اختبار ومعدّات لأغراض؛ لم يتمكّن إرلندور حتى أن يتخيلها. تذكّر ملاحظة قرأها في مكان ما عن هواة جمع الأشياء. كان الجامعون يُقيمون عالماً صغيراً حولهم، ينتقون أيقونات معينة من الواقع ويحولونها إلى شخصيات رئيسة في عالمهم الافتراضي. كان هولبرغ من هواة الجمع أيضاً، كان مهووساً بجمع أشياء مرتبطة بالخلاعة، والتي صنع منها عالمه الخاص تماماً كما فعل الطبيب بالأعضاء.

قال الطبيب: «إنها هنا».

ذهب إلى خزانة خشبية كبيرة قديمة، وكانت قطعة الأثاث الوحيدة في الغرفة، وتبدو غريبة على البيئة المعقّمة، فتحها وأخرج مرطباناً زجاجياً عليه غطاء. وضعه بحرص على الطاولة واستطاع

إرلنـدور، تحـت ضـوء النيـون القـوي، رؤيـة دماغ طفلـة صغيرة يطفو في الفورمالين.

عندما غادر منزل الطبيب، اصطحب إرلندور معه حقيبة جلدية تضم رفات أودور الدنيوية. فكّر في مدينة المرطبانات بينما كان يقود سيارته في الشوارع الخالية، تمنّى ألاّ يتم الاحتفاظ بجزء من جسده في مختبر أبداً. كان المطر لا يزال منهمراً عندما توقف خارج المبنى السكني الذي يقطنُ فيه. أوقف المحرك، أشعل لفافة تبغ وحدّق في الظلام.

نظـر إرلنـدور إلـى الحقيبـة السـوداء على المقعـد الأمامي، كان سيعيد أودور إلى حيث تنتمي.

37

نحو الساعة الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم، شاهد الشرطيان المناوبـان أمـام منـزل كاتريـن زوجهـا يغادر، أغلق البـاب خلفه بقوة، صعـد بسـرعة إلـى سـيارته وقادهـا مبتعـداً، كان يبـدو على عجلة من أمـره، ولاحظـا أنـه كان يحمـل الحقيبـة نفسـها التـي كانت معه عندما وصل إلى المنزل في وقت مبكر من ذلك اليوم. لم يلحظ الشرطيان أي حركة أخرى خلال الليل ولم يكن هناك أثر لكاترين، تم استدعاء دورية للشرطة إلى الحي، ولحقت ألبرت إلى فندق إيسجا حيث حجز غرفة لتمضية تلك الليلة.

وصل إرلندور برفقة إيلينبورغ إلى منزل كاترين عند الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. كان المطر لا يزال منهمراً، لم تكن الشمس قد ظهرت منذ أيام. قرعا الجرس ثلاث مرات قبل أن يسمعا خشخشة في الداخل ويُفتح الباب. ظهرت كاترين في المدخل. لاحظت إيلينبورغ أنها كانت ترتدي الملابس نفسها مثل اليوم السابق وواضح أنها بكت كثيراً، كان وجهها متعباً، وعيناها حمراوين ومنتفختين.

قالت كاترين كأنها مصابة بدوار: «آسفة، لا بد أنني نمت على الكرسي. كم الساعة؟».

قال إرلندور: «هل تسمحين لنا بالدخول؟».

قالت وهي تدخل دون أن تدعوهما: «لم أخبر ألبرت بما حدث أبداً». تبادل إرلندور وإيلينبورغ نظرات وتبعاها.

قالـت كاتريـن: «لقـد هجرنـي الليلة الماضية، ما الوقت على كل

حال؟ أظن أنني قد نمت على الكرسي، كان ألبرت غاضباً جداً، لم أكن قد رأيته غاضباً إلى ذلك الحد من قبل».

سـألت إيلينبـورغ: «هـل تريديـن الاتصـال بأحد أفـراد عائلتك؟ شخص يمكنه المجيء والبقاء معك؟ بأبنائك؟»‏.

«لا، سيعود ألبرت ويكون كل شيء على ما يرام، لا أريد إزعاج الفتيان، سيكون كل شيء على ما يرام، ألبرت سيعود».

سأل إرلندور: «لماذا كان غاضباً جداً؟». كانت كاترين قد جلست على الأريكة في غرفة الجلوس، وجلس إرلندور وإيلينبورغ بمواجهتها كما فعلا من قبل.

«استشاط غضباً، أعني ألبرت، وهو عادة هادئ جداً، ألبرت رجل صالح، رجل طيب، ولطالما كان طيباً معي، زواجنا ناجح، لطالما كنا سعيدين».

قالـت إيلينبـورغ: «ربمـا تودّيـن أن نأتـي في وقت لاحق». حدق إرلندور إليها.

قالـت كاتريـن: «لا، أنـا بخيـر، سـيكون كل شـيء على ما يرام، ألبرت سـيعود، إنه يحتاج إلى وقت لتخطّي الأمر، يا إلهي، كم هذا صعب. كان يجب أن أخبره مباشرة، كما قال، لم يفهم كيف كتمت السر كل ذلك الوقت. صرخ علي».

نظرت كاترين إليهما.

«لم يصرخ علي أبداً من قبل».

قالـت إيلينبـورغ وهـي تقـف: «هل تودّين بعض المسـاعدة؟ هل تودّين مني الاتصال بطبيبك؟». نظر إرلندور إليها بذهول.

قالت كاترين: «لا، أنا بخير، ذلك ليس ضرورياً، أشعر بالنعاس قليلاً، سـتكون الأمور على ما يرام. اجلسـي يا عزيزتي. سـيكون كل

شيء على ما يرام».

سأل إرلندور: «ما الذي أخبرت زوجك به؟ هل أخبرته عن الاغتصاب؟».

«كنت أودّ ذلك طيلة تلك السنين، لكن لم أمتلك الشجاعة لقول ذلك، لم أخبر أحداً عن الحادثة، حاولت أن أنساها، تصرَّفتُ وكأنها لم تحدث أبداً، كان الأمر صعباً، لكنني تمكّنت من ذلك نوعاً ما، ثم جئتما ووجدت نفسي أخبركما كل شيء، بطريقة ما شعرت بأنني أفضل حالاً، كأن ذلك أراحني من عبء كبير، كنت أعرف أن باستطاعتي أخيراً أن أتكلم علناً، وكان القيام بذلك صواباً، حتى بعد كل ذلك الوقت».

توقفت كاترين عن الكلام.

سأل إرلندور: «هل غضب منك لأنك لم تخبريه عن الاغتصاب؟».

«نعم».

سألت إيلينبورغ: «ألم يفهم وجهة نظرك؟».

«قال إنه كان يجب عليَّ أن أخبره بذلك مباشرة، ذلك مفهوم بالطبع، قال إنه كان دائماً صادقاً معي وإنه لا يستحق هذا».

قال إرلندور: «لكنني لا أفهم ما يحدث تماماً، يبدو ألبرت شخصاً أفضل من ذلك، كنت أظن أنه سيحاول مواساتك، بدلاً من ذلك، ويقف إلى جانبك، لا أن يخرج غاضباً من المنزل».

قالت كاترين: «أعرف. ربما لم أخبره ذلك بطريقة مناسبة».

قالت إيلينبورغ من دون أن تحاول إخفاء شكوكها: «طريقة مناسبة؟ كيف يمكنكِ أن تخبري أي شخص عن ذلك النوع من الأشياء بطريقة مناسبة؟».

هزّت كاترين رأسها.

«لا أدري. أقسم إنني لا أدري».

سأل إرلندور: «هل أخبرته الحقيقة كلها؟».

«أخبرته بما قلته لكما؟».

«ولا شيء آخر؟».

قالت كاترين: «لا».

«فقط عن الاغتصاب؟».

كرّرت كاترين: «فقط. فقط! كأن ذلك لم يكن كافياً، كأنه ليس كافياً بالنسبة إليه أن يسمع أنني تعرضت لاغتصاب، ولم أخبره أبداً بذلك، أليس ذلك كافياً؟».

أطبق الصمت عليهم جميعاً.

سأل إرلندور أخيراً: «ألم تخبريه عن ابنك الأصغر؟».

نظرت كاترين فجأة شزراً إليه.

قالت وهي تشدّد على الكلمات: «ماذا بشأن ابننا الأصغر؟».

قال إرلندور الذي كان قد قرأ التفاصيل التي جمعتها إيلينبورغ عن العائلة في اليوم السابق: «أطلقت عليه اسم إينار».

«ماذا عن إينار؟».

نظر إرلندور إليها.

كرّرت: «ماذا عن إينار؟».

قال إرلندور: «إنه ابنك، لكنه ليس ابن والده».

«ما الذي تتكلم عنه؟ ليس ابن والده؟ بالطبع هو ابن والده! كيف ليس ابن والده؟».

قال إرلندور بهدوء: «آسف، لم أكن دقيقاً بما يكفي، إنه ليس ابن

الوالـد الـذي يظنـه والـده، إنه ابن الرجل الذي اغتصبك. ابن هولبرغ. هـل أخبـرت زوجـك بذلـك؟ هـل كان هـذا سـبب رحيلـه على تلك الحال؟».

بقيت كاترين صامتة.

«هل أخبرته الحقيقة كاملة؟».

نظـرت كاتريـن إلـى إرلندور، شـعر أنها تسـتعد للمقاومة، مرّت بضع دقائق ثم رأى شـفتيها تتباعدان، أرخت كتفيها، أغلقت عينيها، غاصت في الكرسي وأجهشت بالبكاء. حدّقت إيلينبورغ إلى إرلندور لكنه اكتفى بمراقبة كاترين في الكرسي ومنحها وقتاً لتهدأ.

سـأل مجـدداً، عندمـا ظـنّ أنهـا قد تمالكت رباطة جأشـها: «هل أخبرته عن إينار؟».

قالت: «لم يصدق الأمر».

قال إرلندور: «إن إينار ليس ابنه؟».

«إنهما مقرّبان كثيراً، إينار وألبرت، ولطالما كانا كذلك، منذ ولد، ألبـرت يحـب ولديـه الآخريـن أيضـاً، بالطبع، لكنه يُكـنّ محبةً خاصة لإينار. منذ ولادته، إنه الولد الأصغر، وقد أشبعه ألبرت دلالاً».

توقفت كاترين عن الكلام قليلاً.

«ربما لهذا السبب لم أقل شيئاً أبداً، كنت أعرف أن ألبرت لن يتحمّل ذلك، مضت السـنون وتظاهرت أن شـيئاً لا ينقصنا، لم أقل شـيئاً أبـداً، وقـد نجـح الأمـر، كان هولبـرغ قد ترك جرحـاً لكن لماذا لا أدعه يُشـفى بسـلام؟ لماذا أدعُه يدمّر مسـتقبلنا معاً؟ كان التجاهل طريقتي في التعامل مع تلك الحادثة المروّعة».

سـألت إيلينبـورغ: «هـل عرفـت مباشـرة أن إينـار كان ابـن هولبرغ؟».

«قد يكون ابن ألبرت».

أطبق الصمت على كاترين مجدداً.

قال إرلندور: «لكنك رأيت ذلك في وجهه».

نظرت كاترين إليه. «كيف تعرف كل هذا؟».

قال إرلندور: «إنه يشبه هولبرغ، أليس كذلك؟ هولبرغ عندما كان شاباً، رأته امرأة في كيفلافيك وظنّت أنه هولبرغ نفسه».

«هناك بعض الشبه بينهما».

«إذا لم تخبري ابنك أي شيء أبداً، وإذا لم يكن زوجك يعرف بشأن إينار، ما سبب هذه المكاشفة الآن بينك وبين ألبرت؟ ما الذي أثار الموضوع؟».

قالت كاترين: «أي امرأة في كيفلافيك؟ أي امرأة تعيش في كيفلافيك تعرف هولبرغ؟ هل كان يعيش مع امرأة هناك؟».

قال إرلندور متسائلاً إن كان يجب أن يخبرها عن كولبرون وأودور: لا. هي ستسمع عنهما عاجلاً أم آجلاً، ولم يكن يرى أي سبب منطقي كي لا تعرف كاترين الحقيقة آنذاك. كان قد أخبرها سابقاً عن الاغتصاب في كيفلافيك، لكنه زوّدها آنذاك باسم ضحية هولبرغ وأخبرها بشأن أودور التي توفيت صغيرة بعد معاناة مع مرض خطير وصعب، أخبرها كيف عثروا على صورة شاهدة القبر في درج هولبرغ، وكيف قادتهم إلى كيفلافيك وإيلين، وأخبرها عن المعاملة التي لقيتها كولبرون عندما حاولت التقدم بشكوى.

أصغت كاترين السمع لكل كلمة قالها، ظهرت دموع في عينيها عندما أخبرها إرلندور عن وفاة أودور. أخبرها أيضاً بشأن غريتار، رجل آلة التصوير، الذي كانت قد رأته مع هولبرغ، وكيف اختفى دون أن يترك أثراً، لكن تم العثور على جثته تحت القاعدة الإسمنتية

لشقة هولبرغ في القبو.

قالت كاترين: «هل كانت تلك الجلبة في نوردورمايري التي ظهرت في الأخبار؟».

أومأ إرلندور.

«لم أكن أعرف أن هولبرغ اغتصب امرأة أخرى، كنت أظن أنني الوحيدة».

قال إرلندور: «نعرف فقط بشأنكما أنتما الاثنتين. قد يكون هناك أخريات، لسنا واثقين ربما نعرف».

قالت كاترين مستغرقة في تفكير عميق: «إذن كانت الطفلة المسكينة أودور الأخت غير الشقيقة لإينار».

سأل إرلندور: «هل أنتِ واثقة أنكِ لم تكوني تعرفين ذلك؟».

قالت: «بالطبع أنا واثقة، لم تكن لدي أدنى فكرة عن الأمر».

قال إرلندور: «إينار يعرف بشأنها، اقتفى أثر إيلين في كيفلافيك».

لم تُجب كاترين، قرّر أن يطرح سؤالاً مختلفاً.

«إذا كان ابنك لا يعرف شيئاً، وأنتِ لم تخبري زوجك عن الاغتصاب، كيف اكتشف إينار الحقيقة الآن؟».

قالت كاترين: «لا أدري، أخبرني، كيف ماتت الطفلة المسكينة؟».

قال إرلندور من دون أن يجيبها: «هل تعرفين أن ابنك مشتبه به في قضية مقتل هولبرغ؟». حاول أن يصيغ ما كان يجب أن يقوله بحرص قدر المستطاع، لاحظ أن كاترين كانت هادئة جداً، كأنها لم تتفاجأ بأن ابنها مشتبه به في جريمة قتل.

قالت بهدوء: «ابني ليس قاتلاً، لا يمكنه أن يقتل أحداً».

«هناك احتمال قوي أن يكون قد ضرب هولبرغ على رأسه، ربما لم يكن يقصد قتله، ربما فعل ذلك جرّاء نوبة غضب، ترك رسالة لنا تقول: أنا هو. هل تفهمين ما تعنيه؟».

لم تقل كاترين شيئاً.

«هل كان يعرف أن هولبرغ والده؟ هل كان يعرف ما فعله هولبرغ لك؟ هل كان يعرف عن أودور وإيلين؟ كيف؟».

أطرقت كاترين رأسها ولم تُجِب.

سألت إيلينبورغ: «أين ابنك الآن؟».

قالت كاترين بهدوء: «لا أدري، لم أسمع عنه شيئاً منذ عدّة أيام».

نظرت إلى إرلندور.

«عرف فجأة بشأن هولبرغ، كان يعرف أن هناك شيئاً ليس سويّاً. اكتشف ذلك في العمل. قال إننا لا نستطيع إخفاء أي أسرار هذه الأيام. قال إن كل شيء موجود في قاعدة البيانات».

38

نظر إرلندور إلى كاترين.

سأل: «هل تلك هي الطريقة التي حصل بها على المعلومات بشأن والده الحقيقي؟».

قالت كاترين بصوت خافت: «اكتشف أنه لا يمكن أن يكون ابن ألبرت».

سأل إرلندور: «كيف؟ ما الذي كان يبحث عنه؟ لماذا كان يبحث عن نفسه في قاعدة البيانات؟ هل كانت تلك مجرد مصادفة؟».

قالت كاترين: «لا. لم تكن مصادفة».

كانت إيلينبورغ قد اكتفت من الحديث. أرادت أن توقف الاستجواب وتمنح كاترين استراحة. نهضت وهي تقول إنها بحاجة إلى كوب من الماء، وأشارت إلى إرلندور أن يأتي معها، تبعها إلى المطبخ. قالت له إيلينبورغ أنها تظن أن المرأة عانت ما يكفي حتى الآن في خلال استجوابها وأنهما يجب أن يتركاها وشأنها، ويطلبا إليها استشارة محامٍ قبل أن تقول شيئاً آخر. كان يجب أن يؤجلا التحقيق إلى وقت لاحق من اليوم، وأن يتكلما إلى عائلتها ويطلبا من أحدٍ أن يبقى معها ويساعدها. أشار إرلندور إلى أن كاترين ليست رهن الاعتقال، ليست مشتبهاً به، وأن ذلك ليس تحقيقاً رسمياً، وإنما جمع معلومات فقط، وأن كاترين متعاونة جداً حتى تلك اللحظة. كان يتعين عليهما أن يتابعا عملهما.

هزّت إيلينبورغ رأسها.

قال إرلندور: «اضربي الحديد وهو حامٍ».

همّت إيلينبورغ: «يا له من مثَل!».

ظهرت كاترين عند باب المطبخ وسألت إن كان يجب أن يتابعوا، كانت مستعدة لقول الحقيقة وعدم إخفاء أي شيء هذه المرة.

قالت: «أريد أن أستعرض ذلك معكما».

سألتها إيلينبورغ إن كانت تريد الاتصال بمحامٍ، لكنها رفضت. قالت إنها لا تعرف محامين ولم تكن هناك ضرورة من قبل لاستشارة أحدهم، لم تكن تعرف كيف يتم ذلك الأمر.

نظرت إيلينبورغ نظرة تساؤل إلى إرلندور، طلب إلى كاترين أن تتابع كلامها، عندما جلسوا جميعاً تابعت كاترين القصة، فركت يديها وبدأت بحزن سرد قصتها بأسلوب الغائب وليس بأسلوب المتكلم، وكأنها أرادت اتّباع هذا الأسلوب، في سرد قصتها، لإراحة نفسها، ولو آنياً، من الإحساس الذي تعيشه.

* * *

كان ألبرت سيسافر خارج البلاد صبيحة ذلك اليوم، فنهضا مبكرين، أعدّت القهوة لكليهما، تكلما مجدداً عن بيع المنزل وشراء آخر أصغر في مكان ما، كانا يتكلمان كثيراً عن ذلك، لكنهما لم يتوصّلا إلى قرار، ربما كانت تبدو خطوة كبيرة جداً تبرز مدى تقدمها بالسن. لم يشعرا أبداً بأنهما عجوزان، لكن بدا أنها مسألة ذات أهمية كبيرة أن يشتريا منزلاً أصغر. قال ألبرت إنه سيتكلم إلى وكيل عقارات عندما يعود، ثم غادر في سيارته الشيروكي.

عادت إلى السرير، لا تزال أمامها ساعتان للذهاب إلى العمل، لكنها لم تتمكّن من النوم، استلقت وهي تتقلّب وتستدير حتى الساعة

الثامنة. كانت في المطبخ عندما سمعت إينار يدخل مستعملاً مفتاح المنزل الذي يحمله دائماً.

لاحظت مباشرة أنه كان منزعجاً لكنها لم تكن تعرف السبب، قال إنه بقي مستيقظاً طوال الليل. تجاوز غرفة الجلوس وذهب إلى المطبخ لكنه رفض أن يجلس.

قال: «كنت أعرف أن هناك خطباً ما»، ونظر إلى والدته غاضباً. «كنت أعرف ذلك كل الوقت!».

لم تفهم سبب غضبه.

كرّر بصوت مرتفع: «كنت أعرف أن هناك خطباً ما».

قالت دون أن تدري سبب غضبه: «ما الذي تتكلم عنه حبيبي، أي خطب؟».

قال: «فككت الشيفرة، خرقت القانون لأفكّ الشيفرة، أردت أن أرى كيف ينتقل المرض ضمن العائلات - وهو ينتقل ضمن العائلات - يمكنني تأكيد ذلك. إنه في عدّة عائلات، لكنه ليس في عائلتنا، ليس في عائلة أبي ولا في عائلتك، لهذا السبب هناك خطب ما. هل تفهمين؟ هل تفهمين ما أقوله؟».

* * *

رنّ هاتف إرلندور الخلوي في جيب معطفه، اعتذر من كاترين؛ ذهب إلى المطبخ للرد على المكالمة. كان سيغوردور أولي.

قال دون أن يعرّف عن نفسه: «المرأة العجوز من كيفلافيك تبحث عنك».

«المرأة العجوز؟ هل تعني إيلين؟».

«نعم، إيلين».

«هل تكلمت إليها؟».

قال سيغوردور أولي: «نعم. قالت إنها يجب أن تتكلم معك فوراً».

«هل تعرف ماذا تريد؟».

«رفضت بشكل قاطع أن تخبرني، ما ستفعل؟».

«هل زوّدتها برقم هاتفي الخلوي؟».

«لا».

قال إرلندور: «إذا اتصلت مجدداً زوّدها برقمي»، أنهى المكالمة.

كانت كاترين وإيلينبورغ تنتظرانه في غرفة الجلوس.

قال لكاترين: «آسف». تابعت سرد قصتها.

* * *

مشى إينار في غرفة الجلوس، حاولت كاترين أن تهدئ من روعه لتعرف ما أزعجه، جلست وطلبت إليه الجلوس إلى جانبها، لكنه لم يصغِ إليها، مشى ذهاباً وإياباً أمامها، كانت تعرف أنه واجه متاعب لوقت طويل، ولم ينفعه الانفصال، كانت زوجته قد تركته، لتبحث عن بداية جديدة، لم تشأ أن تحيا محنته.

قالت: «أخبرني ما الخطب».

«كل شيء يا أمي، كل شيء».

ثم طرح السؤال الذي كانت تنتظره طيلة تلك السنوات.

سألها ابنها وهو واقف أمامها: «من والدي؟ من والدي الحقيقي؟».

نظرت إليه.

قال: «لا أريد أي أسرار بعد الآن يا أمي».

سألت: «ما الذي اكتشفته؟ ما الذي كنت تبحث عنه؟».

قال: «أعرف أن والدي ليس والدي». جأر بضحكة عالية. «هل سمعتِ ذلك؟ أبي ليس أبي! وإذا لم يكن أبي، من أكون إذاً؟ من أين جئت؟ شقيقاي! فجأة أصبحا مجرد أخّين؟ لماذا لم تخبريني أبداً أي شيء؟ لماذا كذبتِ علي كل ذلك الوقت؟ لماذا؟ لماذا؟».

حدّقت إليه وامتلأت عيناها دموعاً.

سأل: «هل خنتِ أبي؟ يمكنك أن تخبريني. لن أقول لأحد، هل خنته؟ لن يعرف أحد بذلك سوانا، يجب أن أسمع ذلك منك، يجب أن تقولي لي الحقيقة. من أين جئت؟ كيف ولدت؟».

توقف عن الكلام.

«هل أنا طفل بالتبني؟ يتيم؟ من أنا؟ من أنا؟ أمي؟».

أجهشت كاترين بالبكاء، وأخذت تنشج بقوة. حدّق إليها، بدأ يهدأ، بينما كانت تبكي على الأريكة. استغرق الأمر منه بعض الوقت ليدرك كم أزعجتها كلماته، أخيراً جلس ووضع ذراعه حولها، جلسا بعض الوقت بصمت، ومن ثم بدأت تخبره عن الليلة في هوسافيك عندما كان والده في البحر. كانت تسهر مع صديقاتها والتقين بعض الرجال، ومنهم هولبرغ، الذي اقتحم منزلها. استمع إلى قصتها من دون أن يقاطعها.

أخبرته كيف قام هولبرغ باغتصابها وتهديدها، وكيف قرّرت من تلقاء نفسها الاحتفاظ بالطفل، ولم تخبر أحداً بما حدث، بما في ذلك والده وحتى هو نفسه، وقد نجحت في ذلك، كانوا ينعمون بحياة سعيدة، لم تسمح لهولبرغ أن يحرمها سعادتها، أو أن يفرط عقد عائلتها.

قالت رغم إنه ابن الرجل الذي اغتصبها، إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تحبه مثلما أحبّت ابنيها الآخرين، كما تعرف أن ألبرت مولع

به كثيراً، لهذا لم يعانِ إينار أبداً مما فعله هولبرغ، إطلاقاً.

استغرق الأمر منه بضع دقائق ليستوعب ما كانت قد قالته.

قال أخيراً: «آسف، لم أقصد أن أثور غضباً عليك، كنت أظن أنك خنتِ أبي، وأنني جئت بتلك الطريقة، لم تكن لدي أي فكرة عن الاغتصاب».

قالت: «بالطبع لا. كيف كان لك أن تعرف؟ لم أخبر أحداً أبداً حتى الآن؟».

قال: «كان يجب أن أفكر في ذلك الاحتمال أيضاً، كان هناك احتمال آخر، لكنني لم أفكّر فيه، آسف، لا بد أنك شعرت بالسوء كل تلك السنين».

قالت: «يجب ألا تفكر في ذلك، يجب ألا تعاني مما فعله ذلك الرجل».

قال: «أنا أعاني منه سلفاً يا أمي، عذاب لا ينتهي، ولست وحدي في ذلك، لماذا لم تقومي بعملية إجهاض؟ ما الذي منعك؟؟».

«آه يا إلهي، لا تقل ذلك يا إينار، لا تتكلم أبداً بتلك الطريقة».

* * *

توقفت كاترين عن الكلام.

سألت إيلينبورغ: «ألم تفكري أبداً في إجراء عملية إجهاض؟».

«كل الوقت. دائماً، حتى فات الأوان، كنت أفكر في الإجهاض كل يوم بعد أن اكتشفت أنني حامل، على كل حال، كان هناك احتمال كبير أن يكون ابن ألبرت، ثم أُصبت باكتئاب ما بعد الولادة، الاكتئاب الذي يلي الولادة، أليس كذلك؟ تلقيت علاجاً نفسياً، بعد ثلاثة شهور

أصبحت بحال جيدة بما يكفي مجدداً لأعتني بالطفل وقد أحببته منذ ذلك الوقت».

انتظر إرلندور لحظة قبل أن يتابع استجوابها.

سأل أخيراً: «لماذا بدأ ابنك البحث في الأمراض الوراثية في قاعدة بيانات مركز البحوث؟».

نظرت كاترين إليه.

سألت: «كيف توفيت تلك الفتاة من كيفلافيك؟».

قال إرلندور: «ورم دماغي، المرض يدعى الورم العصبي الليفي».

امتلأت عينا كاترين بالدموع وأطلقت تنهيدة عميقة.

قالت: «ألم تكن تعرف؟».

«لم أكن أعرف ماذا؟».

قالت كاترين: «توفيت حبيبتنا الصغيرة قبل ثلاث سنوات، من دون سبب معقول، من دون سبب على الإطلاق».

قال إرلندور: «حبيبتكم الصغيرة؟».

قالت: «حبيبتنا الصغيرة، حفيدتنا، ابنة إينار، توفيت الطفلة المسكينة الحلوة».

39

أطبق صمت ثقيل على المنزل.

كانت كاترين تجلس مطأطأة الرأس، نظرت إيلينبورغ مشـدوهةً إليهـا ثـم إلـى إرلنـدور. حدّق إرلنـدور إلى الفراغ وفكّر في إيفا ليند. ما الذي كانت تفعله آنذاك؟ هل كانت في شـقته؟ شـعر بحاجة إلى التكلم مع ابنته. شعر بحاجة إلى معانقتها، احتضانها وألاّ يتركها حتى يخبرها كم يهتم لأمرها.

قالت إيلينبورغ: «لا أصدق ذلك».

قال إرلندور: «ابنك يحمل المورثة، أليس كذلك؟».

قالـت كاتريـن: «كانـت تلك هي الجملة التي اسـتخدمها، حامل للمورثـة، كلاهمـا، هـو وهولبـرغ. قـال إنـه ورثهـا مـن الرجـل الذي اغتصبني».

قال إرلندور: «لكن أياً منهما لم يمرض».

قالت كاترين: «يبدو أن الإناث هن من يمرضن، الذكور يحملون المرض، لكن لا تظهر عليهم بالضرورة أي أعراض، لكنه يظهر بكل الأشكال، ولا يمكنني شرح ذلك، ابني يفهم الأمر، حاول أن يشرحه لي، لكنني لم أفهم حقاً ما كان يتكلم عنه، كان فؤاده مفطوراً. وكذلك كنت بالطبع».

قـال إرلنـدور: «واكتشـف كل هـذا مـن قاعدة البيانات تلك التي يقومون بإعدادها».

أومأت كاترين برأسها ثم تابعت:

«لم يفهم لماذا أُصيبت ابنته الصغيرة بالمرض لهذا بدأ البحث عنه في عائلتي وعائلة ألبرت، تكلم إلى أقرباء ولم يستسلم. ظننا أنها طريقته في التعامل مع الصدمة. كل ذلك البحث الذي لا ينتهي عن السبب، البحث عن أجوبة لم نكن نظن أنه يمكن العثور عليها أصلاً. انفصلا منذ مدة، هو ولارا، لم يتمكنا من العيش معاً مدة أطول، وقررا أن ينفصلا مؤقتاً، لكنني لا أرى الوضع يتحسن أبداً».

توقفت كاترين عن الكلام.

قال إرلندور: «ثم عثر على الجواب».

«أصبح مقتنعاً أن ألبرت لم يكن والده، واقتنع بعدم بنوَّته لألبرت وفقاً للمعلومات التي حصل عليها من قاعدة البيانات، كان يظن أنني لم أكن مخلصة أو أنه وَلدٌ بالتبنّي وعندها جاء ليواجهني بتلك الشدّة».

«هل عثر على هولبرغ في قاعدة البيانات؟».

«لا أظن ذلك، ليس منذ وقت طويل، بعد أن أخبرته عن هولبرغ، كنت سطحية، سخيفة جداً! كان ابني قد حضّر لائحة بآبائه المحتملين وكان هولبرغ ضمنها، استطاع تقفي آثار المرض عبر عائلات معينة بالاستفادة من قاعدة بيانات المورثات والأنساب واكتشف أنه لا يمكن أن يكون ابن والده، هذا يمثل انحرافاً، يعني أنه من سلالة مختلفة».

«كم كان عمر ابنته؟».

«سبع سنوات».

قال إرلندور: «ورم دماغي تسبب بوفاتها، أليس كذلك؟».

«نعم».

«ماتت نتيجة المرض نفسه مثل أودور. ورم عصبي ليفي».

«نعم. لا بد أن والدة أودور قد انتابها شعور فظيع؛ سبّبه هولبرغ، ومن ثم وفاة ابنتها».

تردّد إرلندور للحظة. «كولبرون والدتها، انتحرت بعد وفاة أودور بثلاث سنوات».

تنهّدت كاترين: «يا إلهي».

سأل إرلندور: «أين ابنك الآن؟».

ردّت كاترين: «لا أدري، أشعر بقلق كبير من أن يفعل بنفسه شيئاً رهيباً، إنه يشعر باكتئاب شديد، إنه مضطرب جداً».

«هل تظنين أنه كان على اتصال بهولبرغ؟».

«لا أدري، كل ما أعرفه أنه ليس قاتلاً، هذا ما أعرفه بالتأكيد».

سأل إرلندور: «هل كنت تظنين أنه يبدو مثل والده؟»، ونظر إلى صور التعميد.

لم ترد كاترين.

سأل إرلندور: «هل يمكنك رؤية تشابه بينهما؟».

قالت إيلينبورغ بحدّة، غير قادرة على تحمّل المزيد: «هيا إرلندور، ألا تظن أنك قد تماديت بما يكفي، حقاً؟».

قال إرلندور لكاترين: «آسف. أنا أشعر بالفضول فقط، كنت مفيدة جداً لنا، وإذا كان في ذلك أي مواساة لك، أشك في أننا سنجد شخصاً أكثر وفاءً وقوة منك، بعد أن عانيت بصمت كل تلك السنين».

قالت كاترين لإيلينبورغ: «لا بأس بذلك. يمكن أن يشبه الأولاد أي شخص في العائلة، لم أكن أرى أبداً أي تشابه بين هولبرغ وابني، قال إنها لم تكن غلطتي، إينار قال ذلك، لا يمكن أن أتحمل اللوم بسبب وفاة ابنته».

توقفت كاترين عن الكلام قليلاً.

سألت: «ماذا سيحدث لإينار؟». لم تكن تُظهر أي مقاومة آنذاك، لا أكاذيب، قبول فقط.

قال إرلندور: «يجب أن نعثر عليه، نتكلم معه ونستمع إلى ما سيقوله».

نهض وإيلينبورغ. اعتمر إرلندور قبعته بينما بقيت كاترين على الأريكة.

قال إرلندور: «يمكنني التكلم إلى ألبرت إن كنتِ تريدين ذلك، نعرف أنه نزل في فندق إيسجا الليلة الماضية. كنا نراقب منزلك منذ أمس تحسباً لظهور ابنك، يمكنني أن أشرح لألبرت ما يجري، سيعود إلى صوابه».

قالت كاترين: «شكراً لك، سأتصل به، أعرف أنه سيعود، يجب أن نتكاتف معاً لمصلحة ولدنا».

حدّقت إلى عيني إرلندور.

قالت: «إنه ولدنا، سيكون دائماً ولدنا».

40

صدق توقع إرلندور، لم يكن إينار في المنزل. ذهبا إلى شقته في ستوراجردي بعد أن غادرا منزل كاترين مباشرة. كان الوقت ظهراً وفي ساعة الذروة بالنسبة إلى حركة السير. على الطريق، اتصل إرلندور هاتفياً بسيغوردور أولي ليوافيه بآخر التطورات. كان عليهم أن يبدأوا بسؤال الناس عن مكان وجود إينار، ومن ثم العثور على صورة له ونشرها في الصحف والتلفاز إلى جانب إعلان صغير. اتفقا على أن يلتقيا في ستوراجردي، عندما وصل إرلندور إلى هناك، خرج من السيارة التي قادتها إيلينبورغ بعيداً، انتظر إرلندور بعض الوقت حتى وصل سيغوردور أولي. كانت الشقة في قبو مبنى مؤلف من ثلاثة طوابق، وبابه الأمامي على مستوى الشارع، قرعا الجرس وطرقا على الباب لكن أحداً لم يجبهما، قصدا الطوابق العليا، تبين أن إينار استأجر من مالك إحدى الشقق الأخرى الذي صودف في منزله لتناول الغداء، فأظهر استعداداً للنزول معهما وفتح الشقة التي استأجرها إينار. قال إنه لم يرَ إينار منذ عدّة أيام، وربما منذ أسبوع؛ فهو رجلٌ هادئ لا يشكو أحد منه، كان يدفع الإيجار بانتظام، لم يتخيل لماذا تريده الشرطة في المقام الأول. لتفادي أي تخمين، قال سيغوردور أولي إن أفراد عائلته فقدوا الاتصال به وهم يحاولون معرفة مكانه. سأل مالك الشقة إن كانت لديهما مذكرة لتفتيش المنزل. لم تكن لديهما، لكنهما كانا سيحصلان عليها في وقت لاحق من ذلك اليوم. اعتذرا إليه عندما فتح الباب ودخلا الشقة. كانت كل الستائر مسدلة والظلام حالكاً في الداخل، كانت شقة صغيرة جداً؛ غرفة جلوس، غرفة نوم، مطبخ

وحمّام وقد غطّى السجاد أرضية المنزل كلها عدا الحمّام والمطبخ اللذين كانا مكسوين بحُصر، تلفاز في غرفة الجلوس، وأريكة أمام التلفاز. كان الهواء في الشقة رطباً، بدلاً من فتح الستائر أنار إرلندور أضواء غرفة الجلوس كي يستطيعا الرؤية بشكل أفضل.

حدّقا إلى جدران الشقة ونظرا إلى بعضهما بعضاً، كانت الجدران مغطاة بكلمتين يعرفانها جيداً من شقة هولبرغ، مكتوبتين بقلم حبر جاف، قلم تخطيط وطلاء رش، كلمتان لم يكن إرلندور يفهمهما لكنهما أصبحتا واضحتين آنذاك.

أنا هو

صحف ومجلات تبعثرت في كل أرجاء المنزل، أيسلندية وأجنبية، وكتب علمية تكدّست هنا وهناك على أرضية غرفتي الجلوس والنوم، ألبومات صور كبيرة وجدت ضمن الكتب المبعثرة، في المطبخ أغلفة لعلب وجبات سريعة التحضير.

قال سيغوردور أولي وهو يرتدي قفازاته المطاطية: «الأبوة، هل يمكننا أن نتأكد منها في أيسلندا؟».

بدأ إرلندور يفكّر مجدداً في الأبحاث الوراثية. كان مركز البحوث الوراثية قد بدأ مؤخراً جمع بيانات طبية عن كل الأيسلنديين، ماضياً وحاضراً، لإنشاء قاعدة بيانات تضم معلومات صحية عن كل الأمة. كان سيتم ربطها بقاعدة بيانات الأنساب التي ستقتفي نسب كل أيسلندي إلى العصور الوسطى؛ وكانوا سيدعونها صندوق الموروثات الأيسلندي، كان الهدف الرئيس منه اكتشاف طريقة انتقال الأمراض الوراثية، دراستها جينياً وإيجاد طرائق لعلاجها، وكذلك الأمراض

الأخـرى إذا كان ذلـك ممكنـاً. كان قـد قيـل إن الأمـة التـي لا تتمازج الأجناس فيها، مثل أيسلندا، يجعلها مختبراً حياً للأبحاث الوراثية.

كان مركز البحوث الوراثية، ووزارة الصحة التي منحت رخصة قاعدة البيانات، يكفلان عدم اختراق أي دخيل لقاعدة البيانات، وأعلنا عن وجود نظام تشفير معقّد للبيانات يستحيل اختراقه.

سـأل إرلندور: «هل أنت قلق على أبوّتك؟». وضع أيضاً قفازاً مطاطياً وتقدم بحرص في غرفة الجلوس، التقط أحد ألبومات الصور وتصفّحها، كانت قديمة.

«كان الجميـع يقولـون دائمـاً إننـي لا أشـبه والـدي أو والدتي أو أي شخص آخر في عائلتي».

قال إرلندور: «لطالما كان لدي ذلك الشعور أيضاً».

«ماذا تعني».

«أنك ابن غير شرعي».

قال سيغوردور أولي: «أنا سعيد لأنك استرجعت روح دعابتك. كنت بعيداً قليلاً في الآونة الأخيرة».

قال إرلندور: «أي روح دعابة؟».

تصفّح أحد الألبومات، كان فيه صور بالأبيض والأسود، ظنّ أنه تعـرَّف إلـى والـدة إينـار فـي بعضهـا. لهذا لا بد أن الرجل كان ألبرت مـع الفتيـان؛ الأبنـاء الثلاثـة، كان إينـار أصغرهم. كانت هناك صور تم التقاطهـا فـي عيـد الميـلاد وفـي عطلات صيفية، العديـد منها لقطات عادية مأخوذة للفتيان في الشارع أو إلى طاولة المطبخ، يرتدون كنزات محاكة، والتي كان إرلندور يتذكرها من أواخر الستينيات. كان الشقيقان الأكبران قد تركا شعرهما يطول.

في مكان آخر من الألبوم كان الفتيان أكبر سناً وشعرهم أطول،

يرتدون بذلات بطيات صدر سترها عريضة، وينتعلون أحذية سوداء ذات كعوب عالية، كانت كاترين تظهر بشعرها الأجعد، كانت الصور قد بدأت بالألوان آنذاك، كان شعر ألبرت قد بدأ يشيب. نظر إرلندور إلى إينار وعندما قارن معالم وجهه بسِمات أخويه ووالديه استطاع أن يرى كم كان يبدو مختلفاً، كانت للولدين الآخرين ملامح قاسية من والديهما، خاصة والدهما. كان إينار البطة الصغيرة البشعة.

وضع الألبوم القديم أرضاً وأمسك آخر أكثر حداثة، بدا أن إينار قد التقط بنفسه الصور التي تظهر فيها عائلته، لم تدل على أنها التقطت منذ زمن طويل. كان الأمر كأن إرلندور قد انغمس في مسار حياة إينار عندما بدأ يتعرف إلى زوجته. تساءل إن كانت تلك صور شهر العسل، افترض أنهما سافرا في أرجاء أيسلندا، ذهبا إلى هورنستراندير، ثورسمورك، هردوبريدارليندير. أحياناً كانا على دراجتين هوائيتين، أحياناً يقودان سيارة قديمة متهالكة، صور تخييم، افترض إرلندور أنه قد تم التقاطها في منتصف الثمانينيات.

تصفّح الألبوم بسرعة، وضعه جانباً والتقط ما بدا أنه الألبوم الأحدث بينها، رأى فيه صورة فتاة صغيرة في سرير مستشفى مع أنابيب في ذراعيها وقناع أوكسجين فوق وجهها، كانت عيناها مغلقتين ومحاطة بمعدّات طبية، كان يبدو أنها في العناية المركّزة، تردّد للحظة قبل أن يتابع.

تفاجأ إرلندور بالرنين المفاجئ لهاتفه الخلوي، وضع الألبوم أرضاً من دون أن يغلقه، كانت إيلين من كيفلافيك ويبدو أنها تشعر بقلق كبير.

قالت مباشرة: «كان معي هذا الصباح».

«من؟».

«أخ أودور، اسمه إينار، حاولت الاتصال بك، كان معي هذا الصباح وأخبرني القصة بأكملها، ذلك الرجل المسكين، فقد ابنته، مثل كولبرون تماماً، كان يعرف سبب وفاة أودور، إنه مرض في عائلة هولبرغ».

سأل إرلندور: «أين هو الآن؟».

قالت إيلين: «كان يشعر باكتئاب شديد، قد يُقدم على فعل شيء أحمق».

«ماذا تعنين بأحمق؟».

«قال إن الأمر انتهى».

«ما الذي انتهى؟».

«لم يخبرني، وقال فقط إن الأمر انتهى».

«هل تعرفين أين هو الآن؟».

«قال إنه سيعود إلى ريكيافيك».

«إلى ريكيافيك؟ أين؟».

أجابت إيلين: «لم يقل».

«هل كانت هناك أي دلالة عما سيفعله؟».

قالت إيلين: «لا. لا شيء على الإطلاق. يجب أن تعثر عليه قبل أن يفعل شيئاً لا تُحمد عقباه، تنتابه مشاعر فظيعة، ذلك الرجل المسكين، هذا مريع، مريع تماماً. يا إلهي، لم أكن أعرف أن هناك شيئاً مماثلاً».

«ماذا؟».

«إنه يشبه والده. إنه صورة طبق الأصل عن هولبرغ، ولا يمكنه التعايش مع ذلك، لا يمكنه فحسب، بعد أن سمع ما فعله هولبرغ بوالدته، يقول إنه سجين داخل جسده، يقول إن دم هولبرغ يجري

في عروقه ولا يمكنه تحمّل ذلك».

«ما الذي يتكلم عنه؟».

قالت إيلين: «كأنه يكره نفسه، يقول إنه لم يعد الشخص الذي كان عليه، وإنما شخص آخر، ويلوم نفسه على ما حدث، بغض النظر عمّا قلته، لم يصغ إلي».

نظر إرلندور إلى ألبوم الصور في الأسفل، إلى الفتاة في سرير المستشفى.

«لماذا أراد أن يلتقي بك؟».

«كان يريد أن يعرف عن أودور، كل شيء عن أودور، وكيف توفيت، قال إنني عائلته الجديدة. هل سمعت شيئاً مماثلاً من قبل؟».

قال إرلندور وهو ينظر إلى ساعته: «إلى أين قد يكون ذهب؟».

«حباً بالله حاول العثور عليه قبل فوات الأوان».

قال إرلندور: «سنبذل قصارى جهدنا»، وكان على وشك توديعها عندما شعر أن لدى إيلين شيئاً آخراً تقوله. سأل: «ماذا؟ هل هناك شيء آخر؟».

قالت إيلين: «عرف عنواني وتبعنا إلى المقبرة، ورآكم تُخرجون التابوت من القبر».

41

طلب إرلندور تسريع البحث عن إينار. تم إرسال صوره إلى مخافر الشرطة في كل أرجاء ريكيافيك والبلدات الإقليمية الرئيسة؛ وبُلِّغت وسائل الإعلام. أمر أن تُرصَد تحركاته فقط، وإذا رآه أحد، يجب عليه الاتصال بإرلندور مباشرة من دون أي إجراء آخر. أجرى مكالمة هاتفية قصيرة مع كاترين التي قالت إنها لا تعرف مكان ابنها. كان ابناها الأكبر سناً معها، كانت قد أخبرتهما الحقيقة، لم يكونا يعرفان مكان وجود أخيهما، كان ألبرت قد بقي في غرفته في فندق إيسجا كل اليوم. أجرى مكالمتين هاتفيتين، كلتيهما إلى مكتبه.

تمتم إرلندور في طريق عودته إلى مكتبه: «يا لها من مأساة فظيعة». لم يعثروا على أي دليل في شقة إينار يشير إلى مكان وجوده المحتمل.

انقضى النهار وتقاسموا المهمات. تكلم إيلينبورغ وسيغوردور أولي إلى طليقة إينار، بينما ذهب إرلندور إلى مركز البحوث الوراثية. كان مقر الشركة الكبير والجديد يقع على الشارع الريفي الغربي خارج ريكيافيك. كان مبنى مؤلفاً من خمسة طوابق مع حراسة أمنية مشدّدة أمام الباب الرئيس. التقى حارسان أمنيان إرلندور في الردهة المثيرة للإعجاب، كان قد أبلغهم بمجيئه، وشعرت مديرة الشركة أنها مرغمة على التحدث إليه لبضع دقائق. كانت المديرة إحدى مالكي الشركة، اختصاصية في علم الوراثة الجزيئية الأيسلندية،

تلقت علومها في بريطانيا وأميركا، وكانت مناصرة لفكرة جعل أيسلندا قاعدة للأبحاث الوراثية المخصصة لإنتاج أدوية صيدلانية، عبر استخدام قاعدة البيانات، كان ممكناً جمع كل الوثائق الطبية في البلاد ومعالجة معلومات صحية مما قد يساعد على تحديد الاعتلالات الوراثية.

كانت المديرة بانتظار إرلندور في مكتبها، هي امرأة ناهزت الخمسين سنة تقريباً اسمها كاريتاس، نحيلة وناعمة، شعرها قصير أسود فاحم، وابتسامتها ودودة. كانت أصغر سناً مما كان إرلندور قد ظنّ عندما رآها عبر التلفاز، لكنها لطيفة، لم تفهم ماذا كانت إدارة البحث الجنائي تريد من الشركة، طلبت إلى إرلندور أن يجلس، بينما كان ينظر إلى الجدران المزيّنة بلوحات فنية أيسلندية معاصرة قال لها بفظاظة: «لدينا معلومات تدفعنا إلى الاشتباه أن أحداً قد اخترق قاعدة البيانات، وحصل على معلومات قد تكون خطيرة». لم يكن يعرف ما يتكلم عنه بالتحديد، لكن بدا أنها تفهم الأمر جيداً، ولم تراوغ، مما أثار ارتياح إرلندور، كان يتوقع اعتراضاً، مؤامرة، صمتاً.

قالت حالما أنهى إرلندور كلامه: «القضية حسّاسة جداً بسبب سرية البيانات، ولهذا السبب أطلب إليك إبقاء هذا الأمر بيننا نحن الاثنين، كنا نعرف منذ بعض الوقت أن هناك تصفّحاً غير مرخص له لقاعدة البيانات، لذلك شكّلنا لجنة تحقيق داخلية للنظر في القضية، اتجهت شكوكنا نحو عالم أحياء معين، لكننا لم نتمكن من التكلم إليه لأنه على ما يبدو اختفى عن وجه الأرض».

«إينار؟».

«نعم، ذلك هو. لا نزال في مرحلة تصميم قاعدة البيانات، إذا

صح القول، لكننا لا نريد بطبيعة الحال أن تنتشر إشاعة أنه يمكن اختراق الشيفرة، وأن الناس يمكن أن يطّلعوا عليها كما يشاؤون. أظنّ أنك تفهم ذلك، رغم أنها في الواقع ليست مسألة تشفير».

«لماذا لم تبلغوا الشرطة عن القضية؟».

«كما أقول، أردنا أن نحلها بأنفسنا، إنها محرجة لنا، يثق الناس أن المعلومات في قاعدة البيانات لا يتم تداولها ولا تستخدم لأغراض مشكوك فيها أو أنها قد تتعرض ببساطة للسرقة، المجتمع حسّاس جداً بهذا الخصوص، كما تعرف، وأردنا تفادي وقوع هستيريا جماعية».

«هستيريا جماعية؟».

«أحياناً يبدو أن البلاد كلها تصبح ضدنا».

«هل اخترق الشيفرة؟ لماذا هذه ليست قضية تشفير؟».

«أنت حقاً تجعلها تبدو مثل مكيدة أو عملية تجسس، لا، لم يخترق أي شيفرة، ليس صحيحاً، فعل ذلك بشكل مختلف؟».

«ماذا فعل».

«أطلق مشروع بحث لم يكن أحد قد أجازه، زوّر تواقيع، بما فيها توقيعي. ادّعى أن الشركة تُجري بحثاً في انتقال مورثة مرض أورام لوحظ في عدّة عائلات في أيسلندا، خدع لجنة سرية البيانات، وهي فرعٌ من الوكالة المشرفة على قاعدة البيانات، خدع لجنة الأخلاق العلمية، خدعنا جميعاً».

توقفت عن الكلام للحظة ونظرت إلى ساعتها، وقفت واتجهت إلى طاولتها واتصلت بأمينة سرها لتؤجل اجتماعاً لعشر دقائق، ثم جلست مجدداً مع إرلندور.

قالت: «تلك كانت النواميس حتى الآن».

قال إرلندور: «النواميس؟».

نظرت كاريتاس إليه وهي تستغرق في تفكير عميق، بدأ الهاتف الخلوي في جيب إرلندور بالرنين، اعتذر وردَّ، كان سيغوردور أولي.

قال: «فتّش أفراد فريق الطب الشرعي شقة إينار في ستوراجردي، اتصلت بهم، ولم يعثروا في الواقع على أي شيء سوى رخصة سلاح ناري حصل عليها إينار قبل سنتين أو نحو ذلك».

كرّر إرلندور: «رخصة سلاح ناري؟».

«إنه في سجلاتنا، لكن ذلك ليس كل شيء، إنه يمتلك بندقية ووجدنا الماسورة تحت سريره».

«الماسورة؟».

«لا بد أنه قد فك الماسورة، يفعلون ذلك أحياناً، ليسهل عليهم إطلاق النار على أنفسهم».

«هل تظن أنه ربما يكون خطيراً؟».

قال سيغوردور أولي: «عندما نعثر عليه، يجب أن نقترب منه بحرص، لا يمكننا أن نتوقع ما سيفعله ببندقية».

قال إرلندور الذي كان قد وقف وأدار ظهره لكاريتاس للحصول على بعض الخصوصية: «لا يمكن أن تكون لديه نية لقتل أحد بها».

«لماذا؟».

قال إرلندور بصوت خافت: «كان يمكن أن يستخدمها من قبل، ضد هولبرغ، ألا تظن ذلك؟».

«لا أدري حقاً».

قال إرلندور: «إلى اللقاء»، أنهى المكالمة وكرّر اعتذاره قبل أن يجلس مجدداً.

تابعت كاريتاس من حيث توقفت: «كان ذلك هو الإجراء المتّبع حتى الآن، كنا نتقدم إلى تلك السلطات بطلب الإذن لإجراء مشروع أبحاث، كما في حال إينار، دراسة عن انتقال مورثات مرض معين. كنا نحصل على لائحة مشفّرة بأسماء الأشخاص الذين يعانون مرضاً معيناً أو قد يحملونه، ونقارنها بقاعدة بيانات الأنساب المشفّرة، لنتمكن بعد ذلك من وضع شجرة عائلة مشفّرة».

قال إرلندور: «مثل شجرة رسائل؟».

«ماذا؟».

«لا شيء، تابعي».

تفك لجنة سرية البيانات شيفرة اللائحة التي تحمل أسماء الأشخاص الذين نريدهم للدراسة، هذه ما ندعوها مجموعة عينة، يكون فيها مرضى وأقرباء، وتزوّدنا بلائحة مشتركين مع أرقام هوياتهم. هل تفهمني؟».

«وبتلك الطريقة حصل إينار على أسماء وأرقام هويات كل من يحمل المرض في عائلته».

أومأت إيجاباً.

«هل يتم كل ذلك عبر لجنة سرية البيانات؟».

«لا أعرف إلى أي حد تريد أن تصل بهذا الشأن، نحن نعمل مع أطباء وعدّة مؤسسات، إنهم يقدمون أسماء المرضى إلى لجنة سرية البينات، التي تشفّر الأسماء وأرقام الهويات، وترسلها إلينا هنا في مركز البحوث الوراثية. لدينا برنامج تعقّب أنساب يفرز المرضى إلى مجموعات منفصلة على أساس علاقتهم ببعضهم بعضاً. باستخدام هذا البرنامج يمكننا انتقاء المرضى الذين يقدّمون أفضل المعلومات الإحصائية للبحث عن اعتلالات وراثية معينة. ثم نطلب إلى أفرادٍ من

هذه المجموعة الاشتراك في الدراسة. علم الأنساب لا يُقدّر بثمن لمعرفة وجود مرض وراثي، انتقاء عينة جيدة، كما أنه أداة قوية في البحث عن اعتلالات وراثية».

«كل ما كان إينار بحاجة إليه هو التظاهر بإنشاء عينة لحل شيفرة الأسماء، وكل ذلك بمساعدة لجنة سرية البيانات».

«كذب وخدع الجميع ونجح في ذلك».

«أفهم أن هذا الأمر محرج لكم».

«إينار عضو الإدارة العليا هنا وأحد أمهر علمائنا، رجل رائع».

سألت المديرة: «لماذا فعل ذلك؟».

قال إرلندور: «فقد ابنته، ألم تعرفي ذلك؟».

قالت وهي تحدّق إليه: «لا».

«منذ متى يعمل هنا؟».

«منذ سنتين».

«إذاً لقد مرّ بعض الوقت قبل أن يعرف».

«كيف فقد ابنته؟».

«أُصيبت بمرض عصبي ينتقل وراثياً، كان الحامل لكنه لم يكن يعرف عن المرض في عائلته».

«مسألة أبوّة؟».

لم يجبها إرلندور. شعر أنه قال ما يكفي.

«تلك إحدى المشكلات مع هذا النوع في قاعدة بيانات الأنساب. تنحو الأمراض للخروج من شجرة العائلة بشكل عشوائي ثم تظهر مجدداً بحيث لا يتوقعها أحد».

نهض إرلندور. «وأنتم تحتفظون بكل تلك الأسرار؛ أسرار عائلية قديمة. مآسٍ، محن، وحالات وفاة، مصنّفة كلها بعناية في

حواسب، قصص عائلية وقصص عن أفراد، قصص عني وعنك، تحتفظون بالأسرار كلها، ويمكنكم الحصول عليها عندما تشاؤون، مدينة مرطبانات لكل الأمة».

قالت كاريتاس: «لا أدري عما تتكلم، مدينة مرطبانات؟».

قال إرلندور: «لا، بالطبع لا»، وغادر المكان.

42

عندما عاد إرلندور إلى شقته ذلك المساء من دون أي خبر عن إينار، كانت عائلة إينار قد اجتمعت في منزل والديه، كان ألبرت قد خرج من الفندق بعد الظهر وعاد إلى منزله بعد محادثة هاتفية عاطفية مع كاترين، كان ابناهما الأكبر سناً هناك مع زوجتيهما وسرعان ما انضمت إليهم طليقة إينار. كانت إيلينبورغ وسيغوردور أولي قد تكلما معها في وقت سابق من ذلك اليوم، لكنها قالت إنها لا تعرف مكان وجود إينار، لم يتصل بها منذ نصف سنة تقريباً.

عادت إيفا ليند إلى المنزل بعد وقت قصير من وصول إرلندور وأخبرها عن التحقيق وعن العثور على بصمات في شقة هولبرغ تطابق بصمات إينار من منزله في ستوراجردي.

كان يبدو أنه ذهب أخيراً للقاء والده وأنه قتله. أخبر إرلندور إيفا ليند عن غريتار أيضاً، وكيف أن النظرية الوحيدة الممكنة عن اختفائه وموته تفيد أنه كان يبتزّ هولبرغ بطريقة ما، ربما بالصور، لم يكن واضحاً ما يظهر فيها بالضبط لكن بناءً على الدليل الذي كان بحوزتهم فكّر إرلندور إنه من غير المستبعد أن يكون غريتار قد صوّر ما كان هولبرغ يقوم به، ربما حالات اغتصاب لا يعرفها أحد، والتي على الأرجح لن تظهر للعلن بعد كل ذلك الوقت، تدل صورة شاهدة قبر أودور على أن غريتار كان يعرف ما حدث، وربما كان شاهداً عليه، وأنه كان يجمع معلومات عن هولبرغ، ربما لابتزازه.

تكلم الاثنان معاً خلال الليل بينما كان المطر ينهمر غزيراً على

النوافذ ورياح الخريف تعصف. سألته لماذا يفرك صدره، بشكل آلي تقريباً، أخبرها إرلندور بالآلام التي كان يشعر بها. ألقى باللوم على فراشه القديم لكن إيفا ليند طلبت إليه رؤية طبيب، لم يستسغ الفكرة.

قالت: «ماذا تعني، أنك لن تذهب إلى الطبيب؟»، ندم إرلندور مباشرة على اعترافه بالألم الذي يشعر به.

قال: «لا شيء يُذكر».

«كم لفافة تبغ دخّنت اليوم؟».

«ما كل هذا؟».

«مهلاً، لديك ألم في الصدر، تدخّن مثل مدخنة، لا تذهب إلى أي مكان إلا بسيارة، تعيش على طعام مقلي غير صحي وترفض الاعتناء بنفسك! ثم ترشقني بكلام عن نمط حياتي حتى أبكي مثل طفل صغير. هل تظن أن ذلك طبيعي؟ هل أنت مجنون؟».

كانت إيفا ليند تنهض على قدميها، تحدّق إلى والدها الذي نظر إلى الأرض خجلاً.

قال أخيراً: «سأزور الطبيب غداً».

صرخت إيفا ليند: «يجب أن تزور الطبيب ليعاينك معاينة دقيقة! وكان يجب أن تفعل ذلك منذ وقت طويل. جبان».

قال وهو ينظر إلى ابنته: «هذا أول شيء سأقوم به غداً».

قالت: «لا بأس بذلك».

كان إرلندور ذاهباً إلى السرير عندما رنّ الهاتف، كان سيغوردور أولي ليخبره أن الشرطة قد تلقت تقريراً عن اقتحام المشرحة في بارونستيغور.

كرّر سيغوردور أولي عندما لم يتلقَ جواباً من إرلندور: «المشرحة في بارونستيغور».

صرخ إرلندور: «يا إلهي! و؟».

قال سيغوردور أولي: «لا أدري، لقد وصل التقرير للتو، اتصلوا بي وقلت إنني سأتصل بك، لا يعرفون شيئاً عن الدافع، هل يوجد شيء عدا الجثث هناك؟».

قال إرلندور: «سألتقي بك هناك». أضاف: «اتصل بأخصائي علم الأمراض ليذهب إلى هناك أيضاً»، ووضع السمّاعة.

كانت إيفا ليند نائمة في غرفة الجلوس عندما ارتدى معطفه، واعتمر قبعته ونظر إلى الساعة، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، أغلق الباب بهدوء خلفه كي لا يوقظ ابنته، ثم أسرع نزولاً على السلالم وصولاً إلى سيارته.

عندما وصل إلى المشرحة كانت ثلاث سيارات شرطة بوميض أضوائها الساطعة تركن خارجها. تعرّف على سيارة سيغوردور أولي، وفي أثناء دخول إرلندور المبنى رأى سيارة أخصائي علم الأمراض تستدير عند المنعطف، إطاراتها تصرّ على الإسفلت الرطب، كانت سمات وجه أخصائي علم الأمراض تبدو قاسية. أسرع إرلندور الخطى على الممر الطويل المكتظ برجال الشرطة وخرج سيغوردور أولي من غرفة التشريح.

قال سيغوردور أولي عندما رأى إرلندور يندفع عبر الممر: «لم يُفقَد شيء».

قال إرلندور وهو يدخل غرفة التشريح معه: «أخبرني بما حدث». كانت طاولات التشريح خاوية، كل الخزائن مغلقة ولم يكن هناك أي دليل على حدوث اقتحام.

قال سيغوردور أولي: «كانت هناك آثار أقدام في كل مكان على الأرضية هنا، لكنها جفّت على الأرجح الآن. المبنى متصل بنظام إنذار نبّه مقر الشركة الأمني فاتصل أفرادها بنا قبل خمس عشرة دقيقة. يبدو أن اللص حطّم نافذة في الخلف ومدّ يده عبرها ليفتح القفل، ليس أمراً بالغ التعقيد، حالما دخل المبنى انطلق الإنذار. لم يكن لديه وقت كافٍ لفعل أي شيء».

قال: «وقت كافٍ بالتأكيد». كان أخصائي علم الأمراض قد انضم إليهما والانزعاج بادٍ عليه.

قال: «من اقتحم المشرحة؟».

سأل إرلندور: «أين هولبرغ وأودور؟».

نظر أخصائي علم الأمراض إلى إرلندور.

سأل: «هل لهذا أي علاقة بمقتل هولبرغ؟».

قال إرلندور: «ربما. بسرعة، بسرعة».

قال أخصائي علم الأمراض وهو يشير إلى باب فتحه: «يحتفظون بالجثث في هذه الغرفة الجانبية هنا».

سأل سيغوردور أولي: «هل هذه الأبواب مفتوحة دائماً؟».

قال أخصائي علم الأمراض بحدّة: «من يسرق جثثاً؟»، لكنه توقف عندما نظر داخل الغرفة.

سأل إرلندور: «ماذا الآن؟».

قال أخصائي علم الأمراض كأنه لا يصدّق عينيه: «الفتاة اختفت». أسرع إلى داخل غرفة الحفظ، فتح باباً آخر داخلها وأنار الضوء.

سأل إرلندور: «ماذا؟».

قال أخصائي علم الأمراض: «اختفى تابوتها أيضاً». نقل بصره بين سيغوردور أولي وإرلندور بالتناوب. «كنا قد جئنا بتابوت جديد

لها. من يفعل ذلك النوع من الأشياء؟ من سيفكّر في مثل تلك الطريقة المنحرفة؟».

قال إرلندور: «اسمه إينار، وهو ليس منحرفاً».

استدار على عقبيه، تبعه سيغوردور أولي وخرجا مسرعين من المشرحة.

43

لم تكن حركة السير كثيفة على طريق كيفلافيك تلك الأمسية، لذلك قاد إرلندور بالسرعة التي يمكن أن تؤدّيها سيارته اليابانية الصغيرة ذات السنوات العشر. كان المطر ينهمر على الزجاج الأمامي بغزارة لا يمكن للمساحتين أن تزيله عنه، وعاد إرلندور بأفكاره إلى أول مرة ذهب فيها لرؤية إيلين قبل أيام قليلة، بدا الأمر كأن المطر لم يتوقف عن الهطول.

كان قد أمر سيغوردور أولي بتنبيه شرطة كيفلافيك والتأكد من توفر قوة دعم من ريكيافيك، كما طلب إليه أن يتصل بوالدة إينار ويحذّرها بشأن تداعيات الأحداث الأخيرة، أراد أن يقود سيارته مباشرة إلى المقبرة بنفسه، على أمل أن يكون إينار هناك مع جثة أودور، لم يتخيل في لحظةٍ أن إينار ينوي إعادة أخته إلى قبرها.

عندما توقف إرلندور خارج بوابة مقبرة هفالسنز، شاهد سيارة إينار هناك وباب السائق وأحد البابين الخلفيين مفتوحين، أطفأ إرلندور الأنوار وأوقف المحرك، خرج إلى المطر ونظر إلى سيارة إينار. أصاغَ السمع لكنه لم يسمع سوى صوت المطر ينهمر بغزارة على الأرض. لم تكن هناك رياح نظر إلى الأعلى نحو السماء السوداء، من بعيد لمح ضوءاً فوق مدخل الكنيسة، وعندما نظر عبر المقبرة رأى وميضاً حيث كان قبر أودور. تخيّل أنه ميّز شيئاً يتحرك إلى جانب القبر، والكفن الأبيض الصغير.

انطلـق بحـرص واقتـرب مـن الرجل، وصل ظنه إلى حد اليقين، إنـه إينـار. كان الضـوء يخـرج مـن مصبـاح قـوي أحضـره الرجل معه ووضعـه علـى الأرض إلـى جانـب التابـوت. دخـل إرلندور بخطوات بطيئـة دائـرة الضـوء؛ رفـع الرجـل بصره عمّـا كان يقوم به وحدّق إلى عيني إرلندور. كان إرلندور قد رأى صوراً لهولبرغ عندما كان شاباً، ولـم يكن هناك شـك في الشـبه بينهما، كان جبينه منخفضاً ومسـتديراً قليلاً، وكان حاجباه كثيفين، عيناه تطرفان معاً، عظام وجنتيه ناتئة في وجه نحيل، وأسنانه بارزة قليلاً، كان أنفه رقيقاً وكذلك كانت شفتاه، لكن ذقنه كان كبيراً وكان عنقه طويلاً. تبادلا النظرات للحظة.

سأل إينار: «من أنت؟».

«أنا إرلندور، أتولى قضية هولبرغ».

قال إينار: «هل أنت مندهش لأنني أشبهه كثيراً؟».

قال إرلندور: «هناك شَبَه مؤكد».

قال إينار: «تعرف أنه اغتصب والدتي».

قال إرلندور: «تلك ليست غلطتك».

«كان والدي».

«تلك ليست غلطتك أيضاً».

قـال إينـار وهـو يشـير إلـى التابـوت: «مـا كان يجـب أن تفعـل ذلك».

قال إرلندور: «شـعرت أنني يجب أن أفعل ذلك، اكتشـفت أنها توفيت بسبب نفس المرض الذي أصاب ابنتك».

قال إينار: «سأعيدها إلى حيث تنتمي».

قال إرلندور وهو يقترب ببطء من التابوت: «لا بأس بذلك، لا بد أنك تريد وضع هذا في القبر أيضاً». ثم مدّ إرلندور يده بالحقيبة

الجلدية السوداء التي كان يحتفظ بها في سيارته منذ غادر جامع الأعضاء البشرية.

سأل إينار: «ما هذا؟».

قال إرلندور: «المرض».

«لا أفهم...».

«إنها عينة أودور الإحيائية، أظن أننا يجب أن نعيدها إليها».

نظر إرلندور وإينار إلى الحقيبة بالتناوب، اقترب إرلندور أكثر حتى أصبح إلى جانب التابوت الذي كان يفصلهما، ووضع الحقيبة عليه وتراجع بهدوء مجدداً إلى حيث كان يقف من قبل.

قال إينار فجأة: «أريد إحراق جثتي».

قال إرلندور: «لديك حياتك بأكملها لترتّب ذلك».

قال إينار وهو يرفع صوته: «آه نعم، حياة بأكملها. ما هي؟ ما هي الحياة إذا كانت سبع سنوات؟ هل يمكنك إخباري ذلك؟ أي نوع من الحياة تلك؟».

قال إرلندور: «لا يمكنني الإجابة عن ذلك، هل تحملُ سلاحك؟».

قال إينار، متجاهلاً سؤاله: «تكلمت إلى إيلين، تعرف ذلك على الأرجح، تكلمنا عن أودور أختي، كنت أعرف بشأنها، لكنني لم أعرف أنها أختي سوى مؤخراً، رأيتكم تُخرجونها من القبر، كنت أفهم دافع إيلين عندما حاولت مهاجمتكم».

«كيف عرفت بشأن أودور؟».

«من قاعدة البيانات، وجدت كل الأشخاص الذين توفوا بسبب هذه السلالة الخاصة من المرض. لم أعرف حينئذٍ أنني ابن هولبرغ وأن أودور أختي، اكتشفت ذلك لاحقاً، وكيف خُدعت عندما سألت

والدتي». نظر إلى إرلندور.

«بعد أن اكتشفت أنني حاملٌ للمرض».

«كيف ربطت بين هولبرغ وأودور؟».

«عبر المرض، سلالته، الورم الدماغي نادر».

أطبق الصمت على إينار للحظة ثم بدأ يسرد بشكل منتظم ومن دون أي استطراد أو إظهار أي عواطف إفادة دقيقة لأفعاله، كأنه كان مستعداً للقيام بذلك، لم يرفع صوته أبداً لكنه كان يتكلم دائماً بالنبرة الخافتة نفسها التي تتحول أحياناً إلى همس. كان المطر ينهمر على الأرض وعلى التابوت، ويمكن سماع الصدى الأجوف الذي يصدر عنه في سكون الليل. وصف كيف مرضت ابنته فجأة عندما كان عمرها أربع سنوات. كان تشخيص المرض صعباً وانقضت شهور حتى استنتج الأطباء أنه مرض عصبي نادر؛ كان معروفاً أنه ينتقل وراثياً ومحصوراً بعائلات معينة. لكن الغريب أنه لم يظهر في عائلة والدته أو في عائلة والده، كان من سلالة جديدة أو مختلفة، والتي وجد الأطباء صعوبة في تفسيرها، إلا إذا كانت طفرة من نوعٍ ما.

قالوا إن المرض أصاب دماغ الطفلة ويمكن أن يقتلها في غضون سنوات، تبع تلك السنوات ترقب، قال إينار إنه لا يستطيع وصفه لإرلندور.

سأل: «هل أنجبت أي أبناء؟».

قال إرلندور: «اثنان، صبي وبنت».

قال: «لم ننجب غيرها، وانفصلنا عندما توفيت، بطريقة ما لم يكن هناك شيء يجمعنا سوى الحزن والذكريات والمحنة في المستشفى، عندما انتهى ذلك بدا أن حياتنا معاً قد انتهت أيضاً، لم يبقَ شيء».

توقف إينار عن الكلام وأغلق عينيه كأنه على وشك أن يغطّ

في النوم. كان المطر ينهمر على وجهه.

قال بعد ذلك: «كنت أحد أوائل الموظفين في الشركة الجديدة عندما تم إنشاء قاعدة البيانات، أحسست أنني عدت إلى الحياة، لم أقبل أجوبة الأطباء، استعدت اهتمامي باكتشاف الطريقة التي انتقل فيها المرض إلى ابنتي، إذا كان ذلك ممكناً. قاعدة البيانات الصحية مرتبطة بقاعدة بيانات الأنساب، ويمكن معالجة الاثنتين معاً، وإذا كنت تعرف ما تبحث عنه، ولديك مفتاح حل الشيفرة، يمكنك معرفة أين يكمن المرض وكيفية تعقّب آثاره من شجرة العائلة، يمكنك حتى أن تعرف الانحرافات في السلالة، انحرافات مثلي، ومثل أودور».

قال إرلندور: «تكلمت إلى كاريتاس من مركز البحوث الوراثية، وصفت لي الخدعة التي قمت بها، كل هذا جديد بالنسبة إلينا، لا يعرف الناس بالضبط ما يمكن فعله بكل المعلومات التي يتم جمعها، ما الذي تحتويه وما الذي يمكن معرفته منها».

«كنت قد بدأت أشك في شيء، كان لدى أطباء ابنتي نظرية أن المرض ينتقل وراثياً، في البداية ظننت أنني ببساطة طفل متُبنى، وكان الأمر سيكون أفضل بالتأكيد، لو أنهم تبنوني، ثم بدأت أشك في والدتي، خدعتها لتمنحني عينة دم، وكذلك والدي أيضاً، لم أعثر على شيء فيهما، في أي من العينتين، لكنني وجدته في دمي».

«لم تظهر عليك أي أعراض؟».

قال إينار: «قلّة منها، لقد فقدت معظم سمعي في إحدى الأذنين، هناك ورم في العصب السمعي، وظهرت بقع على جلدي».

«طفح جلدي؟».

«هذا صحيح قد أكون أُصبت بالمرض نتيجة تغير وراثي، طفرة، لكنني ظننت أن التفسير الآخر أكثر احتمالاً، في النهاية لجأت إلى

قاعـدة البيانـات، وحصلـت على أسـماء عـدّة حاملين يمكن أن تكون لوالدتـي علاقـة معهـم، كان هولبـرغ أحدهـم، أخبرتنـي القصـة كلهـا مباشرة عندما أخبرتها عن شكوكي، يكفي أنها التزمت الصمت بشأن الاغتصاب كي لا أعاني من أصولي، على العكس، أنا الابن الأصغر».

قال موضحاً: «الفتى الصغير المدلل».

قال إرلندور: «أعرف».

صرخ إينار في سكون الليل: «يا له من حدَثٍ غيَّر حياة أسـرة بكاملها! لم أكن ابن والدي؛ والدي الحقيقي اغتصب أمي؛ كنت ابناً غير شرعي؛ كان قد نقل إلي مورثات فاسدة، لم تؤثر فيّ لكنها قتلت ابنتـي؛ لـدي أخـت ماتـت بالمرض نفسـه، لا أزال غير قادر على فهم ذلـك كلـه، لا أزال غيـر قـادر علـى اسـتيعابه، عندمـا أخبرتني والدتي عـن هولبـرغ اعتمـل الغضـب في داخلي ونهشـني، كان شـخصاً مثيراً للاشمئزاز».

«بدأت تتصل به هاتفياً».

قال إينار وابتسـامة باهتة على شـفتيه: «أردت سـماع صوته، ألا يرغب كل الأبناء غير الشرعيين لقاء آبائهم؟ حتى إذا كان ذلك لمرة واحدة فقط».

44

كان هطـول الأمطـار قـد خـفّ تدريجيـاً حتـى توقـف آنـذاك، والمصبـاح يلقـي ضـوءاً أصفر على الأرض، الأمطار شـكلت جداول صغيـرةً تحفُـرُ علـى الـدرب إلى جانب القبور، وقفا سـاكنين من دون حراك، يواجهان بعضهما، التابوت بينهما، وكل منهما ينظر إلى عيني الآخر.

قال إرلندور أخيراً: «لا بد أنه شعر بصدمة لرؤيتك».

كان إرلنـدور يعلـم أن الشـرطة فـي طريقهـا إلـى المقبرة، ويريد أن يستفيد من وقته مع إينار قبل وصولها. كما أنه يعلم أن مع إينار بندقية، لأن إحدى يديه كانت داخل معطفه.

قال إينار: «كان يجب أن ترى وجهه، كان يبدو كأنه رأى شبحاً من الماضي، وذلك الشبح هو نفسه».

* * *

كان هولبـرغ يقـف فـي المدخـل ينظـر إلـى الرجـل الـذي قـرع الجـرس، لـم يكـن قـد رآه أبـداً مـن قبـل لكنه رغم ذلـك تعرّف على الوجه مباشرة.

قال إينار متهكماً: «مرحباً أبي». لم يستطع إخفاء غضبه.

قال هولبرغ مندهشاً: «من أنت؟».

قال إينار: «أنا ابنك».

«ما هذا... هل أنت الشخص الذي كان يتصل بي؟ أودّ أن تتركني

بسلام، لا أعرفك أبداً، لست بكامل قواك العقلية».

كانا متشابهين بالطول والمظهر، لكن أكثر ما أدهش إينار هو كم كان هولبرغ يبدو عجوزاً وضعيفاً، عندما كان يتكلم كان ذلك يترافق مع صفير من أعماق رئتيه بعد عقود من التدخين، كان وجهه متعباً، قسماته حادة، مع دوائر سوداء تحت العينين. كان شعره المتسخ الأشيب ملتصقاً برأسه، كان جلده متغضناً، أنامله صفراء، ظهره مقوساً، وعيناه شاحبتين وباهتتين.

كان هولبرغ على وشك أن يغلق الباب لكن إينار كان أقوى منه واندفع إلى داخل الشقة فشم الرائحة مباشرة، كانت تشبه رائحة خيول، لكنها أسوأ.

قال إينار: «ما الذي تحتفظ به هنا؟».

«اخرج من هنا فوراً». كان صوت هولبرغ حاداً عندما صرخ على إينار وتراجع نحو غرفة الجلوس.

قال إينار وهو ينظر حوله إلى المكتبة والحاسوب في الزاوية: «لدي كل الحق بالوجود هنا، أنا ابنك. الابن المبذّر، هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً واحد يا أبي؟ هل اغتصبت كثيراً من النساء إضافة إلى والدتي؟».

«سأتصل بالشرطة!». أصبح الصفير أكثر وضوحاً مع اشتعاله غضباً.

قال إينار: «كان يجب أن يفعل أحدهم ذلك قبل وقت طويل».

تردّد هولبرغ.

قال: «ماذا تريد مني؟».

«ليسـت لديك فكرة عمّا حدث وهو ليس من شـأنك، لا تهتم إطلاقاً، أنا على حق، أليس كذلك؟».

قـال هولبـرغ: «ذلـك الوجـه»، لكنه لم ينـه الجملة. نظر إلى إينار بعينيه الشاحبتين وراقبه لوقت طويل حتى اتضح له تدريجياً مـا كان إينـار يقولـه، فهـو ابنـه. لاحظ إينار تـردُّد هولبرغ وارتباكه مما قاله.

قال هولبرغ أخيراً: «لم أغتصب أحداً أبداً في حياتي، إنها كذبة لعينـة، قالـوا إن لـدي ابنـة في كيفلافيـك واتهمتني والدتها باغتصابها، لكنها لم تتمكن من إثبات ذلك، لم تتم إدانتي أبداً».

«هل تعرف ما حدث لابنتك تلك؟».

«أظن أن الطفلة توفيت صغيرة، لم أكن أبداً على اتصال بها أو بوالدتها، بالتأكيد تفهم ذلك، اتهمتني باغتصابها، تباً!».

سأل إينار: «ربما تعرف عن وفيات الأطفال في عائلتك؟».

«ما الذي تتكلم عنه؟».

«هل توفي أي أطفال في عائلتك؟».

«ما كل هذا؟».

«أعرف عدّة حالات في هذا القرن، كانت إحداها شقيقتك».

حدّق هولبرغ إلى إينار.

«ماذا تعرف عن عائلتي؟ كيف...؟».

«شـقيقك أكبر منك بعشـرين سـنة، توفي قبل خمس وعشـرين سـنةً، فقد ابنته الصغيرة في العام 1941. كنت في الحادية عشـرة من عمرك، لم يكن هناك سواكما أنتما الشقيقين وقد ولدتما في تاريخين متباعدين».

لم يقل هولبرغ شيئاً وتابع إينار.

«كان يجب أن يموت المرض معك، كان يجب أن تكون آخر حامل له، كنت الأخير في سلسلة النسب، غير متزوج، ليس لديك أولاد، ليست لديك عائلة، ولكنك كنت مغتصباً، مغتصباً لعيناً بائساً!».

توقف إينار عن الكلام وحدّق إلى هولبرغ بعينين تمتلئان كرهاً.

«والآن أنا الحامل الأخير».

«ما الذي تتكلم عنه؟».

«انتقل المرض إلى أودور منك، وانتقل إلى ابنتي منك، الأمر بسيط جداً، لقد ألقيت عليه نظرة في قاعدة البيانات، لم تكن هناك أي حالات جديدة من المرض في هذه العائلة منذ توفيت أودور، ما عدا ابنتي، نحن الأخيران».

اقترب إينار خطوة منه، أمسك منفضة زجاجية ثقيلة وحملها بيديه.

«والآن سينتهي الأمر».

* * *

«لم أذهب إلى هناك لأقتله، لكنه ظن أنه يتعرض لخطر داهم، لا أعرف لماذا أمسكت بالمنفضة، ربما كنت سأرميها عليه، ربما كنت أودّ أن أهاجمه، تحرك أولاً، هاجمني وأمسكني من حنجرتي، لكنني ضربته على رأسه فسقط على الأرض، فعلت ذلك من دون تفكير، كنت غاضباً وقد هاجمته ببساطة، كنت قد تساءلت كيف سينتهي لقاؤنا، لكنني لم أتوقع ذلك مطلقاً، اصطدم رأسه بالطاولة عندما سقط، ارتطم

بالأرض وبدأ ينزف، كنت أعرف أنه مات عندما انحنيت فوقه، نظرت حولي، رأيت ورقةً وقلم رصاص، كتبت: أنا هو. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه بعد أن رأيته على الأرض، إنني كنت هو، إنني كنت ذلك الرجل. وإن ذلك الرجل كان والدي».

نظر إرلندور إلى الأسفل إلى القبر المفتوح.

قال إرلندور: «سنعالج ذلك، إذا كنت تحمل البندقية معك، دعني آخذها». اقترب إرلندور بحذر منه، لكن إينار لم يهتم لذلك.

«الأطفال فلاسفة، سألتني ابنتي مرة في المستشفى لماذا لدينا عينان؟، أجبتها حتى نرى بهما».

توقف إينار قليلاً، قال كأنه يحدّث نفسه: «صحّحت لي». نظر إلى إرلندور. «قالت حتى نذرف الدموع منهما».

ثم بدا أنه اتخذ قراراً.

قال: «من تكون إذا لم تكن نفسك؟».

قال إرلندور: «هوّن على نفسك».

«إذاً من تكون؟».

«سيكون كل شيء على ما يرام».

«لم أخطط لتصل الأمور إلى ما آلت إليه لكن الوقت قد فات الآن».

لم يفهم إرلندور ما كان يعنيه.

«انتهى الأمر».

نظر إرلندور إليه في ضوء المصباح.

قال إينار: «سينتهي هنا».

رأى إرلندور إينار يُخرج البندقية من تحت معطفه ويصوّبها

إليـه مـع اقترابـه منـه، توقف إرلندور، بومضة عين، أدار إينار السـلاح بالاتجـاه المعاكـس وسـدّده إلـى قلبـه، فعل ذلك فـي جزء من الثانية، اقترب إرلندور خطوة منه، وصرخ بينما كان يفعل ذلك، دوّى صوت رصاصة، أصيب إرلندور بالصمم لثانية، رمى بنفسـه على إينار فوقع كلاهما على الأرض.

45

شعر أن حياته قد هجرته، ولم يبقَ سوى جسده الخالي، حدّق بعينين خاويتين إلى الظلام.

كان إرلندور يقف على حافة القبر وينظر إلى الأسفل إلى إينار ممدداً إلى جانبه، أمسك المصباح، أضاء به المكان، ورأى جثة إينار، بعد أن وضع المصباح أرضاً بدأ بإنزال التابوت في الحفرة، فتحه أولاً، وضع المرطبان داخله وأغلقه مجدداً، كان عليه أن يبذل جهداً كبيراً لإنـزال التابـوت لوحـده لكنـه حقـق ذلك فـي النهاية، عثر على معول كان موجوداً على كومة تراب. بعد أن رسم رمز النصارى الديني فوق التابـوت بـدأ يهيـل التـراب عليـه وشـعر بالألم في كل مرة كان يرتطم الطين الثقيل بالغطاء الأبيض مصدراً صوتاً مكتوماً أجوفَ.

أمسـك إرلنـدور بالوتـد الخشـبي الأبيـض المكسـور إلى جانب القبر، حاول إعادته إلى مكانه، واستخدم كل قوته لرفع شاهدة القبر، كان على وشك الانتهاء من ذلك العمل عندما سمع هدير السيارات وأشخاصاً يصرخون لدى وصولهم إلى المقبرة. سمع سيغوردور أولي وإيلينبـورغ ينـاديـان عليـه بالمقابل، سـمع أصوات أشـخاص أظهرتهم أضواء مصابيح السـيارات الأمامية، وكانت ظلالهم عملاقة في الليل الحالك. رأى المزيد والمزيد من أضواء المصابيح تقترب منه.

رأى كاتريـن وبعـد ذلـك بوقـت قصيـر لاحـظ إيلين. نظرت إليه كاتريـن مستفسـرة وعندمـا أدركـت مـا حدث رمت بنفسـها فوق إينار تبكي، وعانقته، لم يحاول أن يمنعها، رأى إيلين تجثو إلى جانبها.

سـمع سـيغوردور أولي يسـأله إن كان على ما يرام، ورأى إيلين تمسك بالبندقية التي كانت قد وقعت على الأرض، رأى أفراد شرطة آخرين يصلون ووميض آلات تصوير من بعيد كأنها برق.

رفـع بصـره إلـى الأعلـى، كانت قد بدأت تمطر مجدداً لكنه ظنّ أن المطر أصبح بطريقة ما أكثر لطفاً.

دُفـن إينـار إلـى جانـب ابنته في مقبـرة غرافارفوغر، كانت جنازة خاصة، اتصل إرلندور بكاترين، أخبرها عن اللقاء بين إينار وهولبرغ، تكلـم إرلنـدور عـن الدفـاع عـن النفـس لكن كاتريـن كانت تعرف أنه يحاول التخفيف من ألمها.

استمر المطر بالهطول لكن رياح الخريف توقفت، واقترب الشتاء بصقيعه وظلامه، كان إرلندور يرحّب بذلك.

نـزولاً عنـد رغبـة ابنتـه زار إرلنـدور أخيـراً الطبيب الذي قال إن الألـم فـي صـدره كان بسـبب كدمـة أُصيب بهـا الغضروف، والتي قد تكـون نجمـت علـى الأرجـح، مـن النوم على فراش سـيء وعدم أداء تمارين رياضية منتظمة.

* * *

في أحد الأيام، أثناء تناولهما وجبة ساخنة من اللحم المطبوخ، سـأل إرلندور إيفا ليند إن كان بإمكانه انتقاء الاسـم إذا أنجبت بنتاً، قالت إنها تتوقع منه تقديم بعض الاقتراحات.

سألت: «ماذا تريد أن تدعوها؟».

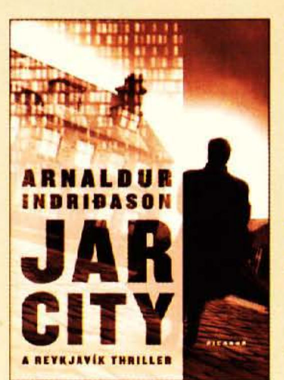
نظر إرلندور إليها.

قال: «أودور. أظن أنه سيكون لطيفاً أن ندعوها أودور».



يتولى إلندور مفتش شرطة ريكيافيك، التحقيق في جريمة قتل راح ضحيتها رجل عجوز منعزل عن العالم يدعى هولبرغ في شقته بقبو أحد الأبنية التي تخرج منها رائحة غريبة، يساعده في ذلك زميلاه سيغوردور أولي وإيلنبورغ، حيث يكتشفون ملاحظة غامضة على جثته وصورة بالأبيض والأسود لشاهدة قبر.

يبدأ إلندور الكشف بدقة شديدة عن أدلة يستطيع من خلالها رسم صورة لهوية الضحية، حيث يتبين أن هولبرغ، هو سائق شاحنة ذو تاريخ أسود، سبق وتم توجيه اتهام له بجريمة اغتصاب قبل سنوات طويلة لكنه لم يدن. عندما يكتشف إلندور مزيداً من الحقائق عن ماضي هولبرغ يدرك أن هناك صلات مع أفعال إجرامية أخرى بقيت طي الكتمان أو لم تتمكن الشرطة من إماطة اللثام عنها. عبر متابعة خيوط تلك الأدلة يتمكن عبر تقنيات وراثية حديثة في علم الإجرام أن يمضي قدماً نحو حل هذه القضية الغامضة.



عبر أحداث الرواية يرسم الكاتب صوراً واقعية عن نمط الحياة في دولة أيسلندا البعيدة.





ISBN 978-614-01-0025-1





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف   Cover photo:© Timothée D'arco - Fotolia.com